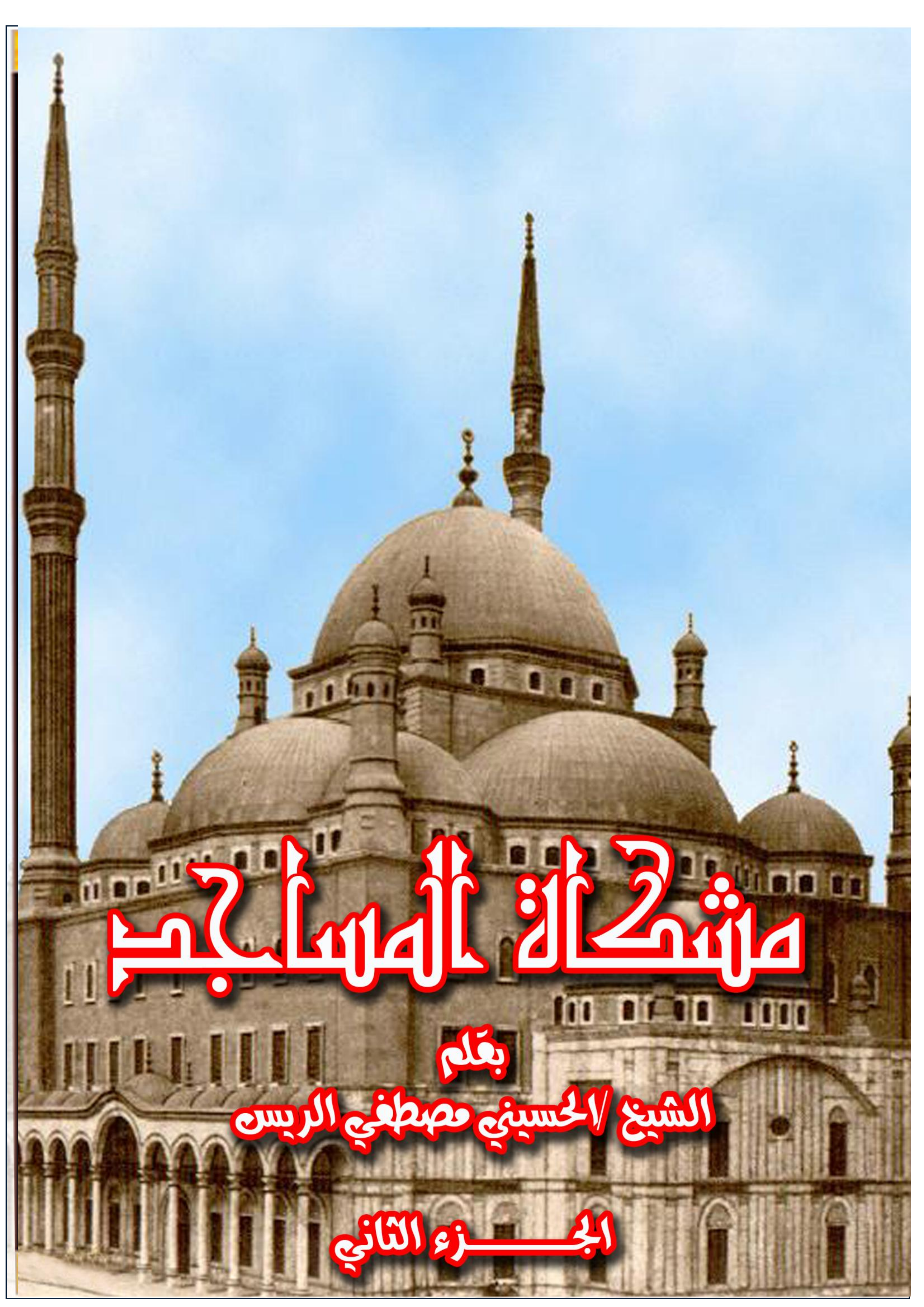

مشكاة المساجد
بقلم
الشيخ /الحسيني مصطفي الريس
الجـــزء الثاني

طبع على نفقه المحسن إلى الله الحاج سيد الهيطه

تصميم غلاف

محمد عبدالمنعم النجار

نسألكم الدعاء لوالدي بالرحمة وجميع المسلمين

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. والحمد لله الذي يستوجب شكره بما أفاض علينا من نعم لا تحصى ولا تعد . أحمده حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأستعينه وأستغفره من كل ذنب .وأعوذ به من شرور أنفسن ا وسيئات أعمالنا,وأسألة سبحانه أن يهدينا سواء السبيل وأن يأخذ بأيدينا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }آل عمران53.هذا الكتاب الثاني هو جملة أحاديث ألقيت بعضها بالمساجد بمصر والبحرين والحرم المكي ومنى ومساجد أخر ى وفي معسكرات القوات المسلحة قب ل وبعد حرب رمضان ببورسعيد الذي انتصر فيه ا الجيش المصري .وقد جمعت هذه الأحاديث في وريقات لكي تكون مشكاة لكل قارىء ويسهل أن تكون توجيها عمليا لمن أرد الإفادة منها نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بها وأن يأخذ بأيدينا إلى الصراط المستقيم وهذه الدروس هي لإخواننا وأبنائنا المبتدئين بالعمل في دعوة الحق .

1- صلاة الجمعة فضلها وآدابها والترغيب في أدائها والترهيب
من تركها وأصناف الناس حيالها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة صلاة الجمعة فضلها وآدابها والترغيب في أدائها والترهيب
من تركها وأصناف الناس حيالها

1 فرض الله علينا العبادات وهو غني عنها ولكننا محتاجون إليها : -

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }[1] (يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[2]

---

[1] - سورة فاطر15

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2580.

2 – فرضت علينا الصلاة لتؤدى بخشوع : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[1].يستشعر المصلي إحاطة الله به وعلمه بكل ما يصدر في حركاته وسكناته عن الإنسان {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }[2].

3 – والصلاة صلة بين العبد وربه : ولا يتحقق للعبد قبول عمله إلا بإقامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .وهى عمود الإسلام الذي لا يقوم إلا عليها , وهى أخر وصية لرسول الله ﷺ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة , وهى أخر ما يفقد من الدين فإن ضاعت ضاع الدين كله ,وهى مناصفة بين العبد وربه.

4 – لعظم الصلاة سن لنا الإسلام الاجتماع :لها خمس مرات في مسجد الحي فقال :(صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ[3] بسبع وعشرين درجة)[4].

5 – وقد فرض الله علينا صلاة الجمعة لمزايا كثيرة : إنه يوم عيد المسلمين الإسبوعي , إنة أفضل من يومي الفطر والأضحى , انه يوم تتنزل فيه الملائكة ويقول رسول الله ﷺ (لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس)[5]ويقول(إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا

---

[1] - سورة المؤمنون1-2

[2] - سورة ق16

[3] - بالفاء والذال المعجمة: الفرد "(سبل السلام (2/ 18)

[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 645,649، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 651.

[5] - (صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (4/ 368)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((التعليق الرغيب)) (1/ 249). أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7630، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 11907، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 6498، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم 1443.

أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة)[1]. إن فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء , إنه اليوم الذي خلق الله فيه آدم وأهبطه إلى الأرض وتوفاه الله فيه , إنه اليوم الذي تقوم فيه الساعة وتطوى فيه الحياة إنه اليوم الذي يلتقي فيه الناس على طاعة الله على حب وود وإخلاص إنه سيد الأيام وأعظمها عند الله .

6 – **فضل يوم الجمعة** : (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فدنا واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى[2] فقد لغا[3])[4] ويقول (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مكفرات ما بينهن؛ إذا اجتنبت الكبائر)[5]..

7 – **ويستحب في ذلك اليوم** :

ا – الدعاء .

ب – كثرة الصلاة على النبي .

ج – تلاوة القرآن وخاصة سورة الكهف .

ا – **أما الدعاء** : لقول الله تعالى { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [6], وقوله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [7] ولقول الله تعالى {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [8] سلوا الله فإن الله يحب أن يسأل .وكثرة الدعاء يوم الجمعة فيها

---

[1] - (صحيح) تحقيق الألباني :حسن ، المشكاة (1363) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1084، وأخرجه ابن ابي شيبة في مسنده حديث رقم 814، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 5556، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 4511، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 2973، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 1307، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم 1664,2735، وأخرجه البيهقي في فضائل الأوقات للبيهقي حديث رقم 250.

[2] - (مس الحصى) أي سوى الارض للسجود فانهم كانوا يسجدون عليها(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 860)

[3] - (فقد لغا) أي وقع في باطل أو فعل مالا يعنيه ولا يليق به فيكره مس الحصى وغيره من أنواع اللعب في الصلاة(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 860)

[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 859،.

[5] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 235,236، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 214،.

[6] - سورة غافر60

[7] - سورة البقرة 186

[8] - سورة الأعراف 55

ساعة لإجابة الدعاء للحديث :وقد ذكر النبي يوم الجمعة فقال : (أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه وأشار بيده يقللها)[1][2].

أما تعيين الساعة : فقد وردت أحاديث فيها واختلف العلماء في وقتها : فعن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة "[3]. وعن عبد الله بن سلام قال قلت ورسول الله ﷺ جالس إنا لنجد في كتاب الله في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئا إلا قضى له حاجته قال عبد الله فأشار إلي رسول الله ﷺ أو بعض ساعة فقلت صدقت أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي قال هي آخر ساعات النهار قلت إنها ليست ساعة صلاة قال بلى إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يحبسه إلا الصلاة فهو في الصلاة)[4] أما الصلاة على النبي يوم الجمعة ففي الحديث (قال رسول الله ﷺ أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي فقال رجل يا رسول الله كيف تعرض عليك وقد أرمت[5] يقول بليت قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام)[6].

---

[1] - (يقللها)، وذكروا أنه صلى الله عليه وسلم وضع طرف الإبهام على الوسطى أو الخنصر، أي: أنه شيء قليل جداً، فليست ساعة من الساعات الزمنية المعروفة التي ينقسم النهار إلى اثنتي عشرة ساعة منها. (شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (102/ 2، بترقيم الشاملة آليا)

[2] -(صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (1/ 171) 700 - (صحيح) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه .

[3] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 855،.

[4] - (صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1139، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 21189. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (3/ 139)تحقيق الألباني :حسن صحيح ، صحيح الترغيب والترهيب (1 / 251)

[5] - " أرمت " على وزن ضربت؟ وأصله: " أرممْت " أي: بليت وصرت رميما(شرح أبي داود للعيني (5/ 441)

[6] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1047,1531، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1374، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1085,1636، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 1572، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 15729،.

ج – وأما تلاوة القرآن فقد ورد قول الله {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ } [1].يقول (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)[2].وقد ورد فضل قراءة سورة الكهف لنفس القارىء في يوم الجمعة وليلتها من الأحاديث النبوية :(من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)[3] وفى حديث آخر:(من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق)[4] .

8 – إن يوم الجمعة هو عيد المسلمين الأسبوع ي فعلى الإنسان أن يتجمل ويغتسل ويتطيب ويلبس أحسن الثياب : ولا يأتي إلى المسجد بروائح كريهة ليؤذى الناس ففي الحديث :(لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)[5] .ويقول(غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه)[6].ويقول: (إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيب فليمس منه وعليكم بالسواك)[7].

9 – ويستحب التبكير لصلاة الجمعة لغير الإمام : قال علقمة : خرجت مع عبد الله بن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع

---

[1] - سورة فاطر29

[2] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 807، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 972، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج2:ص395)،.

[3] - (صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم608، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج3:ص248)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 1816. الجامع الصغير وزيادته (ص: 1142)قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 6470 في صحيح الجامع

[4] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج3:ص248)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 2444,3039، وأخرجه البيهقي في فضائل الأوقات للبيهقي حديث رقم 279.

[5] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 883، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 23196، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج3:ص242)،.

[6] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 850، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1375،.(

[7] - (حسن) صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (3/ 98)تحقيق الألباني :حسن ، المشكاة (1398 و 1399) ، الروض النضير (408) ، التعليق الرغيب (1 / 253)

أربعة من الله ببعيد لقد سمعت رسول الله يقول : (الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم إلى الجمعات الأول , ثم الثاني, ثم الثالث , ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد ويقول : (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة[1] ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)[2]وإن الملائكة تسجل لكل فرد فضله في السبق إلى الجمعة فعن أبى سعيد عن النبي قال : (إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد يكتبون من جاء من الناس على قدر منازلهم فرجل قدم جزورا[3] ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة ورجل قدم دجاجة ورجل قدم عصفورا ورجل قدم بيضة فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر)[4] .

10- **ويكره إيذاء الناس بتخطي رقابهم** : إذا تأخر إلا أن كان إماما أو وجد فرجة في الصف ويريد سدادها (جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال النبي ﷺ:اجلس فقد آذيت وآنيت)[5] أي آذَيْت الناس بِتَخَطِّيك وأخَّرت المجيء وأبطأت.

11- **ويسن التنقل قبل صلاة الجمعة ما لم يصعد الإمام المنبر** : فكيف عن الصلاة بعد صعوده إلا تحية المسجد فإنها تصلى أثناء الخطبة مع تخفيفها

---

[1] - البَدَنَة تقع على الجمل والناقة والبقرة وهي بالإبل أشبه . وسميت بدَنةً لِعِظَمِها وسِمْنَها (النهاية في غريب الأثر (1/ 269، بترقيم الشاملة آليا)

[2] - (صحيح) تحقيق الألباني(صحيح). أخرجه مالك في الموطأ برواية يحيى الليثي حديث رقم 227، وأخرجه مالك في الموطأ برواية الزهري حديث رقم 432..

[3] - جزورا بفتح الجيم هو البعير ذكرا كان أو أنثى(حاشية السندي على النسائي (1/ 162)

[4] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 11360 صحيح وضعيف الجامع الصغير (2/ 276)(صحيح) انظر حديث رقم : 774 في صحيح الجامع .

[5] (صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1118، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1365,1399، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 15021,17244، وأخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم1706، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2790، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص288)،(ج:3ص499).

والإسراع بها وقد اختلف الفقهاء فيها فعن مالك وأبى حنيفة لا صلاة والإمام على المنبر .وعن أحمد والشافعي فهي يجوز صلاة تحية المسجد بتجاوز وسرعة للحديث (إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما)[1] وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ويحدث أن رسول الله كان يفعل ذلك إشارة إلى أن بعض الناس سيصلون بعدما يجلسون والإمام على المنبر قبل الصلاة .

12- وعلى المصلي أن يحرص على المحافظة على صلاة الجمعة بالإنصات إلى الخطبة واستيعابها والاستفادة منها والعمل بما يقول الإمام وعدم الانتقال عنها بالحديث إلى الجار أو اللعب بشيء في اليد وقد شبه الرسول بمن يتحدث إلى جاره بأنه كالحمار يحمل أسفار أو الذي يقول له أنصت لا تنعقد له ثواب الجمعة : ففي الحديث :(إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت)[2].

<u>الجمعة</u> :

أ- وجوبها .

ب - الترهيب من تركها .

ج - اختلاف أغراض الناس نحو الجمعة .

نتحدث إليكم عن وجوب صلاة الجمعة والترهيب من تركها , واختلاف الناس في أدائها وعدم أدائها والمحافظة عليها .

أما وجوبها : فلقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[3] .وما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ يقول (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم يعني

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 878، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13996،

[2] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 934، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 852، ،

[3] - سورة الجمعة9

يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد)[1].

الترهيب من تركها : قال الرسول في قوم يتخلفون عن الجمعة أنهم يستحقون إحراق بيوتهم عليهم فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم)[2] .وبين في حديث .آخر أن من استغنى عن الجمعة فقال : (لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم وليكونن من الغافلين)[3].وقال: (من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه)[4]وفي رواية (من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فهو منافق)[5].

ج- اختلاف الناس في أداء صلاة الجمعة وعدم أدائها إلى أصناف متباينة :-

أ -منهم من يؤديها كاملة بواجباتها وسننها وآدابها قد فرغ نفسه في ذلك اليوم لربه فهو له البشرى والفوز العظيم :{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ }[6]ويقول الله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [7] ويقول الله تعالى {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [8] .ويقول الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[9].

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 876، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 856.

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 654، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 3806,4384.

[3] -(صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (4/ 378)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((الصحيحة)) (2967). أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2785، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 5742.

[4] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1052، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1396، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 15072، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص280)، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 465،.

[5] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1052، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1396، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 15072، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص280)، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 465، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 1666،.

[6] - سورة محمد17

[7] - سورة المؤمنون1-2

[8] - سورة المؤمنون9- 11

[9] - سورة النحل97

ب – ومنهم من يقوم بها رياء ونفاقا ليذكر بالثناء عند الناس يخشى الناس ولا يخشى الله فإذا ما أنفق ماله للفقراء يعمد إنفاقها أمام الناس ليقال عنه إنه محسن , وإذا أراد الصلاة صلاها أمام الناس ليقال عنه إنه رجل عابد .{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[1] ويقول الله تعالى {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ .الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ.وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}[2]فهذه العبادات انقلبت إلى معاصي شائنة تلطخ جبين القائم بها بغضب الله وسخطه لأنها صدرت عن قلب مذبذب وخرجت عن نية خبيثة يريد بها السمعة والتشهير : ففي الحديث:(من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به)[3]ويقول الله فيهم :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً }[4].ثم يبين سلوكهم ومنهاجهم فى الحياة :{مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً }[5] ويبن مصيرهم {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً }[6] وقد سماه النبي شركا أصغر فعن محمد وبن لبيد أن النبي ﷺ قال :(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)[7].

---

[1] - سورة البقرة264
[2] - سورة الماعون 4-7
[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6499,7152، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2988.
[4] - سورة النساء142
[5] - سورة النساء143
[6] - سورة النساء145
[7] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 23118,23124، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 4301، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 6831، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 4135، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 178.

ج– ومنهم من لا يؤدى صلاة الجمعة مطلقا حتى ولا الصلوات الخمس : وقد جرمه القرآن وبينت السنة فيه أنه لا يستحق العيش بجانب هؤلاء الذين طهرت قلوبهم وصفت نفوسهم : {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ }[1] ويقول النبي (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له برهان ولا نور ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف)[2].

د – ومنهم من لا يصلي إلا يوم الجمعة فقط كما يفعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى حين لا يذه ب اليهود إلى معابدهم إلا يوم السبت , والنصارى إلى كنائسهم يوم الأحد ويترك بقية الأيام دون صلاة تكفر عنه خطيئته وتمسح عنه آثامه وذنوبه , وتقربه من ربه , وتمسح عنه آثامه الماضية وزلاته السالفة وهذا نسأل الله له الهداية إلى الصراط المستقيم , فترك الصلاة تحبط الأعمال وتقربه من الكفر ففي الحديث (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)[3] وأمثال هؤلاء يدخلون المسجد وهم متثاقلون من دخولهم المسجد , وإذا جلس يتململ من جلسته في بيت الله كأنه جالس على أشواك وإبر ولا يحب حسابه أن الأسبوع مائه وثمان وستون ساعة يستقطع منها ساعة يراجع فيها نفسه يستمتع إلى الموعظة والتوجيهات ويتوب فيها إلى الله يعاهد الله على العمل بما يسمح والكف عما حرم ونهى إنه يحب الساعة التي يجلسها في المسجد كم من الدنانير ذهبت عنه وولت في صفقة كان سيعقدها ويزين له شيطانه الأثيم

---

[1] - سورة المدثر38 -41

[2] -(حسن) أخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2721، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6540، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1467، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 1108، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم 353، وأخرجه ضياء الدين المقدسي في من حديث عبد الله بن يزيد المقرىء حديث رقم 28، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة(ج1:ص363)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة حديث رقم 486، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 2823، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 3180، وأخرجه ابن الجوزي في التحقيق في مسائل الخلاف حديث رقم 989.

[3] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2621، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 63، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1079، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 22427,22497، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم1454، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (ج1:ص207)، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم 1733، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج3:ص366).

خلوده في الدنيا بقاءه فيها كما أغوى إبليس آدم حين قال له {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى }[1].

هـ– ومنهم من يسمع النداء إلى يوم الجمعة يدعوه إلى ضيافة الله له وإذا سمع النداء وجب عليه أن يترك عمله الدنيوي مهما عظم شأنه {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[2]ويقول الله تعالى { قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً }[3] إن الله يدعوه في قرآنه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[4] .ومع ذلك لا يستجيب لأمر الله ماض في بيعه وشرائه يكتب السحت والحرام مما اكتسبه وقت النداء ومع ذلك يجهر بالحرام (كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه)[5] وما نحن فيه من تمزق وتسلط الغير علينا فبسبب بعدنا عن الله بحب الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله وقد بين النبي ذلك لنا فقال: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم[6] من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها[7] قيل : يا رسول الله ! فمن قلة يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل[8] يجعل الوهن في قلوبكم[9]

---

[1] - سورة طه120
[2] - سورة النحل96
[3] - سورة النساء77
[4] - سورة الجمعة9
[5] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6069، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 3724، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج8:ص328)،.
[6] -(أن تداعي عليكم) بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال (عون المعبود (11/ 272)
[7] - أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا وصفوا كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم(عون المعبود (11/ 272)
[8] - (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) بالضم والمد وبالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم(عون المعبود (11/ 273) هذه الكثرة لا قيمة لها والسبب في ذلك هو عدم القيام بما أوجب الله عز وجل على المسلمين من إظهار الدين، فتغلب عليهم الأعداء، وأصاب المسلمين من أعدائهم الذل بعد أن كان الكفار يهابون المسلمين (شرح سنن أبي داود ـ عبد المحسن العباد (25/ 59)
[9] -" حب الدنيا وكراهية الموت " (شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (15/ 16)

وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت)[1] فإذا ما اصطلحنا مع الله أنزل علينا الخيرات وأحاط بنا بالعناية والرحمات وأكثر لنا من الخير والبركات { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً }[2],وقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[3],وقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ }[4],وقوله تعالى{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }[5]. فعلى هؤلاء أن يتقوا الله وليعلموا أنهم سيموتون ويبعثون ليوم عظيم {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ }[6].ويقول الله تعالى{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }[7].ليذكر كل منا خروجه إلى الدنيا من بطن أم لم يكن معه شيء , ويخرج منها كذلك ولا ينفعك إلا عملك الصالح {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً }[8].ومع ذلك فلم يفرض عليك الإسلام أن تعطل أعمالك طوال يوم الجمعة كما هو الحال عند غيرنا ولكن حيل لك وقتا من صدر النهار إلى الانتهاء من الصلاة فإذا ما انتهيت من صلاتك فلك الخيار أن تسعى على رزقك ولا تتوقف عن الكسب الحلال فهو عبادة والله تعالى يقول {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ

---

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21890، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم 1085، وأخرجه ابن مخلد البزاز في حديث ابن السماك والخلدي حديث رقم 44،الجامع الصغير وزيادته (ص: 1415)قال الشيخ الألباني : (صحيح) .

[2] - سورة الطلاق2

[3] - سورة الأعراف96

[4] - سورة المائدة66

[5] - سورة الأنعام82

[6] - سورة الانفطار19

[7] - سورة الحج2

[8] - سورة الكهف30

تُفْلِحُونَ }[1].ويقول:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[2] فهل نستجيب لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا ونخالف النفس الأمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن لنحيا حياة طيبة ويجزينا الله أجرنا بأحسن مما نعمل   اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

2- العمل والنهى عن المسألة

[1] - سورة الجمعة10
[2] - سورة الملك15

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة العمل والنهى عن المسألة

1- العمل وقود الحياة وعماد النهضة ودعامة الحضارة وبدونه يكون الخراب.

2- لا غايةٍ بدون وسيلة , وأرزاق العباد في خزائن عند الله ومفاتيحها العمل والسعي .

3- والقرآن يشيد بالسعي لطلب الرزق ويغالي بقيمته وقد أرشد مريم وهي تعاني من ألم الوضع بأن تعمل على هز النخلة , ونرى بير زمزم نبع بسبب سعي هاجر من الصفا إلى المروة تطلب غوثا لولدها ونجد الطيور تسعى على رزقها صباحا وتعود بطانا وفى الحديث (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا خماصا[1] وتروح بطانا)[2] ..

4- آيات القرآن تحدثت عن العمل والعاملين في ثلاثمائة وستين آية لها .

5- العمل في الإسلام تتسع دائرته لكل ما هو مفيد {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [3] .العمل في الإسلام قرين الصلاة والجهاد والحج {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [4] ويقول الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ }[5] ويقول الله تعالى

---

[1] - (تغدو خماصا) جمع خميص أي جائع خماصا: ضامرة البطون من الجوع.تروح: ترجع آخر النهار .بطانا : ممتلئة البطون . (التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية (ص: 103)

[2] - (صحيح) صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (9/ 164)تحقيق الألباني :صحيح تخريج المختارة (217 - 218) ، الصحيحة (310) ، أحاديث البيوع

[3] - سورة الملك15

[4] - سورة الجمعة10

[5] - سورة المزمل20

{وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[1]

6– حب العمل شرفا أن رسول الله تفتحت عيناه على العمل فكان يرعى الغنم ويتاجر في مال خديجة ويذكر أحاديث الحث على العمل والسعي وإتقان العمل والصنعة .ورسو ل الله وضع إشارة الفخر والتقدير على صدور العاملين: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)[2]ويقول (ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة)[3].

7 – أمثلة رائدة لمن كان يعمل من الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم (كان داود لا يأكل إلا من عمل يده)[4]

8 – المسلم مطالب بأن يعمل في آخر لحظة من حياته .

9 – والإسلام يمقت البطالة ويكرهها إن الله يحب العامل المحترف ويكره الصحيح الفارغ .وحكم للحسن وعلي وعمر .

10 – ليس في قاموس العمل في الإسلام كله كلمة التسول والشحاتة لأن عزة المؤمن وذل السؤال لا يجتمعان وقد أثنى الله على أهل الصفة وهم الفقراء المحاويج بأن الجاهل بهم يحسبهم أغنياء من التعفف .

11 – تحريم الإسلام للسؤال والمنهج العلمي للرسول في القضاء على البطالة ومنع التسول .

1 –العمل وقود الحياة وعماد النهضة ودعامة الحضارة وأساس الرغد والرخاء وبدون العمل يكون الخراب الرهيب والموت الكئيب .

---

[1] - سورة الحج27

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2072، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 1992، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 1224،.

[3] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2138.

[4] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص119)، وأخرجه أبو بكر الخلال في الحث على التجارة والصناعة للخلال حديث رقم 67

2 - إنه لا غاية بدون وسيلة ولا ثمرة من غير جهد وعمل , وأرزاق العباد في خزائن عند الله ولتلك الخزائن مفاتيح هي الحركة والسعي والعمل .والقرآن يشيد بالسعي لطلب الرزق ولا يقال بقيمته , وقد أرشد الله مريم وهى تعاني ضعف الولادة إلى رزقها الذي ساقه الله إليها وهي أن تقوم بالعمل الذي تطيقه لتنال رزقها : {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً .وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً .فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } [1]. والسيدة هاجر نجد أنها كانت تسعى بين الصفا والمروة لتطاب غوثا لولدها إسماعيل الذي يتشحط [2] من الجوع والعطش فأرسل الله جبريل ضرب بجناحه الأرض فانفجرت زمزم ليشرب الناس منها إلى يوم القيامة وكان ذلك من بركة سعيها , وحركتها ونجد الطيور السابحة في جو السماء لا تملأ حواصلها من حبات الأرض إلا بحكة تتمثل في غدوها ورواحها يقول النبي ﷺ: (لو توكلون على الله حق توكله لرزقكم الله كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا) [3].

4 – ومما يدل على عناية الإسلام بالعمل : أن آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن العمل والعمال بلغت نحو ثلاثمائة وستين آية منها قول الحق تبارك وتعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } [4] ويقول الله تعالى{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [5] وقال عن داود {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

---

[1] - سورة مريم24-26

[2] - يتشحط : بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية أيضا، بعدها شين معجمة، ثم حاء مهملة مشددة، بعدها طاء. يعنى: يضطرب ويتخبط. (تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام (2/ 125)

[3] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 730، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 247، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 1183.

[4] - سورة الكهف30

[5] - سورة التوبة105

لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ }[1] أي علم داود صنعة الدروع لتحميكم من شدة القتال .

5 – والعمل في نظر الإسلام ليس خاصا بالأعمال ذات الطابع الديني الروحي كالصيام والصلاة والحج ولكن العمل تتسع دائرتة ويمتد إطاره فيشمل كل بناء مستمر , وكل سعى لخير البشرية وسعادتها ,ولحفظ كيان الجماعة الإنسانية وسيادتها سواء كان العمل في الأرض وفى البحر , وفى الجو, يعمل زارعا , أو تاجرا , أو صانعا , أو منفردا أو شريكا مع غيره دون خيانة أو غدر ومما يشير إلى أن ساحة العمل واسعة قول الله تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[2].

6 – العمل في الإسلام قرين الصلاة والجهاد والحج وهو والطاعات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه في كفتي ميزان متعادلتين لا يميل إحداهما عن الأخرى .

أ – أما الصلاة ففي قول الله تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[3] يرشدهم إلى أنهم لا يطول مكثهم في المسجد بعد الصلاة فعليهم أن ينصرفوا إلى أعمالهم في فجاج الأرض الواسعة , فالإسلام دين ودنيا , صلاة وسع ي , عبادة وتجارة وصناعة وزراعة ووظيفة , ومسجد ومعمل , {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[4].

ب – وقد خفف الله عن أمة محمد أعباء قيام الليل حتى يستطيعوا ممارسة أعمالهم في كسب قوتهم {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ

---

[1] - سورة الأنبياء80
[2] - سورة الملك15
[3] - سورة الجمعة10
[4] - سورة آل عمران85

عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[1].

ج – وقرن العمل في الحج ليشهد الناس فيه منافع متباينة {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }[2].وفيه طواف وسعى وحركة بالذهاب إلى عرفات والإفاضة إلى مزدلفة ورم ي الجمرات , والذبح , والنظافة بالحلق أو التقصير .

7 – وحب العمل شرفا أن الرسول تفتحت عيناه أول ما تفتح ت على السعي والعمل :فرعى الغنم وهو صغير وكان يرعها كما رعاها إخوته الأنبياء من قبل فقد روى أنس عن النبي قوله (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط)[3].وشارك في التجارة عاملا أمينا في مال خديجة وكان يقدس العمل ويحب العاملين فهو القائل عليه السلام : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) [4].وقال(لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[5] ويقول (خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح)[6]. ويقول(يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن)[7].

8 – ورسول الله هو الذي وضع بيده الشريفة على صدر العمال والعاملين شارات الفخر والتقدير التي يفخر بها كل عامل ويعتز بها كل صانع (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين

---

[1] - سورة المزمل20

[2] - سورة الحج27

[3] - (صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2149، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 6:ص117)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (ج1:ص59.

[4] -(صحيح) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 4386، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم1344، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة (ج4:ص332)، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 692.

[5] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1470,1471,1480.

[6] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8207، وأخرجه ابن المقرئ في معجمه حديث رقم 883، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي حديث رقم 1152.

[7] -(**حسن**) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5313، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم 5907.

شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان)[1].

"الساعي على الأرملة والمساكين، كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل "[2]. ويقول (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)[3]

9 – أمثلة رائدة لمن كان يعمل من الأنبياء والتابعين من الصحابة وغيرهم :

أ – فنوح عليه السلام اشتغل بالتجارة ثم عمل بالنجارة حين صنع السفينة بوحي من الله له .

ب – واشتغل إبراهيم بالتجارة في بدء حياته ثم هاجر إلى بلاد الكنعانيين وعمل بالتجارة ولما هاجر إلى مصر عمل بالتجارة ثم عاد إلى بلاده فاشتغل برعي البقر والغنم حتى ضاق الوادي بماشيته وماشيه ابن أخيه لوط .

ج– وعمل موسى أجيرا عند الشيخ الكبير شعيب عليه السلام في أهل مدين .

د– وعمل عبد الرحمن بن عوف تاجرا حتى ترك لأهله ذهبا يكسر بالفؤوس من عمله بالتجارة وسماه الرسول تاجر الرحمن, وأبى عرض سعد بن الربيع عليه في بادىء هجرته قائلا له بارك الله لك في أهلك ومالك أنا رجل تاجر دلني على السوق)[4] وعمل أبو بكر تاجرا حتى يوم أن بايعه المسلمون خليفة لولا أن رده عمر من الذهاب إلى السوق .وكان عمر يعمل دلالا يسعى بين البائع والمشترى وكان يقول : (ما من يوم يأتيني الموت فيه أحب إلى من يوم أسوق فيه لأهلي أبيع وأشترى), وكان عثمان بن عفان تاجرا ناجحا , وروى عن ابن

---

[1] - (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 60، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 6835، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 282، وأخرجه بحشل في تاريخ واسط (ج1:ص163).

[2] - (صحيح) صحيح الأدب المفرد (1/ 64) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج6:ص283)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 131.

[3] -(صحيح) الجامع الصغير وزيادته (ص: 236)قال الشيخ الألباني : (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4742.

[4] - السيرة النبوية (2/ 324)

عباس أن عليا أجر نفسه من يهودي يسقى له دله بتمرة , وسعد كان يبرى النبال , وعمرو بن العاص كان بستانيا .

10 – المسلم مطالب بأن يعمل إلى آخر لحظة من حياته فمن أدركته القيامة وقد شرع في عمله فعليه أن يتمه , وإن كان لا يجري من ورائه ثمرة ولكن حسبه أنه أدى واجبه ونال أجره من الله ففي الحديث الصحيح : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة[1] ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[2] .

11 – وإذا كان الإسلام يحب العمل ويمجده فهو يكره البطالة ويمقتها ففي الأثر (إن الله يحب العبد المحترف وإن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ)[3] (وقال رجل للحسن إني أنشر مصحفي فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشي ويكون يومك في صنعتك وما لا بد منه ومر رحمه الله تعالى باسكافي فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل)[4] وعن علي (قال لابنه الحسن: يا بني، اسْتَغْنِ عمن شئت تكن نظيرهُ، وسل من شئت تكن حقيرة ، وأعط من شئت تكن أميره.)[5] وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني)[6] .

12 – وليس في قاموس الإسلام في العمل كله كلمه اسمها (التسول) فلا يكره الإسلام شيئا كراهته للسؤال إنه يعتبره مهانة وذلا { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

---

[1] - (فسيلة) أي نخلة صغيرة إذ الفسيل صغار النخل وهي الودي (التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 756) فيض القدير (3/ 40)

[2] -(صحيح) أورده البوصيري في إتحاف الخيرة (ج4:ص333)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم 1216، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1249، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 479. الجامع الصغير وزيادته (ص: 231)قال الشيخ الألباني : (صحيح) .

[3] - المستطرف في كل فن مستظرف ج 2 ص 126- الآداب الشرعية ج 3 ص 271

[4] - المستطرف في كل فن مستظرف ج 2 ص 128

[5] - مروج الذهب ج 1 ص 343

[6] - المستطرف في كل فن مستظرف ج 2 ص 126

وَلِلْمُؤْمِنِينَ }[1].ولقد أتى على المسلمين زمان كان يقع سوط أحدهم على الأرض وهو راكب لا يسأل أحدا أن يناوله إياه , وكان أهل الصفه وهم فقراء المهاجرين أعظم الناس حاجة وأشدهم جوعا وفقرا ولكنهم تعففوا عن السؤال حتى ظنهم الناس أنهم أغنياء وهم المحاويج الفقراء (لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)[2] وأثنى الله على الصفة بقوله(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)[3] لأن ذل السؤال وعزة المؤمن لا يجتمعان أبدا في نفس إنسان واحد.ومن هنا تجيء الأحاديث التي تهدد السائلين يوم القيامة بأن وجوههم لا يكون فيها قطعة لحم , وأن ما يأخذونه من الناس إنما هي جمرات ملتهبة والرسول حرم المسألة ومنعها وعلم الناس كيف يسعون على قوتهم بدل السؤال .وجاءت الأحاديث تستنكر السؤال(ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)[4] ويقول(من سأل الناس ليثري ماله فإنما هو رضف[5] من النار يتلهبه من شاء فليقل ومن شاء فليكثر)[6] ويقول (من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل إلحافا[7])[8] ويقول (من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش[9] أو خدوش[10] أو

---

[1] - سورة المنافقون8
[2] - سورة البقرة273
[3] - سورة البقرة273
[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1042، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 4624.
[5] - الرَضْفَة : حَجر يُحمى بالنار وحجمه رَضَف(غريب الحديث لابن قتيبة (2/ 195) النهاية في غريب الأثر (2/ 560، بترقيم الشاملة آليا)
[6] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 3391، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 10768، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 7538، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 3504، وأخرجه تمام بن محمد الرازي في فوائد تمام الرازي حديث رقم 1771، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال لابن زنجويه حديث رقم 2073، وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار حديث رقم 30.
[7] - (فقد سأل الحافا) أي ملحفا أي سؤال الحاف وهو أن يلازم المسؤل حتى يعطيه(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 767)
[8] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 16786، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار حديث رقم 4891، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 490، وأخرجه الطحاوي في أحكام القرآن حديث رقم 748.
[9] - (خموش) أي جروح وهي الجراحات التي لا أثر لها (عون المعبود (5/ 21)
[10] - خدوش وجروح يعني آثار القشر(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (6/ 530، بترقيم الشاملة آليا)

كدوح[1] قيل : وما الغنى ؟ قال : خمسون درهما أو قيمتها من الذهب)[2] ويقول (من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل[3] أو ليستكثر)[4], وأرشد الرسول إلى السائل بأن يحتطب ويبيعه خير من المسألة . (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)[5].

(العمل في نظر الإسلام وتأمين حقوق العاملين في الإسلام)

إن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ عن ربه هو إيمان وعمل فالإيمان تصديق قلبي لما جاء به النبي محمد ﷺ عن الله , وتسليم بأن هذه التعاليم من الله وحده , بعد النظر والتفكير وإنعام النظر حتى يكون الإيمان تعيينا لا يخالطه شك , ولا يمسسه ريب والإيمان لا يكون له وجود وكيان إلا إذا كان له أثر من آثاره العملية الذي يترجم على الجوارح قولا وعملا .وما قام كيان لأمة , وظهر لها أثر ووجود إلا بإيمان أفرادها أيمانا يملك عليهم كل شيء في حياتهم ثم التكاتف القلبي والعملي في تحقيق المبادىء السامية والدفاع عنها دفاعا مستميتا ولقد ذكر لنا القرآن أن أصحاب الجنان وظلال الرضوان , والمتمكنين في الأرض , وأصحاب الغلبة على أعدائهم , هم المؤمنون العاملون قال تعالى : {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[6] ويقول الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }[7] ويقول الله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ

---

[1] -(يكدح) بفتح الدال أي يجرح ويخدش-(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (6/ 530، بترقيم الشاملة آليا)

[2] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 650، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 1:ص407)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص23)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 1913، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم 479،

[3] - (فليستقل) أي من ذلك السؤال أو من المال أو الجمر(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 816)

[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1043.

[5] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2074,2374.

[6] - سورة البقرة82

[7] - سورة يونس9

بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[1].ولقد قال رسول الله ﷺ : " من القوم ؟ أو : من الوفد ؟ " قالوا : ربيعة . قال : " مرحبا بالقوم أو : بالوفد غير خزايا ولا ندامى " . قالوا : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده قال : " أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس)[2]والإسلام حين يدعو أبناءه إلى العمل الذي يعود على النفس بالخير وعلى الوطن بالبر والفضل إنما يقدر لهؤلاء العاملين جزاءهم , ويهيىء لهم مكانتهم حتى يكون ذلك دافعا إلى زيادة العمل والتنافس في الإنتاج وإتقانه , وزيادة الدخل للأسرة لتشعر بعيش ورغد الحياة سعيدة مستقرة قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [3] ويقول الله تعالى{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [4] والنبي ﷺ يقول : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)[5]والإسلام وجهنا إلى السعي في الأرض , والسير في أرجائها , والبحث عما تضمره من كنوز ,واستثارة ما بها من ذرات , ولم يحدد للمسلم يوما للراحة

[1] - سورة النور55-56
[2] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 53، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 8090، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم 361.
[3] - سورة النحل97
[4] - سورة التوبة105
[5] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2072، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 1992، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 1224،

والاستكانة , بل أمره بعد الانتهاء من صلاة الجمعة , بأن ينتشر في الأرض ويبتغى من فضل الله وأن يكون لسانه رطبا بذكر الله , وعقله قائما بالتفكير فيما خلق الله في السماوات والأرض رهبة من الله وطمعا في رحمته قال : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [1] وقال {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [2] والنبي ﷺ يقول : (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) [3]. وقد حارب التواكل والاستكانة واتخاذ التسول مهنة وحرفة وربى المسلم على العزة والإباء فلا يسأل أحدا غير الله , وأن يكتم شدته على الناس صبرا وجلدا , وأن يسعى سعيا دائبا في تصفح وجوه الرزق والنبي ﷺ يقول : (إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفس فمبارك له فيه ومن أعطيته عن مسألة وشره نفس كان كالذي يأكل ولا يشبع) [4] ويقول: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم) [5]. وكل عمل لا بد له من تخطيط ودراسة علمية مستفيضة له من كافة الوجوه حتى يخرج العمل إلى الوجود في أجمل صورة وأبهى حلة وأكمل إتقان (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) [6] ولقد ركب الله فينا أدوات الإدراك والإحساس لنستخدمها في البحث والنظر ومداومة الإتقان لما نقوم به من عمل {وَاللّهُ

---

[1] - سورة الملك15

[2] - سورة الجمعة10

[3] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1471، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 6:ص152)، وأخرجه عبد الله بن عمر بن أبي نصر القشيري في الأربعين من مسانيد المشايخ العشرين للقشيري حديث رقم 50، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 1223.

[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6427، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1039,1054,1055، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 3227,3401، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج على مسلم حديث رقم2313,2345، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج3:ص197).

[5] - (صحيح) مشكاة المصابيح (1/ 414) 1839 - [3] (متفق عليه)

[6] -(صحيح) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم4386، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم1344، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة (ج4:ص332)، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 692، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 789، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5311,5313,5314

أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [1] ويقول الله تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [2]. ويقول الله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ,أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[3].وكلما كان العمل متقنا ارتفعت قيمته وعلت درجته وسمت مكانته عند الله إذا أخلص العامل فيه وحين يطلب الجزاء من الله كانت المثوبة له أكبر والجزاء الكريم له ويقول الله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[4] .وأجر العامل حق واجب له , فرضه الإسلام على من استعمله فمن ظلمه إياه , أو أخر عنه أجره فقد خسر خسرانا مبينا والنبي ﷺ يقول : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)[5] ونهى رسول الله ﷺ عن استئجار الأجير حتى يتبين له أجره , فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حر فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[6] .ولقد أمن الإسلام حقوق العاملين فكما أن العامل أخذ أجره على عمله , كذلك يقدم للأمة عمله بقدر ما يأخذ , والحقوق والواجبات من

---

[1] - سورة النحل78

[2] - سورة البقرة31 -32

[3] - سبأ 10 -11

[4] - سورة البقرة25

[5] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2443، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج6:ص120)، وأخرجه الشهاب في مسنده حديث رقم 744، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 20.

[6] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2227,2270، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2442، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8477، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 7339، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم 562.

لوازم استقامة العمل وتأمينه , فكما أن العامل له حق فعليه واجب يؤديه , ويوزع الإسلام العمل على أصحاب الحقوق حتى لا يظلم أحد في حقه , وفى ذلك من التقسيم العادل مالا يتصور في أي مذهب من المذاهب المعاصرة الإصلاحية فقد سبق الإسلام كل النظم التي تدعي التقدم والسبق على غيرها في دقة وحذر مراعيا كافة الظروف والأحوال دون تقصير في أدنى أمر من الأمور {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }[1]والنبي يقول(إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه)[2], فهل يفهم المسلمون دينهم بجد وإخلاص ويطبقونه عملا صالحا . اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك ووفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين .

[1] - سورة البقرة286

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1664، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5158، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 6071,6072، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج8:ص5)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 189.

3 خصائص النبوة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة خصائص النبوة رسول الله ﷺ .فعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي

يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[1] .لم تعرف الدنيا رجلا أنا ر وآفاق الأرض بخلقه وعظمته كمحمد ﷺ لقد كان رحمه الله للإنسانية بل للمخلوقات جميعا , ولم يكن هناك نبي رفع الله قدره وأعلى مكانته وسما بذكره , ومنحه من الفضائل والعطاء كما منح الله محمدا ﷺ حيث قال الله له {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [2] وقد قدمه الله على الأنبياء في معرض ذكرهم في أخذ الميثاق عليهم فقال {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } [3] ولم يثن كتاب سماوي على من أنزل عليه كما أثنى القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين فقال {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[4] وأرسله إلى الوجود كله فقال {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [5] وجعل أمته خير الأمم وأعد لها بأن تتخذ الرسول قائدا في سلوكها وشهيدا على تصرفاتها {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } [6].وأنزل عليه كتابا يتأثر به الذاكرون لربهم , والمهتدون بهدى الله فقال {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[7] ومما اختص الله به نبيه أن أعطاه خمسا من الخصائص والفضائل لم يعطهن أحد قبله والعدد هنا ليس مرادا فمزايا الرسول غير محدودة بهذه الخمس فقد ثبت أنه أعطى أكثر منه ا والروايات المتعددة للحديث تشير إلي

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 438، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج5:ص221.

[2] - سورة الشرح4

[3] - سورة الأحزاب7

[4] - سورة القلم4

[5] - سورة سبأ28

[6] - سورة البقرة 143.

[7] - سورة الزمر23

طائفة من هذه الخصائص ففي بعضها (أعطيت جوامع الكلم)[1]، وقال(وختم بي النبيون)[2]،وقال(فضلنا على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها مسجدا وجعل تربتها لنا طهورا وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطه أحد قبلي ولا يعطى أحد بعدي)[3]،ويقول(أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت بين يدي)[4] ويقول (أعطيت الكوثر[5] فضربت بيدي فإذا هي مسكة ذفرة وإذا حصباؤها[6] اللؤلؤ وإذا حافتاه أظنه قال قباب تجري على الأرض جريا ليس بمشقوق)[7]ويقول(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر)[8]ويقول(ما منكم من أحد إلا ومعه شيطان قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم)[9].وقد نصره الله بالرعب وهو الخوف يقذفه الله في قلوب أعدائه وبينه وبينهم مسيرة شهر .

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 523، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1553، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 27496، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2313,6401,6403، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 1169.

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 523، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1553، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 27496، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2313,6401,6403، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 1169.

[3] -(صحيح) أخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 266,267، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1697,6400، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 874، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 7968، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص223)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 2845.

[4] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2977,6998,7013,7273، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 524، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 3087,3089، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7531,9557، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 6363،.

[5] - [أُعْطِيتُ الكَوثَرَ] وهو نَهْر في الجنة(النهاية في غريب الأثر (4/ 382، بترقيم الشاملة آليا)

[6] - (وحصباؤها) أي حصباؤها الصغار التي في الأنهار قاله القارىء وقال صاحب أشعة اللمعات أي حصباؤها التي في الأنهار وغيرها (تحفة الأحوذي (7/ 193)

[7] - (صحيح) أخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6812، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 3290، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 3484.

[8] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2279، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3148,3615، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 10604، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص398)،.

[9] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2816، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 3792، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص327)، .

1- وقد جاء في رواية (نصرت بالرعب فيرعب العدو من مسيرة شهر)[1] وهذا يدل على أن الشهر المذكور إنما أريد به البعد فالمعنى أن الله تعال ى إختص محمدا من بين الأنبياء ، بالنصر عل ى الأعداء بالرعب يقذفه في قلوبهم وإن بعدت عنه الديار ونأت به الأوطان .وإنما خص بالشهر هنا بالذكر لأنه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر من مسيرة شهر والمعنى على هذا نصرت بالرعب على كل أعدائي من قرب منهم ومن بعد .والرعب سلاح من أسلحة الله وهو من أقوى عوامل النصر على الأعداء وذلك حاصل للنبي وإن كان وحده وإنما نصره الله بالرعب لأنه بعث رحمه للعالمين ، فخص بهذا حقنا للدماء حيث كان أعدائه يهابون لقائه فيكفون عن حربه .والرعب الذي ينصر به محمد ليس رعبا مبعثه السيف والقوة ، فلم يكن السيف وسيلة لنشر الدعوة ، ولكنه الرعب الذي يملأ القلوب التي تحمي الباطل ، وتدافع عنه فهي حين تواجه صولة الحق ، وقوة العقيدة تشعر بضعف واستجداء وشتان بين من يقاتل في سبيل حق يعلو ، وبين من يدافع عن باطل منهار {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً }[2] ويقول {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ }[3] ، ويقول {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }[4].لقد بين الله تعالى في هذه الآيات غاية قتال المؤمنين , وغاية قتال الكافرين , وأن أولياء الشيطان ضعفاء لأن كيده ومكره ضعيف أما المؤمنون فهم يقاتلون لأسمى غاية هي مصدر

[1] - (صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (9/ 199)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((الإرواء)) (1/ 316)، ((صحيح أبي داود)) (506).
[2] - سورة النساء76
[3] - سورة آل عمران151
[4] - سورة الأنفال12

القوة والتأييد هي مدد النصر والقهر على الأعداء { وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }[1], وأن الله عز وجل سيلقى الرعب والهلع في قلوب الكافرين والمنحرفين عن الحق , والمشركين به لأنهم يحرصون كل الحرص على الحياة فوق هذه الأرض والتمسك بزخارفها أما المؤمنون فيحرصون على الشهادة في سبيل الله طمعا في جنته ورضوانه , وهؤلاء تكون معهم قوة الله ويرسل الله لهم جنده من الملائكة تثبت المؤمنين وتقذف الرعب في قلوب الخصوم والمعاندين وأن الأعداء يكونون بين أيدي المؤمنين يتصرفون فيهم بأمر الله إما بقتلهم وإما بتعجزهم .ونجد الآيات التي تدل على مدد الله للمؤمنين لكي يتنزل نصرانه على المجاهدين ضد أعدائهم وأن الله جعل ذلك سببا في تعذيب أعداء الحق على أيدي المؤمنين فقال تعالى { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ }[2], ويمن الله على المجاهدين بأن قتل الكافرين على أيدي المؤمنين إنما الحق سبحانه هو الذي تولى ذلك وأن الرامي في صدورهم هو الله حيث يوجه القذائف إلى الأعداء بقدر قرب المؤمنين منه {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى }[3], ولقد أمرنا القرآن بأن نعد لأعدائنا القوة الروحية والمادية على قدر الإستطاعه وبذل الجهد والله تعالى يجبر القصور لا التقصير فقال سبحانه {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُم }[4], ونجد تأييد الحق سبحانه للمؤمنين حيث إن المؤمن الكامل يقف أمام عشرة من أعدائه فإذا ضعف منه الإيمان يقف أمام اثنين فيقول {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ

---

[1] - سورة آل عمران126
[2] - سورة التوبة14
[3] - سورة الأنفال17
[4] - سورة الأنفال60

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }[1] .والمبايعون لرسول الله في صلح الحديبية على استخلاص الحق بالدماء فقد رضي الله عنهم لأنهم يبايعون الله سبحانه فهو ينزل السكينه والنصر والغلبة لهم على أعدائهم والله تعالى يقول : {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً }[2] ويقول الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ }[3] , ويبين أن الغلبة للمؤمنين من قبل أن يلتقي الكافرون بهم فيقول {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً }[4] وإن نصر الله للمؤمنين وإيقاع الرعب بالكافرين لم يكن منحه يمنحها الله لهم بغير ثمن وهو نصر الله بإقرار شريعته وحسن الإيمان به وإخلاص العبادة لله ودوام الدعوة بالأمر بالمعروف والنهى عن ال منكر فقال سبحانه {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }[5] وقال { إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ }[6], والحق سبحانه يؤيد جنده وينصر عبده فهو مصدر الغلبة والقوة فقال سبحانه { وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[7].وقوله { فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }[8] ويقول {وَلَقَدْ

---

[1] - سورة الأنفال65
[2] - سورة الفتح18-21
[3] - سورة الفتح10
[4] - سورة الفتح22
[5] - سورة الحج40، 41
[6] - سورة محمد 7 - 8
[7] - سورة يوسف21
[8] - سورة الصف14

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ *إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[1] ويقذف الله الرهبة والرعب في قلوب المنافقين أعداء الحق لأن الجبن لازمهم فمعاملتهم مع غيرهم تقوم على الكذب والخداع فقال سبحانه { لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ* لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ }[2] هذا هو سلاح الرعب الذي أوتيه محمد ﷺ والمؤمنون إذا استقاموا على الطريقة وانتصروا لله وصبروا على ما أوذوا .

2 – من خصائص النبوة ؟

(وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)

القسم الثاني من خصائص النبوة (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل)[3] لقد جعل الله تعالى لمحمد ﷺ ولأمته الأرض كلها مسجدا فليست الصلاة فرضا في المساجد المقامة وإنما سنها الإسلام للرجال تحقيقا لمبدأ الوحدة والمساواة بين المسلمين , وتحصيلا لثواب الجماعة التي تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فالأرض كلها للمسلم مسجد فأيما رجل أدركته الصلاة فليؤدها حيث أدركته , في السفر أوفى الحضر , في الدور , أو الحقول , أو الحدائق , أو في القطار , أو في السيارة أو الطائرة أو السفينة وذلك مما يسر الله به على هذه الأمة , ورفع الحرج عنها إكراما لنبيها .وأما الأمم السابقة فقد كانت صلاتهم لا تصح إلا في الحضر إلا في أماكن مخصوصة كالصوامع وهى معابد الرهبان , والبيع والكنائس وهى معابد اليهود والنصارى ويؤيد هذا ما جاء في رواية عمر بن شعيب عن النبي

---

[1] - سورة الصافات170-173

[2] - سورة الحشر13-14

[3] -(صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (9/ 162)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((صحيح أبي داود)) (506) , ((الإرواء)) (1/ 315 - 316).

قوله (وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم)[1] وفى حديث ابن عباس رضي الله عنهما (ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه[2])[3]أما صلاتهم في السفر فلم تكن مقيدة بهذه الأماكن الخاصة بدليل ماورد من أن عيسى عليه السلام كان يسبح في الأرض كلها ويصلي حيث أدركته الصلاة .وكذلك جعل الله لأمة محمد الأرض كلها طهورا وليس معنى هذا أنها طاهرة في ذاتها فحسب بل معناه أنها مطهرة لغيرها تستباح بها الصلاة لأن هذا المعنى هو الذي تتحقق به المزية ويؤيده عن انس مرفوعا(جعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا)[4], والأرض الطيبة هي الطاهرة , فلابد أن يكون لجعلها معنى آخر(هو أنها تطهر غيرها فتقوم مقام الماء عند فقده كما قال تعالى (فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً)[5].فمن أدركته الصلاة ولم يجد ماء , أو تعذر عليه استعماله لمرض ضرب الأرض بكفيه ومسح بهما وجهه ويديه إلى مرفقيه كمافي رواية الشيخين والدارقطني .وكان الأنبياء السابقون وأتباعهم يتوضئون لصلوتهم فالأصح أن الوضوء كان في شرع من قبلنا وإن كنا لا نستطيع أن نحدد صفته فقد جاء في البخاري في قصة (سارة) مع الملك الذي أعطاها (هاجر) أنه لما هم بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي , وفى قصة جريج الراهب التي رواها الإمام أحمد أنه قام فتوضأ فصلى ركعتين ثم كلم الغلام .والذي اختصت به هذه الأمة هي الغرة والتحجيل للأصل الوضوء وعن أبى هريرة أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا

---

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7028، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 1050، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 4489.

[2] - المحراب : الموضع العالي المشرف المنعزل المعد للعبادة

[3] - أخرجه البيهقى (433/2 ، رقم 4064) ، والبزار كما فى كشف الأستار (113/3 ، رقم 2366) جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (ص: 4067) مجمع الزوائد (8/ 463) رواه البزار وفيه من لم أعرفهم

[4] -(صحيح) أخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم 117، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم 1449. صحيح وضعيف الجامع الصغير (12/ 358)(صحيح) .

[5] - سورة النساء43

إن شاء الله بكم لاحقون وددت أني قد رأيت إخواننا) قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: (بل أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطكم [1] على الحوض) قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ فقال:(أرأيت لو كانت لرجل خيل غر محجلة[2] في خيل دهم[3] بهم[4] ألا يعرف خيله)؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال:(فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن [5] رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: فسحقا [6] فسحقا فسحقا)[7] وعن بريدة أن النبي ﷺ دعا بوضوء فتوضأ ثم قال: (هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي)[8] .فلم يبيح التيمم للأمم السابقة ولكن اختصت به أمة محمد قال تعالى { وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ }[9]وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء)[10]والمعنى أنه لا مانع يمنع المسلم من أداء صلاته في أي مكان وجد الماء أو لم يجده لأن الصلاة لا تتقيد بمكان , والطهارة لا تتقيد بالماء , فمن وجده توضأ وصلى ومن لم يجده تيمم وصلى .وقد ذكر الفقهاء الأسباب الداعية للتيمم : إذا لم يجد الماء أو وجد منه ما لا

---

[1] - أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء والفارط هو الذي يتقدم الوارد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمر الاستسقاء فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيئ له. (الديباج على مسلم (5/ 309)

[2] - الغرة بياض في وجه الفرس، والتحجيل بياض قوائمه إذا جاوز البياض الأرساغ إلى نصف الوظيف أو نحو ذلك(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (6/ 358) (مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 131)

[3] - (دهم) بضم المهملة وسكون الهاء جمع أدهم وهو الأسود والدهمة السواد(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (6/ 358)

[4] -(بهم) بضم الموحدة وسكون الهاء، قيل معناه السود أيضاً، وقيل البهيم الذي لا يخالط لونه لوناً سواه، سواء كان أبيض أم أحمر بل يكون لونه خالصاً، وهذا قول ابن السكيت وأبي حاتم السجستاني(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (6/ 358)

[5] - أي ليطردن ويروى : فلا تذادن : أي لا تفعلوا فعلا يوجب طردكم عنه والأول أشبه(النهاية في غريب الأثر (2/ 426، بترقيم الشاملة آليا)

[6] - "فسحقا" فمعناه فبعدا والسحق والبعد والإسحاق والإبعاد سواء بمعنى واحد(التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (20/ 262)

[7] -(صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (2/ 343)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((أحكام الجنائز)) (190)، ((الارواء)) (776):.

[8] - (صحيح) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة 1 - 9 (1/ 260)261.أورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 809.

[9] - سورة المائدة6

[10] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 523، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 1:ص213)، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم 418، وأخرجه محمد بن إسحاق الخراساني في مسند السراج حديث رقم 504،

يكفيه للطهارة لحديث عمران ابن حصن رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فصلى بالناس فإذا هو برجل معتزل فقال(يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء قال عليك بالصعيد[1] فإنه يكفيك)[2] .وعن أبى ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال(إن الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين)[3] ومن الأسباب الداعية إلى التيمم إذا كان به جراحة أو مرض وخاف من استعمال الماء زيادة المرض أو تأخر الشفاء سواء عرف ذلك بالتجربة أو بأخبار الثقة من الأطباء لحديث جابر رضي الله عنه خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبر بذلك فقال (قتلوه؛ قاتلهم الله! ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي[4] السؤال !إنما كان يكفيه أن يتيمم، ويعصر أو يعصب؛ شك موسى على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده)[5] ومن الأسباب الداعية للتيمم إذا كان الماء شديد البرودة وغلب على ظنه حصول ضرر باستعماله بشرط أن يعجز عن تسخينه ولو بالأجر , أولا يتيسر دخول الحمام لحديث (عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال يا عمرو

---

[1] - الصعيد : ما تصاعد على وجه الأرض ، بالطاهر . ومن فسره بالتراب ، قال : المراد بالصعيد التراب المنبت (فتح الباري - لابن رجب (2/ 15)

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 344,348، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 321، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 743، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 19396، وأخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 274، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1301,1302.

[3] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 124، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 333، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 20796,20797,20862,21057، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم 712,714، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص212)،(ج1:ص217)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 436.

[4] - " شفاء العِيِّ " العِيّ- بكسر العين المهملة وتشديد الياء-:الجهل(شرح أبي داود للعيني (2/ 153)

[5] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 336، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم 718، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص227)،(ج1:ص228)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 445، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 313، وأخرجه ابن الجوزي في التحقيق في مسائل الخلاف حديث رقم 316، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 373.

صليت بأصحابك وأنت جنب فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)[1].فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا)[2]ومن الأسباب الداعية إلى التيمم إذا كان الماء قريبا منه إلا أنه يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله أو فوت الرفقة أو حال بينه وبين الماء عدو , أو كان مسجونا , أو عجز عن استخراج الماء لفقد آلة الماء كحبل دلو وغيره .ومن الأسباب الداعية إلى التيمم إذا احتاج إلى الماء حالا أو مالا يشربه أو شرب غيره ولو كان كلبا غير عقور , أو احتاج له لعجن أو طبخ , وإزاله نجاسة غير معفو عنها فإنه يتيمم ويحفظ ما معه من الماء , قال الإمام أحمد عدة من الصحابة تيمموا وحبسوا الماء لشفاههم (للشرب)ولا فرق بين المزامل له أو واحد من أهل الركب لأنه لا يخل بالمرافقة ودفعه إلى عطشان يخشى تلفه)[3]ومن الأسباب الداعية إلى التيمم إذا كان قادرا على استعمال الماء لكنه خشي خروج الوقت باستعماله في الوضوء أو الغسل فإنه يتيمم ويصلى ولا يعيد .وقد اختلف الفقهاء فيما يجوز التيمم به من الأرض الطاهرة فقال بعضهم لا يجوز التيمم إلا بالتراب مستدلين بما جاء في بعض الروايات (وجعل ترابها لنا طهورا)[4] , وقال فريق آخر يجوز التيمم بما كان من جنس الأرض فقد قال النبي عليه السلام (وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجدا وطهورا)[5] وهذا الرأي هو الأصح لأن الرسول خرج في غزوة تبوك وكان طريقهم رمالا تزحم بها

---

[1] - سورة النساء29

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 334، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 17356، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص177)، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم 420,421,670، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 133، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص225)،

[3] - المبدع شرح المقنع (1/ 165)

[4] - (صحيح) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (9/ 163)[تعليق الشيخ الألباني]صحيح - ((الإرواء)) (1/ 316): م.

[5] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21631، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 1:ص213)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 6141,8602.

الصحارى وصح عن النبي قوله (فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركتها)[1] وقد أيد ذلك ابن القيم وقال إن فعل الرسول وأصحابه يؤيد ذلك .

3 – خصائص النبوة المحمدية : القسم الثالث

(وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي)[2]

من الأمور التي اختص بها النبي محمد ﷺ ولأمته من بعده أن أباح الله الغنائم للمجاهدين من أمه محمد ﷺ وكانت محرمه على الأمم السابقة قال الخطابي : (كان من تقدم من الأنبياء على ضربين : منهم من لم يؤذن له في الجهاد .فلم تكرر لهم مغانم , ومنهم من أذن لهم فيه ولكن إذا غنموا شيئا لم يحل لهم أن يأكلوه بل كانت تتزل نار من السماء فتأكلها إذا خلت من الفلول أي من الخيانة والسرقة منها .ويكون ذلك دليل قبولها فلما بعث الله محمد ﷺ وأذن له في الجهاد أبيح له ولأمته الانتفاع بالغنيمة تفضلا من الله ورحمة بعباده قال تعالى {فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً }[3] والغنائم جمع غنيمة وهى في اللغة ما يناله الإنسان بسعي وكد .وفى الشرع : هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب والقتال وتسمى الأنفال جمع نفل لأنها زيادة في مال المسلمين وكانت قبائل العرب في الجاهلية قبل الإسلام إذا حاربت وانتصر بعضها على بعض أخذت الغنيمة ووزعتها على المحاربين وجعلت منها نصيبا كبيرا لرئيس القبيلة حيث يأخذ ربعها وما يستحسنه الرئيس ويصطفيه لنفسه , وما يقع في أيدي المقاتلين قبل الموقعة وما يفضل بعد القسمة .والغنائم نوع من الأموال التي يأخذها المسلمون من أعدائهم وقد أحلها الله لهم بالكتاب والسنة وذلك لأن الأمال التي تصل من الكفار إلى المسلمين تسمى(بلأسمين) : غنيمة

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 335,438، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13852، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص308).

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 523، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2467، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 2737,13852,19235,20791,20806,20923، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج 14:ص308)،6462، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص423).

[3] - سورة الأنفال69

وفيء .فالشيء الذي يناله المسلمون من غيرهم بالسعي والقتال وإيجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة فهي ما أخذ من الكفار قهرا بقتال من الغنم وهو الفوز كما أنها تسمى أنفالا لأنها زيادة خص بها الله بها هذه الأمة ففي الحديث:(لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها)[1]

مصرفها وقسمتها : كان أول صدام مسلح بين الرسول وبين المشركين يوم السابع عشر من رمضان من السنه الثانية للهجرة في بدر وقد انتهى الصدام بنصر المسلمين , ولأول مرة يشعر المسلمون بحلاوة النصر ويمكنهم من أعدائهم الذين اضطهدوهم خمسة عش رة عاما {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ }[2] وقد ترك المشركون المنهزمون وراءهم أموالا طائلة فجمعها المنتصرون من المسلمين ثم اختلفوا بينهم فيمن تكون له هذه الأموال ؟ أتكون للذين خرجوا في إثر العد و ؟ أو تكون للذين أحاطوا برسول الله ﷺ وحموه من العدو ؟ فأرشد الله إلى حكمها يرجع إلى الله وإلى رسوله ونزل قول الله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ }[3] أما قسمتها فقد بين القرآن الكريم كيفية تقسيم الغنائم بقول الله تعالى {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[4] فالآية نصت على الخمس يصرف على المصارف التي ذكرها الله سبحانه وهم الله ورسوله وذو القربى واليتامى والمساكين , وابن السبيل وذكر الله هذا تبركا.فسهم الله ورسوله مصرفه مصرف الفيء فينفق منه على الفقراء وفى السلاح , والجهاد ونحو ذلك من ال مصالح العامة (فعن عمرو بن عبسة قال

---

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3085، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4806، وأخرجه الدارقطني في تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان (ج1:ص265)، وأخرجه القاسم بن سلام الهروي في الأموال للقاسم بن سلام حديث رقم 310,768، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 585.

[2] - سورة الحج40

[3] - سورة الأنفال1

[4] - سورة الأنفال41

صلى بنا رسول الله ﷺ إلى بعير من المغنم فلما سلم أخذ وبرة من جنب البعير ثم قال ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس والخمس مردود فيكم)[1] إي ينفق منه على الفقراء , وفى السلاح وفى الجهاد وأربعه أخماسها للمجاهدين .أما نفقات الرسول ﷺ فكانت مما أفاء الله عليه من أم وال بنى النضير .وكل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف يسمى فيئا .قال تعالى {وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}[2]وذلك كأموال بني النضير التي لم يقطع المسلمون لها شقه ولم يلقوا فيها مشقة , لأنهم لم يلتحموا فيها بقتال شديد بل ذهبوا إلى قراها رجالا فقد كانت على ميلين من المدينة وفتحت صلحا فهي للرسول ﷺ خالصة يتصرف فيها كما أمره الله تعالى . فعن عمر قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي ﷺ خاصة فكان ينفق على أهله نفقه سنه وما بقى جعله في الكراع أي الخيل والسلاح عدة في سبيل الله .ففي حياة النبي ﷺ تقسم الغنائم خمسه أخماس خمس للرسول ولذوي قرباه وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ابنا عبد مناف واليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد النبي ﷺ فقيل يسقط سهمه كما سقط سهم ذوى القربى , وإنما يعطون لفقرائهم ولا يعطى أغنيائهم وقيل يصرف سهم الرسول بعده لصالح المسلمين وما فيه قوة لهم وبأس شديد .أما أربعة أخماس الباقية تعطى للجيش ويخص بها الذكور الأحرار البالغون العقلاء , أما النساء والعبيد والصغار والمجانين فإنه لا أسهم لهم لأن الذكورة , والحرية , والبلوغ , والعقل شرط في الإسهام ويستوي في العطاء القوي والضعيف ومن قاتل ومن لم يقاتل. فعن أبي الدرداء قال سمعت النبي ﷺ يقول(ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتتصرون

---

[1] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2755، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 6:ص338)، وأخرجه الجصاص في أحكام القرآن حديث رقم 480.

[2] - سورة الحشر6

بضعفائكم)[1] وعن سعد بن مالك، قال: قلت: يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم، أيكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ قال: (ثكلتك أمك يا ابن أم سعد، وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم)[2] ومن بعثه الأمير لمصلحة الجيش كالبريد والطليقة , والجاسوس يسهم له لم يحضر الواقعة كما كان لعثمان يوم بدر (وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : " إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه)[3].وتقسم الغنيمة على أساس أن يكون للراجل سهم وللفارس ثلاثة وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة بأن النبي ﷺ كان يسهم للفارس وفرسه ثلاثة أسهم(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان وللرجل سهم)[4] أي المجاهد على رجليه .وإنما كان ذلك كذلك لزيادة مؤنة الفرس واحتياجه إلى سايس وقد يكون تأثير الفارس بالفرس في الحرب ثلاثة أضعاف تأثير الراجل وهكذا تكرم هذه الأمة المحمدية بنبيها محمد ﷺ , وتمنع من العطايا والهبات مالا يتحقق لأمم سابقة وذلك من خصوصيات خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلام عليه .

4 – من خصائص نبوه رسول الله عليه وسلم من القسم الرابع من حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم :

(وأعطيت الشفاعة[5])

الشفاعة :

---

[1] -(صحيح) تحقيق الألباني :صحيح ، الصحيحة (779) ، صحيح أبي داود (2335) ، التعليق الرغيب (1 / 24) صحيح وضعيف سنن الترمذي (4/ 202).

[2] -(صحيح لغيره) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 1496.

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3130,3698,4066.

[4] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 4228، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم1554، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2733,2734، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2854، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2472، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 4434,4979، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4811,4814.

[5] -(صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (1/ 316)أخرجه البخارى (93/1 , 121) ومسلم وأبو عوانة والنسائى (73/1 - 120/4) والدارمى (322/1 - 323) والبيهقى (212/1) والسراج (ق 1/47).

إن من خصائص رسولنا الكريم الشفاعة وهي في اللغة من الشفع ضد التوتر لأن الشافع يضم سؤاله إلي المشفوع له والمراد بها عرفا سؤال المرء الخير لغيره وبالنسبة إلي الله عز وجل هو سؤال الله الخير للناس في الآخرة فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب وقد وردت أحاديث يفهم فيها أن النبي صلي الله عليه وسلم أنواعا من الشفاعة منها الشفاعة العظمي لإراحة الناس جميعا من هول الموقف ، ومنها الشفاعة لرفع درجات قوم من أهل الجنة بغير حساب ، ولعدم إدخال أناس النار ، ولإخراج قوم منها بعد أن أدخلوها والراجح أن المراد بالشفاعة التي أختص بها الرسول ﷺ الشفاعة العظمى ، فأنها أكمل أنواع الشفاعة ، وأعمها نفعا ، ولظهور شرفها وفضلها لكل من في الموقف فإن النبي ﷺ يسأل الله سبحانه أن يقضي بين الخلق ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له ، فيغبطه [1] الأولون والأخرون ، ويظهر بذلك فضله عل ى العالمين وهذا هو المقام المحمود الذي وعد به في قول الله سبحانه {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً } [2]، وعن بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال (إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست صاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم)[3]. (وعن أنس أن النبي ﷺ قال : " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا[4] بذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس

---

[1] - الغِبْطَةُ بالكسر أن تتمنى مثل حال المَغْبُوطِ من غير أن تُريد زوالها عنه وليس بحسد تقول غَبَطَهُ بما نال من باب ضرب و غِبْطَةً أيضا فاغْتَبَطَ هو ومثله منعه فامتنع وحبسه فاحتبس و المُغْتَبِطُ بكسر الياء المَغْبوط قال أبو سعيد الاسم الغِبْطَةُ وهي حُسْنُ الحال ومنه قولهم اللهم غَبْطًا لا هبطاً أي نسألك الغِبْطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا)(مختار الصحاح (ص: 488).

[2] - سورة الإسراء79

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1475، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 8725، وأخرجه ابن حجر في التغليق (ج3:ص24)،(ج3:ص26)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد لابن خزيمة حديث رقم 348,463، وأخرجه ابن منده في الإيمان (ج2:ص833).

[4] - (حتى يهموا) : بضم التحتية ، أي : يحزنوا(حاشية السندى على صحيح البخارى (4/ 138)

خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناكم [1]. ويذكر خطيئته التي أصاب : أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب : سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . قال : فيأتون إبراهيم فيقول : إني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا . قال : فيأتون موسى فيقول : إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته " قال : " فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " . قال : " فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول : ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه " . قال : " فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء تحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره . فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا . فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه . قال : " فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه " . قال : " فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن " أي وجب عليه الخلود ثم تلا

---

[1] - أي لست أهلا لذلك. (الديباج على مسلم (1/ 254)

هذه الآية { عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً }[1] قال : " وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم "[2] أي من وجب عليه الخلود إن الشفاعة التي اختص الله بها محمدا ﷺ ليست بالمعنى المعروف عند الناس وهى أن يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل أمر كان يريد خلافه , أو ترك شيء اتجهت إرادته إلى فعله فلا تتحقق الشفاعة بهذا المعنى إلا بنقض الإرادة وفسخها إكراما للشفيع ولا تخفى أن ذلك محال على الله فما كان الله أن يرجع عن شيء أراده .إن الشفاعة التي اختص بها النبي ﷺ هي الشفاعة الكبرى فعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : (إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر)[3] وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات فهي مشروطة :بأن تكون بإذن الله لقوله تعالى {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }[4] { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }[5] وأن تكون لمن أرتضى الله أن يشفع له سبحانه { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }[6] {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً }[7] {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً }[8] {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }[9] ولا يرضى الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه تنفيذا للإرادة الإلهية عقب دعائه وطلبه من الله .وما كان لنبي أن يفرض رأيا أو يقرر حكما على ربه فهذا مستحيل قال

---

[1] - سورة الإسراء79

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 4476,6565,7410,7440، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 194.

[3] -(حسن) مشكاة المصابيح (3/ 253) 5768 - [30] رواه الترمذي .

[4] - سورة الزمر44

[5] - سورة البقرة255

[6] - سورة الأنبياء28

[7] - سورة مريم87

[8] - سورة طه109

[9] - سورة سبأ23

تعالى {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [1] وقوله سبحانه {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً } [2] فلا كلام إلا بإذن , ولا كلام إلا بصواب ومرد الأمر لله وحده {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } [3] هناك بعض الناس المنحرفون عن القصد ويرتكبون الموبقات ويعتقدون أن شفاعة النبي ﷺ جزاء الله لهم وهذا ضرب من الخلط والخطأ الفاحش. إن جزاء الله حق وأنه يتناول ابذره[4] وما قل منها من خير أو شر وأن ذلك يعم الناس أجمعين قال تعالى {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ } [5] وقال {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } [6]فليس للشفاعة هذا النطاق الواسع الذي يبرر الخطأ دون إصرارهم وما تفيدهم أمانيهم فيها شيئا وقد بين الله سبحانه أن الشفاعة لا تجدي على كافر وقد كان الوثنيون يعتمدون على وثنهم ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ }[7] فأيأسهم الله من الاعتماد على هؤلاء الشفعاء بقوله سبحانه: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ . مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

---

[1] - سورة سبأ23
[2] - سورة النبأ38
[3] - سورة الانفطار19
[4] – (بذر) الباء والذال والراء أصلٌ واحد، وهو نَثْرُ الشيءِ وتفريقُه. يقال بذرْتُ البَذْرَ أبْذُرُه بَذْراً، وبذَّرت المالَ أبَذِّرُه تبذيراً. قال الله تعالى: { وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً. إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ } .[الإسراء 26- 27]. والبُذُر القومُ لا يكتمُون حديثاً ولا يحفَظُون ألسِنتَهم. قال عليٌّ عليه السلام: "أُولئك مَصابيحُ الدُّجَى، ليسوا بالمَسَاييح ولا المَذَاييع البُذُر" فالمذاييع الذين يُذيعون(معجم مقاييس اللغة (1/ 208)
[5] - سورة الزلزلة7-8
[6] - سورة يونس61
[7] - سورة يونس18

الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ. فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}[1] وأما الخطاءون الذين يعتقدون أن الشفاعة ستوقف لهم الجزاء المحتوم عليهم من الله فقد أخطأوا الظن والله تبارك وتعالى يقول {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}[2] والنفس المثقلة بالخطايا ولو كانت لرجل من المصلين لا يفوتها جزاؤها قال تعالى: { لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً * وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}[3] .إن أتباع الدين يجب أن يعرفوا أن الحساب الإلهي لا يغفل الذرة من الخير أو الشر وأن هذه الدقة تنفي كل تصرف ينطوي على الفوضى , وكيل الجزاء جزافا وقد ندد القرآن الكريم باليهود لما سرت بينهم هذه الآراء الغريبة حتى ظن عامتهم أن الجنة حكر لهم ولذريتهم ولأمر ما أقبلوا على ملذات العيش الأدنى ويقولون في يقين سيغفر لنا قال تعالى {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }[4] إن الحديث الذي رواه الشيخان في شفاعة النبي ﷺ لا يبطل الجزاء المحتوم فقد قال رسول الله ﷺ : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة[5] إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك

---

[1] - سورة المدثر 38-48
[2] - سورة فاطر18
[3] - سورة النساء123-125
[4] - سورة الأعراف169
[5] -((نائلة)) وأصله من نال الشيء إذا ظفر به(المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (3/ 80)

بالله شيئا)[1].فهل معنى هذا الحديث من أن الشفاعة التي يرجوها الرسول تنقذ مرتكبي الفواحش والمناكر ممن ماتوا لا يشركون بالله شيئا دون أن يستوفوا جزاءهم ؟ إن النبي ﷺ يرد على هذا الزعم بنفسه فقد روى البخاري حديثا يصف فيه أهوال الحشر وأحوال أهل النار قال فيه : (يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ الرسل وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم . وفي جهنم كلاليب[2] مثل شوك السعدان[3] ولا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق[4] بعمله ومنهم من يخردل[5] ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله تعالى على النار أن تأكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا[6] فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[7] ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول : يا رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشيني ريحها وأحرقني ذكاؤها . فيقول : هل عسيت إن أفعل ذلك أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : ولا وعزتك فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله

---

[1] -(صحيح) رواه مسلم وللبخاري أقصر منه مشكاة المصابيح (2/ 1) 2223 - [1] أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم 191، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 2328، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 1913، وأخرجه الدوري في حديث ابن كرامة حديث رقم 1، وأخرجه محمد بن مخلد الدوري في حديث طاهر بن خالد بن نزار لمحمد بن مخلد حديث رقم 1، وأخرجه محمد بن يحيى الذهلي في منتخب من حديث الزهري للذهلي حديث رقم 14، وأخرجه ابن شاهين في من حديث ابن شاهين (ج1:ص24)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد لابن خزيمة حديث رقم366، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 8732، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير حديث رقم 2530.

[2] - الكلاليب فجمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم(شرح النووي على مسلم (3/ 21)

[3] - السعدان فبفتح السين وإسكان العين المهملة وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب .(شرح النووي على مسلم - مشكول (1/ 323)

[4] -(يوبق) : إذا هلك(شرح النووي على مسلم - مشكول (1/ 192)

[5] - (ومنهم من يخردل) بخاء معجمة ودال مهمة، وعن عبيد بالذال المعجمة، أي يقطع صغارًا كالخردل (شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (2/ 116)

[6] - امتحشوا بفتح التاء والحاء المهملة وإعجام الشين أي احترقو(شرح السيوطي على مسلم (1/ 232)

[7] - (تكون في حميل السيل) وهو ما حمله السيل في سرعة فتخرج لضعفها صفراء متلونة وذا كناية عن سرعة نباتهم وضعف حالهم ثم تشتدّ قواهم ويصيرون إلى منازلهم(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 463)

وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال : يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى : أليس أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت . فيقول : يا رب لا أكون أشقى خلقك . فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره . فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول : يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى : ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت . فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة . فيقول : تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله تعالى : تمن من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله : لك ذلك ومثله معه)[1].وهذا الحديث يفيد أن من المسلمين الذين يعبدون الله وحده قوما سيدخلون النار.وأن له ﷺ سينال من ملامحهم فلا يعرفون إلا بآثار السجود , وأن رحمة الله فحسب هي التي تدركهم فتنقذهم مما يعانون من بلاء ثم تغسل أو زارهم[2] الأولى بماء الحياة لينبتوا بعد خلقا جديدا ليصح للنعيم والرضوان .إن الجزاء حق, والأخرة هي دار المستقبل والقرار, وأن الدنيا صفر بعد ارتحالنا عنها إلا بما نتزود به فيها فلو علم الناس ما فيها ما ضيع عمره وما احتسب وقته أهون ما لديه من متاع (وقال علي بن أبي طالب: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل» {بمزحزحه} [البقرة: 96].[3]إن الدين الحق , هو

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 806، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7868,27223.
[2] - (الوزر) الحمل الثقيل والسلاح والذنب(المعجم الوسيط (2/ 1028)
[3] - (صحيح) جامع الأصول في أحاديث الرسول (4/ 510)2610 أخرجه البخاري

إسلام الوجه لله , وإحسان العمل , وإن روح الإسلام هي وصاية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها : (حين أنزل عليه {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }الشعراء214 .فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا .)[1]والله تعالى يتنزه عن محاباة[2] أحد من خلقه وهذه سنته في الأولين والآخرين :{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى}[3] .

5 – من خصائص النبوة :–

عموم رسالة رسول الله إلى الدنيا كلها ففي الحديث أن النبي ﷺ قال : (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[4].

(وبعثت إلى الناس عامة)

القسم الخامس :–

لما كانت البشرية في حاجة إلى إصلاح عام , وكانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية فقد بعث الله محمدا ﷺ إلى جميع الأمم إلى العرب والعجم فقال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }[5] فرسالة ﷺ ممتدة عبر الحياة كلها تتخطى النطاق الزمني والمكاني لتسير في عمومها وشمولها هدايه للعالمين , ونورا يغمر أرجاء الدنيا في كل عصر على حين كان

---

[1] - (صحيح) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة 1 - 9 (25/ 10)أخرجه البخاري(4771)، ومسلم، وأبو عوانة، وابن حبان (6515/173/8)، والنسائي.

[2] - (حاباه) محاباة وحباء اختصه ومال إليه وفي البيع ونحوه سامحه(المعجم الوسيط (1/ 154)

[3] - سورة النجم 36 -41

[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 335، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13852، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص308)،

[5] - سورة الفرقان1

الأنبياء السابقون يبعثون إلى قومهم خاصة , برسالات موقوتة , فقد كانوا مصابيح بثها الله في أرجاء الأرض لتنتشر الضوء حولها حتى إذا بزغت الفجر , وأشرقت الشمس بطل عملها .لقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة إلى عدد محدود من الناس كما قال تعالى في شأن يونس عليه السلام {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ }[1], ومصداق ذلك قوله تعالى عن نوح عليه السلام {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ }[2] وقال عن هود {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداًَ} [3], وقال عن صالح {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً }[4] وقال عن لوط {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ } [5], وقال عن شعيب {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً }[6], وقال عن موسى عليه السلام {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ } [7] إن بنى إسرائيل قصدوا الدنيا على أنفسهم فجعلوها محدودة بحدود بلادهم بل زعموا أن إله العالمين هو إله أمتهم وحدها , وخصوه تعالى بأنفسهم من دون الناس , وأن عيسى عليه السلام يرسل إلى بنى إسرائيل بل لم يرع إلا غنم بنى إسرائيل الضالة (لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ)[8]., ولم يبلغ رسالة إلا في قراهم وأرضهم والمنسوبين إليهم ويقول تعالى عن عيسى ورسالته {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ }[9].أما محمد عليه السلام فرسالته الأولى والأخيرة من رسالات الله التي جعلها الله للناس كافة أكبرهم وأصغرهم , وأبيضهم وأسودهم عربا كانوا أم أعجميا من الصين شرقا إلى أقصى الجزائر البريطانية شمالا يستوي فيهم التتار والإفرنج

---

[1] - سورة الصافات147
[2] - سورة الأعراف59
[3] - سورة الأعراف65
[4] - سورة الأعراف73
[5] - سورة الأعراف80
[6] - سورة الأعراف85
[7] - سورة الأعراف103
[8] - متى 24:15
[9] - سورة آل عمران49

وقد وقع في روايه مسلم (وبعثت إلى كل أحمر وأسود)[1] وأصرح الروايات في ذلك وأشملها رواية أبى هريرة رضي الله عنه عند مسلم (وأرسلت إلى الناس كافة)[2] فالإله الذي أرسل إلى الخلائق لم يكن إله قبيل ه أو طائفة خاصة وإنما هو إله جميع الأمم وهو رب العالمين قال تعالى { الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[3] وقال {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[4] وقال عن القرآن وتوجيهه {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ }[5] وأعلن عن رسالته التي حملها إلى هذا الوجود بقوله{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ }[6].وقال { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }[7].قال في الفتح ولا يقرض (أي على امتياز الرسول ﷺ بعموم الرسالة) بأن نوحا عليه السلام كان مبعوثا إلى أهل الأرض بعد الطوفان ,لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه , وقد كان مرسلا إليهم ,لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته وإنما اتفق بالحادث الذي وقع , وهو انحصار الخلق في الموجدين بعد هلاك سائر الناس أما نبينا محمد ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذالك ولا يخفى أن هذا الاعتراض مبنى على فرض عموم الطوفان وجه الأرض ولا نعرف الآن دليلا يؤيده ,وقد ثبت مما ذكرنا أن الإسلام وحده هو الذي أعلن عموم دعوته للإنسانية كلها , وأنه هو الدين التام الكامل الجامع للمحاسن ولم يأتي بعده دين غيره ولقد جاء في صحيح مسلم أن الرسول عليه

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 523، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 20923، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج2:ص329)،(ج6:ص290)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 4077، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 3457، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 1479.

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21704، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج على مسلم حديث رقم 1153، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص212)،(ج2:ص433)،

[3] - سورة الفاتحة2

[4] - سورة الأنبياء107

[5] - سورة ص87

[6] - سورة الأعراف158

[7] - سورة الأنعام19

السلام قال (وكان النبي يبعث إلى قوم خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[1] والتاريخ يشهد شهادة لا ترد فلقد أنتشر الإسلام فوصلت دعوته إلى حدود الصين والهند وبلاد آسيا ووصل غربا إلى جنوب فرنسا , وأصح الناس الذين يدرسونه دراسة عميقة يدخلون فيه عن إقناع دون إكراه في الدخول ودخل كثير منهم أفواجا من كل لون وجنس ومن كل لهجة ولغة وأصبحت وسائل المواصلات تقرب ما بعد من الأرض , وتدنى ما تناءى منها وأصبحت الأنباء والأخبار يعرفها العالم لوقتها عن طريق البرق والتلكس والهاتف والشبكة العنكبوتية , وأصبح الذي يفطر في أمريكا يتغدى في لندن ويتعشى في الهند حين ينتقل بالطائرات وصدق الله العظيم إذ يقول : {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [2] .لقد كان رسول الله بناه في صرح الإنسانية , يضع كل واحد فيهم لبنه , ثم يترك مكانه لمن بعده , حتى إذا جاء دور النبي الأمي كان هو اللبنة الأخيرة التي تم بها البيت وكمل بها البناء يقول النبي ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[3], ويبين القرآن الكريم أن الله سبحانه أخذ العهد والميثاق على الأنبياء السابقين لمحمد ﷺ بأن ينصروه ويؤمنوا به وأن يوصوا أتباعهم من بعدهم بأن يهرعوا لتأييده والالتفاف حوله فقال {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } [4] لقد قرر القرآن

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 335، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13852.
[2] - سورة فصلت53
[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3535، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 130.
[4] - سورة آل عمران81

الكريم حقيقة الأصل الواحد لديانات الله, والنشأة الأولى الضاربة في أعماق الزمن , والذي منها تتابع هذا الركب الجليل لرسل الله الكرام , وإن خاتمهم محمدا ﷺ وهو يضع اللبنة الأخيرة في بيت الفضائل والمكارم ينظر إلى سلفه المرسلين فإذا هم على نفس الطريق فيشعر أنه ليس بدعا من الرسل وأن رسالته الخالدة امتداد لرسالة من سبقوه {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[1], ومن واجب أتباعهم أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ,وأن يسيروا على ضوء هذا المنار الهادي قال تعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[2]. لذلك جاء الإسلام ليعلن عالمية وعمومه ذلك بإعلان الإيمان بكل ما سبق من الرسل والشرائع السماوية المنزلية على رسل الله في صفائها ونقائها قال تعالى {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[3] ولقد كان الإسلام يطبق هذه المبادىء العالمية عمليا وذلك في الصلاة التي تضم الجميع متساوين في جنبات المسجد وفى الصوم الذي يشعر الجميع بمعنى العبادة موحدا , وفى الزكاة التي توزع على الفقراء والمساكين دون النظر إلى أجناسهم أو ألوانهم وفى الحج الذي يحتشد له الناس من كل فج عميق مهما تباعدت المواطن والبلدان لتتحقق معنى العالمية والمساواة في منى وعرفات في مظهر واقع رائع .ولقد جمع مجلس رسول الله ﷺ أبا بكر القرشي إلى جانب بلال الحبشي إلى جانب صهيب الرومي إلى جانب سلمان الفارسي وقال : (إن أمن

---

[1] - سورة الأنبياء25
[2] - سورة الشورى13
[3] - سورة البقرة136

الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته ألا لا يبقين في المسجد خوخة[1] إلا سدت إلا خوخة أبي بكر)[2]. وفي رواية : " لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا "[3]ويقول رسول الله (أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال)[4].ويقول الله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [5]وقال{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } [6] .اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرما منه سبحانه اللهم آمين

---

[1] - خوخة فتح الخاء وسكون الواو كوة في الحائط يدخل منها ويتتبعان ما في بطون النساء أي يسقطانه فأطلق عليه التتبع مجاز(الديباج على مسلم (5/ 252)

[2] -(صحيح) صحيح الترمذي (3/ 199)(صحيح : أخرجه البخاري 3654 و أخرجه مسلم 108 / 7)

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم467، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم534,2383,2386، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3660,3661، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 93، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 2428,3570,3681,4171,4341,4399.

[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2459، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 847، وأخرجه إسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ج2:ص285.

[5] - سورة الحجرات13

[6] - سورة النساء1

4- الأسوة الحسنة والسيرة الجامعة من حياة محمد

أحمد الله تبارك وتعالى وأصلى وأسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهدية واتبع طريقته وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد فإن الأسوة النبوية الحسنة , وسيرة النبي محمد ﷺ الجامعة هما أساس نجاح المسلم فلا يكمل دينه ولا يتم إسلامه إلا بهما .وإن السنة المحمدية تكف ي جميع البشر وطوائفهم وفرقهم إذا اتخذوا منها الأسوة والقدوة ففيها النور الذي يستضاء به في ظلمات الحياة الاجتماعية , وكم ظلمه حالكة في الحياة ؟(قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1] إن كل طائفة من طوائف البشر تجد في رسول الله ﷺ السيرة الجامعة , والأسوة الكاملة والمثل الأعلى الذي تقتدى به , وإن مثلها مثل الباقة الجامعة لكل أصناف الزهور والورود بجميع ألوانها , ففيها الأحمر القاني , والأبيض الناصع , والأخضر الناضر , والأصفر الفاقع .وإن الإنسان ليطرأ عليه في حياته رغبات الجسد ورغبات الروح , والجسد إما أن يكون نبته حلال أو حراما , والروح إما أن تسمو أو تنحط , وكل هذه الرغائب تتصارع وتتعارك , ولكن لابد من ضابط يضبطها , ويكبح[2] جماحها[1] ويوقفها عند حدودها ولا يكون ذلك إلا بالإمام الأسوة والقدوة

---

[1] - سورة المائدة 15 - 16

[2] -يَكْبَحُ] كَبَحْتُ الدَّابَّة إذَا جَذبْتَ رأسَها إليك وأنت راكِب ومَنَعْتَها من الجِمَاح وسُرعة السَّير(النهاية في غريب الأثر (4/ 242، بترقيم الشاملة آليا)

الذي يبلغ الكمال في كل تصرفاته , ولا نجد نحن البشرية طلبتنا , وما ننشده من حياة كاملة جامعة إلا في زعيم الأنبياء والبشرية محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .إن حياة محمد ﷺ وميلاده لم تكن أحفالا تقام نستعرض فيها حياته ثم ينفض الناس وكأن لم يسمعوا شيئا ولكن حياة أحفال في قلوبنا وميثاق أخذه الله على الأنبياء من قبله أن ينصروا دعوته ويؤمنوا برسالته ويقروا نبوته , ويشهدوا تعاليمه {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }[2] إن حياة محمد ﷺ أسوة كاملة لحياة البشرية في كل أدوارها وأطوارها فإن كنت غنيا ثريا فاقتد برسول الله محمد ﷺ عندما كان تاجرا يسير بسلعه بين الحجاز والشام وحين ملك خزائن البحرين , وإن كنت فقيرا معدما فلتكن لك أسوة به وهو محصور في شعب أبى طالب وحينما قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا , وهو قدوه للملوك بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم ودان لطاعته عظماؤهم وذو أحلامهم , وهو أسوة حسنه للرعية حين كان بمكة محكوما في نظام المشركين وهو يسفه أحلامهم وينبذ آلهتهم , وهو قدوة صالحة للغالبين الفاتحين فلهم من حياته نصيب أيام ظفره بعدوه في بدر وجنين ومكة , وإن ضاقت بك الدنيا وقت المعركة وتخلى عنك رفاقك وغلبت على أمرك لا قدر الله فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفاقه المتخمين بالجراح , وإن كنت معلما فانظر إليه وهو يعلم أصحابه في صفة المسجد وإن كنت تلميذا وطالب فتصور مقعده بين الروح الأمين جاثيا مسترشدا وإن كنت واعظا ومرشدا وموجها فاسمع إليه وهو يعظ الناس على

---

[1] - إذا عزَّ راكبَه على عِنانه ، فهو جامح وجَموح . أو يكونُ من قولهم : جمح الصبيُّ بالكَعْبِ ، إذا رمى به في اللعب . وقد سمَّوا جَمَّاحاً ، وجُمَيحاً(الاشتقاق (ص: 117)
[2] - سورة آل عمران81

أعواد المسجد النبوي ثم من قبل ذلك في شعاب مكة لائذا بالصبر على الحق ولا يتزحزح عنه قيد شعرة ولو أدى إلى استشهاده في سبيل الله قائلا(جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : أرأيت أحمد ؟ يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا فانهه عن أذانا فقال : يا عقيل ! ائتني بمحمد فذهبت فأتيته به فقال : يا ابن أخي ! إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم فانته عن ذلك : فلحظ رسول الله ﷺ ببصره (وفي رواية : فحلق رسول الله ﷺ ببصره) إلى السماء فقال : فقال ما ترون هذه الشمس قالوا نعم قال ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشغلوا منها شغلة: فقال أبو طالب : ما كذب ابن أخي فارجعوا)[1] وإن هزمت عدوك وخضعت شوكته وقهرت عناده فظهر الحق على يدك وزهق الباطل واستتب لك الأمر فانظر إلى الرسول يوم دخل مكة وفتحها وعفا عن أعدائه وإن أردت أن تصلح أمورك , وتقوم على ضياعك[2] فانظر إليه ﷺ وقد ملك ضياع بنى النضير وخيبر كيف دبر أمورها , وأصلح شئونها , وفوضها إلى من أحسن القيام عليها , وإن كنت يتيما فانظر إلى فلذة كبد آمنه وزوجها عبد الله وقد توفيا وابنهما صغير , وإن كنت صغير السن فانظر إلى الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية , وإن كنت شابا فتيا ناشئا فتصور زعيم الشباب محمد حينما كان راعيا لغنم أهل مكة , وإن كنت قاضيا فنظر إلى الحكم الذي أصدره قبل بزوغ شمس النبوة عليه حينما اجتمع رؤساء مكة بعد بناء الكعبة ليضعوا الحجر الأسود في مكانه وكادت الدماء تراق والأرواح تزهق والسيوف تستل من أغمادها لولا حكمه الفاصلة التي قهرت كل خطيب , ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى وهو في فناء

---

[1] - (حسن) السلسلة الصحيحة - مختصرة (1/ 194) 92 - أخرجه الحاكم في المستدرك (ج 3:ص574)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 2170، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 6804، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 8504، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 1248، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 511.

[2] -(الضيعة) الأرض المغلة والعمل النافع المربح كالتجارة والصناعة وغيرهما من الحرف(المعجم الوسيط (1/ 547)

المسجد بالمدينة يقض ي بين الناس بالعدل يستوي عنده منهم الفقير والغن ي والشريف والوضيع , والحاكم والمحكوم والقوي والضعيف ويعلن في وضوح أنه لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع يدها .

وصفه القاضي العدل الرشيد.. وأصلب من رأوا في الحق عدوا

وأمضى في أحبته الحدودا .... وأقسم لن يرى عنها محيدا

وأن لو تسرق الزهراء عودا .... لحز يمينها من غير ريب

ليخلد عدله بين القضاء

وإن كنت زوجا وأبا فتخير من سيرة محمد العطرة الحياة النزيهة لزوج خديجة وعائشة وما كان عليه والد فاطمة الزهراء وجد الحسن والحسين .إن السيرة الجامعة لشتى الأمور هي ملاك الأخلاق , وجماع التعاليم لشعوب الأرض وللناس كافة في أطوار الحياة كلها , وأحوال الناس على اختلافها وتنوعها إذا كانت طيبة الأسا س نقية الأصول , فالسيرة المحمدية نور للمستنير , وهديها نبراس للمستهد ي وإرشادها ملجأ لكل مسترشد .وإذا تحدث الناس عن الزهد والتواضع فنجد أروع الأمثلة في محمد ﷺ ولم يكن زهده عن حرمان وفقر بل كان زهده في الدنيا في الوقت الذي أقبلت عليه الدنيا بحذافيرها وذلك أمر العرب ولم يخص بيته بشيء من حطام الدنيا , إنه كان رسولا حصيفا [1] ونبيا معصوما في الساعة التي نتصوره فيه فاتحا للبلاد ظافرا بالأمم , إنه ليضطجع على حصير له من خوص , ويتكىء على وسادة حشوها من ليف , ويكون أهل بيته في شدة وفاقه عقب استقباله الأموال العظيمة آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية فتكون في فناء مسجده أكواما يوزعها على الناس , وتأتيه بنته وفلذة كبده فاطمة تشكو إليه من حمل القربة والطحن بالرحى والمشقة من القيام بخدمة بيتها حتى تشققت يدها وأثرت القربة في جسمها , والرسول يومئذ يقسم

---

[1] - (حصف) الشيء حصافة كان محكما لا خلل فيه ويقال حصف فلان استحكم عقله وجاد رأيه فهو حصيف(المعجم الوسيط (1/ 179)

بين المسلمين ما أفاء الله عليهم من عبيد الحرب وإمائها فلا تنال بنته من ذلك إلا دعاء لها بكلمات يعلمها كيف تدعو بها ربها وجاءه ذات يوم صاحبه عمر فأجال بصره في الحجرة فلم يجد إلا حصيرا من الخوص قد أضطجع الرسول عليها وأثرت في جنبه وعلى مقربه منه شن معلق على وتد هذا كل ما كان يملكه رسول الله ﷺ يوم دان له نصف العرب , فعن أنس بن مالك قال: دخلت على النبي ﷺ وهو على سرير مرمول[1] بشريط تحت رأسه وسادةٌ من أدم حشوها ليف، ما بين جلده وبين السرير ثوب، فدخل عليه عمرٌ فبكى، فقال له النبي ﷺ: "ما يبكيك يا عمر؟ "قال: أما والله ما أبكي يا رسول الله ألا أكون أعلم أنك أكرم على الله من كسرى وقيصر، فهما يعيثان فيما يعيثان فيه من الدنيا، وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى! فقال النبي ﷺ: " أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟". قلت: بلى يا رسول الله، قال: "فإنه كذلك".)[2].إنه لا يستحق إنسان يكون قدوة للعالم في جميع مناهج الحياة إلا إذا اجتمعت فيه الخلال الشريفة كلها والخصال الإنسانية الكاملة بأجمعها مما يحتاج إليه الناس في معايشهم فتكون لهم في سيرته أمثلة كثيرة, وإذا ما رجعنا إلى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نجد نوح عليه السلام اشتد به الغيظ الشديد على الكفر وأهله والشرك ومن يدين به , وفى حياة إبراهيم جهادا في تحطيم الأصنام وإبطال عباده الأوثان , وفى حياة موسى قتالا للمشركين بلله , وفى المسيح عليه السلام العفو والصفح واللين للناس وخفض الجناح فتملىء نفسك إعجابا بعفوه وعفته وأما سليمان عليه السلام فجلالة سلطانه وأبهة ملكه يملكان عليك الإعجاب والدهشة , وتمثل حياة أيوب عليه السلام فعانى الصبر

---

[1] - سرير مرمول ومرمل بفتح الراء يريد بكل هذا المنسوج من السعف(مشارق الأنوار على صحاح الآثار (1/ 291)

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12009، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6684، وأخرجه ابن وضاح المرواني في البدع لابن وضاح حديث رقم 187، وأخرجه الواحدي في الوسيط (ج 4:ص509)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (ج1:ص228)،(ج8:ص340)، وأخرجه وكيع بن الجراح في الزهد حديث رقم 113، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد لأحمد بن حنبل حديث رقم 2360، وأخرجه هناد في الزهد حديث رقم 742، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 1163، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الجوع لابن أبي الدنيا حديث رقم 21.

على المكارة , وشكر الله على الرغائب, ويملؤك يونس عليه السلام إعجابا بإنابته إلى الله وندمه على ما فرط منه , ويوسف عليه السلام يهديك إلى كيفية قيامه بدعوة الحق وهو أسير عابد وكيف يصون نفسه ويستمسك بعفافه حين تراوده امرأة ذات جمال وجلال ومال وعظمة , وفى حياة داود عليه السلام درس عظة وصحيفة عبرة إذ يبكي من خشية الله ويحمده ويدعوه متضرعا إليه , وفى سيرة يعقوب عليه السلام أسوة للمرء فيما يرجوه من رحمه الله والثقة به والتوكل عليه عندما تظلم الدنيا في عينيه.أما محمد عليه الصلاة والسلام فإن سيرته العطرة تجمع ذلك كله وتشتمل على جميع هذه الخصال فسيرته بحر لجي[1] تنصب فيه جميع الأنهار وتتصل به كل البحار من سير الأنبياء والرسل وهديهم وسننهم .

وَكلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها فإنما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بهِمِ

فإنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنْوَارَها للناسِ في الظُّلَمِ

إن الرسول الأمي محمدا ﷺ لم يحمل في شبابه سلاحا ولم يملك من قبل بلادا قد أقام للأمة العربية التي لم تكن لها في كفة السياسة العالمية وزن ولا قدر جعلها دولة ذات عظمة وجلال واكتشف في نفوس رجالها كنزا من القوة لا ينفد , وأقام من هذه الأمة التي لم تكن تعرف الله ولا تعلم توحيد ربوبيته , عبادا يحيون الليل بذكر الله ويبلغون رسالته في النهار .إن محمدا ﷺ فيه خلال جامعة , وخصال كاملة , والدنيا ليست إلا مظهر من مظاهر الحياة متنوعة الألوان ولا يمكن لهداية البشر إلا بمحمد ﷺ الذي اجتمعت فيه خلال الإرشاد كلها وخصال الإصلاح للنوع البشر ي بأجمعه ولذلك قال الله { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[2] فوجه

[1] - (اللج) معظم الماء حيث لا يدرك قعره ولج البحر عرضه ولج الليل شدة ظلمته وسواد(المعجم الوسيط (2/ 816)
[2] - سورة آل عمران31

الرسول الدعوة إلى كل من يدع ي محبة الله أن يتبعه ويطيع أمره وينفذ حكمه وتعاليمه , لقد نادى الملوك في ممالكهم والرعاع في شوارعهم , والمعلمين في مدارسهم , والتلاميذ في فصولهم , والعمال في مصانعهم والفلاحين في مزارعهم , والفقراء في أكواخهم والأغنياء في قصورهم كما دعا المظلومين والمقهورين والمخذولين , بل أهاب بالعالم كله أن يتبع سبيله وأثره لأن سيرته الشريفة هي المثل الأعلى وفيها الأسوة الكاملة للبشرية جمعاء ولكل من يحب الخير ويبتغى الصلاح لنفسه وللناس . اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين.

5- تحريم الخمر والمخدر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته

وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة تحريم الخمر والمخدر.

شريعة الإسلام شريعة عالمية

أ –لقد سبقه رسل كثيرون وكانوا كالنجوم لأقوامهم محدودة رسالته م بزمان ومكان .أرسل نوح إلى قومه , وإبراهيم إلى قومه , وموسى إلى فرعون , وعيسى إلى بنى إسرائيل , وهود إلى عاد ,وصالح إلى ثمود , ولوط إلى قومه وشعيب إلى مدين لكن محمدا إلى الدنيا جميعا والآيات التي نزلت على محمد في عالمية رسالته نزلت بمكة حين كان الإسلام تحيط به كلاب البطش والتعذيب والتنكيل لأهله.ومع تقدم العلم في عصرنا فإن الناس لا تستغني عن الرسل لأن المقياس العقلي على حكم من الأحكام لا يتفق ولا ينتهي إلى رأى قاطع فما كان فضيلة في الشرق يكون رذيلة في الغرب فكان من حكمه الله أن أنقذ هذه البشرية بهؤلاء الرسل {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }[1]ولما جاء محمد خفتت أضواء النجوم لأنه أكمل الرسالات وخاتم الأنبياء فلن ينزل بعده وح ي ولا يأتي بعده نبأ {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }[2] .

اللّـه أكبرُ إنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ وكتَابَـهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلا

طَلَعَت بهِ شمسُ الـهِدَايَةِ لِلوَرَى وَأبى لَـها وصْفُ الكمالِ أُفُولا

والحَقُّ أَبْلَجُ في شريعَتِهِ الّتي جَمَعَتْ فروعاً لِلْوَرَى وأُصُولا

لا تَذْكُروا الكتبَ السَّوَالِفَ عندَهُ طَلَعَ النَّهارُ فأَطْفِئُوا القِنْدِيلا

---

[1] - سورة النساء165

[2] - سورة الأحزاب40

ولا أستطرد فيما جاء به محمد إلى الدنيا من فضائل وإنما أقول إن محمدا جاء ليطلق العقل من إساره وليحفظه من الغوائل التي تغتاله :-

لقد اعتنى الإسلام بالعقل والتفكير:

.فالله يريد أن نحافظ على هذا العقل من التغيب ولقد استخدام القرآن (العقل ومشتقاته49مره) (والفكر ومشتقاته 18 مره)في القرآن وفي مخ الإنسان تقديرات لعدد من الخلايا العصبية) من 80 حتى 120. مليار خلية في الدماغ كل يوم يتم اكتشاف شيء جديد فيه حتى وقتنا الحاضر ما نعرفه هو أنه الجهاز الذي يجعلنا بشرا، وإعطاء الناس القدرة على الفن، واللغة، والأحكام الأخلاقية، والتفكير العقلاني. كما إنها مسؤولة عن شخصية كل فرد، وذكريات،والحركات، وكيف نشعر بالعالم . كل هذا يأتي من كتلة من الدهون والبروتينات وزنها حوالي 3 رطل (1.4 كيلوغرام). وهو ، مع ذلك، واحدة من أكبر أجهزة الجسم، وتنظيم عملياتنا الجسم اللاواعية مثل الهضم والتنفس. ويتحمل من المعلومات ما يقارب 10^79 من المعلومات . يستهلك الدماغ حوالي 15% من الدورة الدموية التي يضخها القلب والتي تقدر بـ7200 لتر يومياً، أي أن تدفق الدم الدماغي يصل إلى 1080 لتر يومياً.هذا الجهاز الذي خلقه لنا الله :

أ -فأطلق له حرية التفكير{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }[1]{قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ }[2], {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ *الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

[1] - سورة سبأ46
[2] - سورة يونس101

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[1]{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ }[2] {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ }[3].

ب الذين يجحدون نعمة العقل ولا يستخدمونه فيما خلق من أجله ويغفلون عن آيات الله هم موضع الازدراء والتحقير {وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } [4], {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ }[5]

ج– وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[6].

د – ويثنى القرآن على الذين يخلصون للحقائق ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتمحيص فيأخذون الأحسن ويدعون غيره قال تعالى (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)[7]

هـ – وندد بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم ويحمدون على القديم المألوف ولو كان الجديد أهدى وأجدى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }[8] ولم يقيد الإسلام العقل عن التفكير إلا في ذات الله وحده وفيما هو لدى الملأ الأعلى من غيبيات لأن العقل له حدود فلا يتجاوزها والتفكير في ذات الله فوق الإدراك

---

[1] - سورة آل عمران190-191
[2] - سورة الطارق5
[3] - سورة عبس24
[4] - سورة يوسف105
[5] - سورة الأنعام4
[6] - سورة الأعراف179
[7] - سورة الزمر18
[8] - سورة البقرة170

{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[1] وكما أرشدنا إلى التفكير في الآيات الكونية أرشدنا إلى التفكير في الآيات القرآنية {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[2].وأباح الإسلام الاجتهاد فيما لا نص من كتاب ولا سنه وجعل القياس مصدرا من مصادر التشريع والمجتهد مأجور سواء أصاب أم أخطأ إذا كان يبغي وجه الله عز وجل ففي الحديث (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر) [3] فكانت الأستاذية لأمة محمد بما أنتجت من علوم متباينة لصالح البشرية في الدين والدنيا وقال أحد أساتذة الغرب مسيو ليبرى (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون) حافظ الإسلام على العقل حين حرم الخمر والمخدر وغيرهما من الأمور التي تقضى عليه والخمر كل ما ضامر العقل وغيبه سواء كان من الكحول أو النبيذ من العسل أو التمر أو الزبيب أو عصير العنب أو الحشيش والأفيون أو الكوكايين والهروين أو حبوب الهلوسة , أو ما يستعمل من جمع الحشرات كالصراصير وطحنها بعد تجفيفها وبلعها[4]وهى التي تفشى النجاسات أو الغراء الذي يجمع في زجاجات للشم وغيره وكل ما أضر الجسم والعقل فهو حرام .

أ –إن الخمر وغيره مفتاح كل شر (اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر)[5] ومر أعرابي على قوم يشربون الخمر فقال هل نساؤكم يشربن الخمر قالوا نعم قال زنين ورب الكعبة فإنه لا يدرى أحدكم من أبوه .

---

[1] - سورة الأنعام103

[2] - سورة ص29

[3] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1326، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3574، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 5381، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2314، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 17320,17365، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 5060,5061، .

[4] - لجأ مدمنون في الجزائر إلى مواد جديدة، كأجنحة الصراصير والغراء والجوارب النتنة، لتحويلها إلى مخدر قوي، لمواجهة غلاء الكيف المعالج «الحشيش» في السوق، وتضييق الخناق على شبكات التهريب والمتاجرة بهذه السموم

[5] - (صحيح) أخرجه الحاكم (162/4 ، رقم 7231) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى . والبيهقى فى شعب الإيمان (10/5 ، رقم 5588) .

ب إن الخمر تنزع الإيمان كما ينزع المرء قميصه من رأسه (من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه)[1].

ج- حرم الإسلام الجلوس على مائدة الشراب ولو لم يشرب (نهى رسول الله ﷺ عن مطعمين عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر)[2] وقصه عمر بن عبد العزيز {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً }[3].

د- وكل من له صلة بالخمر والمخدر مطرود من رحمة الله وملعون من الله عز وجل (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه)[4].

هـ- لقد أجمع العلماء على تحريم المخدرات وأنها تأخذ حكم الخمر في إقامة الحد على الشارب كما قال ابن تيمية وكما قال مفتى مصر الشيخ عبد الحميد سليم .والرسول يقول : كل مسكر حرام , وعن أم س لمة قالت (نهى رسول الله عن كل مسكر)[5]فلا يليق بالمسلم أن يكون له مصنع يصنع الخمر أو المخدر أو يكون مستوردا أومصدرا ,أو يعمل في حانة أو بار أو فندق يقدم الخمر للناس لأن قطع الرحمة تشمل كل من له اتصال بالخمر والمخدر .

و- وحرم الإسلام بيع العنب لمصنع يقوم بصنع الخمر وإن الربح من وراء ذلك حرام والبيع حرام وفى الحديث (إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)[6]وعن ابن عباس(وإن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه)[1] بل إن الذي يباشر

---

[1] - (ضعيف) السلسة الضعيفة (3/ 434) 1274 - (ضعيف)

[2] - (صحيح) صحيح وضعيف سنن أبي داود (8/ 274)

[3] - سورة النساء140

[4] -(صحيح) تحقيق الألباني :صحيح ابن ماجة (3370) صحيح وضعيف سنن أبي داود (8/ 274)3774 مشكاة المصابيح (2/ 127) 2777 - [19] (صحيح) رواه أبو داود وابن ماجه .

[5] - (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (ص: 1294)قال الشيخ الألباني : (صحيح) .

[6] -(صحيح) الجامع الصغير وزيادته (ص: 272)قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1832 في صحيح الجامع مشكاة المصابيح (2/ 125)2766 - [8] (متفق عليه) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2236، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث

الخمر والمخدر ولا يرفع له دعاء إلى ربه . وفى الحديث (" أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[2] وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }[3] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ "[4].

ر- حرم الإسلام إهداء الخمر عن ابن عباس أن رجلاً أهدى لرسول الله راوية خمر فقال له رسول الله {ﷺ} هل علمت أن الله قد حرمها قال لا فسار إنساناً فقال له رسول الله {ﷺ} بم ساررته فقال أمرته ببيعها فقال إن الذي حرم شربها حرم بيعها ففتح المزادة[5] حتى ذهب ما فيها)[6]

ز- وهناك من يدعى أنه يشربها للتداوي وهذا حرام فقد قال النبي (إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام)[7] .. . ويشهد له أيضا حديث : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث)[8].. وعن ابن مسعود موقوفا عليه : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم .)[9]

رقم 1583، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1297، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3486، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 4256,4669، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2167، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 14063.

[1] -(صحيح) قال الشيخ الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص: 192)أخرجه أبو داود والسياق له والشافعي وأحمد والدارقطني الجملة الأخيرة منه والبيهقي باسناد صحيح.

[2] - سورة المؤمنون51

[3] - سورة البقرة172

[4] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1016، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2989، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8148، وأخرجه ابن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم 2009، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف حديث رقم 8839، وأخرجه أبو الحسين بن بشران في الجزء الأول والثاني من فوائد ابن بشران حديث رقم 41، وأخرجه محمد بن إسحاق بن منده في التوحيد لابن منده حديث رقم 286، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5729، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير للبيهقي حديث رقم 315، وأخرجه أحمد بن حنبل في الورع لأحمد رواية المروزي حديث رقم 41، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الورع لابن أبي الدنيا حديث رقم 114، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم 620.

[5] - [المزادة] في غير موضع من الحديث . وهو الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة والجمع : المزاو(النهاية في غريب الأثر (4/ 687، بترقيم الشاملة آليا)

[6] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1581.

[7] -(حسن) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 649، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء حديث رقم 1315.

[8] -(صحيح) مشكاة المصابيح (2/ 528) 4539 - [26] (صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2045، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3870، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3459، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7987,9464,9838.

[9] -(صحيح) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص: 36) 30 - (صحيح) رواه البخاري

ج- إن الخمر والمخدر طريقان إلى ارتكاب الجرائم وانتهاك الأعراض.

ط- إن الأمراض النفسية والعقلية وسرطان الحلق وتليف الكبد والجلطة أو الذبحات الصدرية من تعاطى الخمر والمخدر وفى الحديث (لا ضرر ولا ضرار)[1]

ك – تدخل الإسلام بإقامة الحد لمن يتعاطى الخمر والمخدر .

ل – فكانت نعمتنا الكبرى أن جاءنا محمد ليحمى العقول ويطلقها للفكر والبحث وإذا أردنا إعادة مجد الإسلام فإن علينا أن نراع ي أبناءنا رعاية كاملة حتى يكون للإسلام جيل يطاول الغير في عزة وعفة لتكون بحق خير أمة أخرجت للناس . اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ
والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

---

[1] -(صحيح) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص: 158)أخرجه ابن ماجة والدارقطني

6- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ....فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال :(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) [1] .

المفردات : اللدغ ما يكون من ذوات السموم كالعقرب والثعبان. بخلاف اللدغ فإنه من النار.

الجحر : الثقب المستدير الذي يسكن الحشرات وغيرها .

إن أول من نطق بهذه الكلمة الحكيمة هو النبي ﷺ فهو صاحب هذا المثل الذي تتناقله الناس حكمة غالية , ونصيحة لها وزنها وقيمتها في مجال التربية

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6133، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 3000، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4862، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3982,3983، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2781، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 5928.

والتوجيه .وسبب هذا الحديث : أنه لما كانت غزوة بدر وانتصر المسلمون فيها على المشركين وقد أسروا سبعين منهم كان من بين الأسرى شاعر هو أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمح ي فتقدم إلى النبي ﷺ فشكا عياله وفقره فقال لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن يا محمد وإني لمعطيك موثقا وعهدا مؤكدا لا أقاتلك ولا أكثر عليك أبدا , فأمنه الرسول ,وأرسله إلى مكة بغير فداء رحمة ببناته وكان هو الأسير الوحيد الذي ظفر بهذا الأمان .فلما كانت غزوة أحد خرجت قريش لحرب النبي , واستنفروا القبائل ليشاركوهم في الأخذ بالثأر من المسلمين وقد استنفروا معهم أبا عزة الشاعر الذي عفا عنه النبي ﷺ يوم بدر فخرج معهم يحرض على قتال النبي ﷺ وكان قبل ذلك يطلق لسانه في هجاء الرسول والمسلمين ويسخر من إطلالته بدون فداء ولكنه أسر يوم أحد أيضا فتقدم إلى النبي وقال له (يا رسول الله أقلني فقال له النبي ﷺ : **والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه**)[1] المعنى : ليكن المؤمن حازما حذرا مجربا للأمور , حتى إذا نكب من وجه , لا يعود إليه فينكب مره أخرى.

ثانيا : وإذا أصابه ضرر من مصدر معين احترس من مخالطة هذا المصدر حتى لا يضار مرة أخرى و قد خص المؤمن بهذه النصيحة لأن الغالب على سلامة الضمير , وحسن الطوية فقد يظن أن الناس جميعا على شاكلتة في استقامة الخلق , والخوف من الله وهذا قد يدفعه إلى الغفلة فيخدع مرة بعد مرة فأمره الرسول بأن يكون يقظا مد كاالأحوال الناس وأخلاقهم منتفعا بالتجارب التي يمر بها أو يمر بها غيره فيتعظ بنتائجها وبذلك يحتاط لمستقبله , فيعيش آمنا سالما.ومن هذه الحكمة الغالبة نتعلم أن الحلم والجحود , والتسامح صفات

---

[1] -(ضعيف) إسناد موضوع لأن به موضع إرسال ، وفيه الحسين بن الفرج الخياط وهو متروك الحديث ، ومتهم بالوضع وهو محمد بن عمر الواقدي

ليست محمودة مطلقا بل يجب الحزر في استعمالها حتى لا يقع مستعملها في شرك مخادع ماكر .وهذا الحديث يلقى أضواء غامرة على جوانب كثيرة في حياتنا الاجتماعية وعلى هداه يتسنى للناس حل الكثير من المشاكل التي تعقد أمورهم , وتفسد عليهم حياتهم ,فكم من الناس يلدغون من جحر واحد مرات ومرات ويذوقون مرارة تجربة قاسية , ثم تسوقهم الغفلة إلى أن يخوضوا مثلها , ويكرروا مأساتها فالتاجر والصانع والعامل حين يمارسون في أعمالهم أساليب تجر عليهم بالخسارة فمن الحكمة أن يغيروا هذه الأساليب وأن ويجربوا سواها لتكون أقرب إلى السداد والسلامة .فهناك بعض الحمقى الذين يسيبون لأنفسهم خسارة في الأبدان والأخلاق وتأخرا في الدراسة والعلم ولا يأخذون من أخطائهم السابقة عبرة وعظة فالمريض الذي يخالف أمر الطبيب فيتأخر عليه الشفاء أولا يشفى , واللص الذي يسطوا على أموال الناس فيسجن ثم يخرج فيعاود السرقة , وتاجر المخدرات يخرج من سجنه ليعود , والمختلس يخرج من سجنه فإذا أسند إليه عمل عاد كما كان والمدخنون الذين تمزق العلة صدورهم وهم موقنون بأنه يجره إلى الإفلاس وهم لا يقلعون.وطالب العلم الذي يتعثر في دراسته لمعوقات لا يحاول التخلص منها , بل يتركها تتراكم في طريقه فتحول بينه وبين غايته كل هؤلاء حمقى حيث يضعون أيديهم على الجحر الذي لدغوا منه .أن الإيمان بالله ينهض على أساس من الحكمة والعقل , ومن ثم يدعو المؤم ن إلى أن يكون يقظا حذرا يتصرف في أموره عن وعي وتبصر وقد تكرر في القرآن الأخذ بالحيطة والحذر حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة .فقد أمر الله نبيه بأن يكون حذرا من أعدائه{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [1] , وقوله { يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

---

[1] - سورة المائدة49

عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [1] وقد حذر الله المؤمنين من أعدائهم حتى وهم في الصلاة فقال {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ } [2] وحذر القرآن المؤمنين من المثبطين لهم في القتال حتى لا يغفلوا لحظة فيؤخذوا خدعة أو بغتة وألا يخرجوا للحرب أفرادا ليسهل تصيدهم , أو جماعات لا يحكمهم نظام فيتمكن منهم العدو إنما يخرجون جماعات منظمة , أو ينفروا جميعا تحت قيادة حازمة مطاعة يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً. وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً . وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) [3].إن الإسلام دين العقل والحكمة والمؤمن كيس فطن ولقد كان الرسول يضع الخطط الحربية المحكمة ويبعث عيونه في كل مكان استطلعوا له الأخبار , ويجمعوا له المعلومات التي تكفل له النصر على الأعداء . ففي غزوة بدر بعث النبي طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد ينتظران عودة العير فبقيا في منزل بالحوراء حتى وصلت العير فأسرعا إلى الرسول يبلغانه الأمر .وبعث الرسول في غزوة بدر بعثة استطلاعية من علي والزبير وسعد بغلامين يسقيان الماء فأحضروهما للنبي وأمر قائده أبا سلمة حين وجهه لغزو الأعداء أن يسير ليلا , ويستخفى نهارا , وأن يسلك طرقا غير معروفة حتى لا يعرف العدو تحركاتهم وعلى ضوء هذه التعليمات نجح أبو سلمة في أن يفاجىء القوم عند (قطن) قبل أن يستعدوا فهو القائل استعينوا

---

[1] - سورة المنافقون4

[2] - سورة النساء102

[3] - سورة النساء 71 -73

على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)[1] ويقول (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[2]ففي العام الثاني للهجرة بعث الرسول عبد الله بن جحش في سرية من المهاجرين ودفع إليه بكتاب أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة ليومين وحين يطلع عليه يمضى لما أمره به , وخص القائد الكتاب فلإذا فيه (إذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم .وفى غزوة أحد أقام الرسول خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير بن النعمان على جبل صغير مرتفع وأمرهم بألا يبرحوا مكانهم سواء انتصروا أم انهزموا ولكنهم للأسف تركوا مكانهم ونزلوا لجمع الغنائم حين انتصر المسلمون فكانت سببا للهزيمة والله تعالى يقول فيها {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [3].وكان الرسول يحب الأذكياء ويبتهج لما يبدوا منهم من حيل بارعة قد تحقق نصرا من ذلك فقد جاء نعيم بن مسعود إلى النبي في غزوة الأحزاب وأعلن إسلامه فقال له النبي أكتم إسلامك .ورده إلى المشركين ليوقع بينهم وبين بنى قريظة واليهود وقال له (إنما أنت فينا رجل واحد فخذلنا [4]إن استطعت فإن الحرب خدعة) [5] فسعى نعيم حتى أوقع بينهما {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى

---

[1] -(صحيح) أخرجه الروياني في مسنده حديث رقم 1449، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 408، وأخرجه الشهاب في مسنده حديث رقم 707,708، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 149، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 2455، وأخرجه ابن المقرئ في معجمه حديث رقم 233، وأخرجه الصيداوي في معجم الشيوخ حديث رقم 301، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 7106,8082، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (ج2:ص187)، وأخرجه محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في اعتلال القلوب للخرائطي حديث رقم 680، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي حديث رقم 72، وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة للسلمي حديث رقم 73، وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (ج1:ص47.

[2] -(صحيح) إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات عدا مصعب بن ثابت الزبيري وهو مقبول .أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 4386، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 1344، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة (ج 4:ص332)، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 692، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 789، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5311,5313,5314.

[3] - سورة آل عمران152

[4] -(فخذلعنا) أمر من التخذيل وهو حمل الاعداء على الفشل وترك القتال (التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 1038)

[5] - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (2/ 109) الروض الأنف (3/ 433) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 188)

اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }[1].وكان النبي يكره من جلساته تصرفا يدل على غفلتهم .فعن عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الفجر}[2] قال أخذت عقالا أبيض وعقالا أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضحك فقال إن وسادك لعريض [3] طويل إنما هو الليل والنهار)[4]وهكذا الإسلام يأمر أتباعه بأن يتصرفوا في حياتهم بحكمة وعقل في ضوء التجارب السابقة في حرص وذكاء فالمؤمن لا يخدع , ولا يستغل , ولا يستغفل , ولا يلدغ من جحر مرتين .ويحدثنا القرآن أن أبناء يعقوب عليه السلام حين طلبوا منه أن يرسل معهم أخا يوسف ليحصلوا على كيل منه قال لهم على ضوء تجربته السابقة معهم {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ }[5] وفى هذا دلالة أكيدة على فطنة المؤمن , وأنه لا يقع في الضرر مرتين .أما الكافرون والمنافقون فهم لغفلتهم , وانطماس بصيرتهم يبتلون بالشدائد والمحنه مرة ومرة ثم هم على كثرة تجاربهم لا يفقهون ولا يتعظون قال تعالى : {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ }[6] .اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته

---

[1] - سورة الأحزاب25

[2] - سورة [البقرة: 187]

[3] - وسادك لعريض أراد به إن يومك لطويل وقيل أراد أنك لعريض القفا كنى به عن السمن الذي يزيل الفطنة (غريب الحديث لابن الجوزي (2/ 85)

[4] -(صحيح) صحيح أبي داود (7/ 114)أخرجه مسلم (128/3).وأخرجه البخاري (106/4 و 147/8) ، والترمذي (2974) ، وابن خزيمة(1925) ، والطحاوي في "شرح المعاني " (324/1) ، والبيهقي (215/4) ، وأحمد(377/4) ، وابن حبان (3454)

[5] - سورة يوسف 64

[6] - سورة التوبة125

واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

7- رسول ورسالة

أحمد الله تبارك وتعالى وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابة ومن اقتدى بهدية وأتبع طريقه وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:فنحن نلتقي في بيت الله نستدر من صاحب هذه الذكرى العطرة فيضا من حسن الأسوة وكمال القدوة حيث قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }[1].وليس أحب إلينا , ولا أشوق لأرواحنا من تلك الساعات الكريمة التي نلتقي فيها دراسة لكتاب الله وسنته رسول الله وسيرته العطرة التي بها القدوة والأسوة ونسأل الله أن يجعل مجلسنا هذا من المجالس التي تتباهى بها الملائكة ونستعيد ما كان يفعله أصحاب رسول الله ﷺ وينتحي بهم ناحيته في المسجد يتدارسون كتاب الله تبارك وتعالى فكان النبي ﷺ إذا رأهم سر بهم ودعا لهم وقال : (ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)[2] فاللهم اجعلنا من الذين يحق فيهم قول النبي ﷺ (إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[3].وأود أن ألقي نظرة معكم في هذه الليلة المباركة من سيرة الرسول ﷺ فألقى معكم نظرة عجلى

ا – على البيئة التي نشاء فيها رسول الله .

ب – واستفادته من تلك البيئة .

ج– ثم تطلع العالم إلى المنقذ لهم .

د – ثم ما تحمله هذه الرسالة من فضائل ومثل نحن أحوج إليها اليوم وغدا كما درج أسلافنا الصالحون عليها نسعد بها في الدنيا والأخر .

---

[1] - سورة الأحزاب21

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2702، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 11465، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 855، وأخرجه الطياليسي في مسنده حديث رقم 2347,2508، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 6159.

[3] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2568، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2757، وأخرجه مالك في الموطأ برواية يحيى الليثي حديث رقم 1776.

أ- إن البيئة التي نشأ فيها رسول الله ﷺ وهى البيئة المكانية كانت أشرف الأمكنة وأطهر البقاع لقد كان في الحجاز بمكة المكرمة بجوار البيت المحرم , وما جاور الجزيرة العربية حين قام بأسفاره ورحلاته , واستيطانه المدينة حين هاجر فهو في هذه الربوع نشأ وكانت نشأته في هذه البيئة الطيبة والمنبت الكريم تتناسب مع المهمة العظمى التي اختير لها فالعربي يواجه الكون وجها لوجه يفترش الأرض ويلتحف[1] السماء , ويكافح عناصر الكون كفاحا شديدا يستشعر البرد على حقيقة , والحر على قيظه[2] , وفى أثناء هذه المؤثرات , لا يستطيع أن يحصل على مقوماته حياته إلا بشق الأنفس فهو حين يريد أن يحصل على الماء لابد أن يقطع المسافات الطويلة , ولا بد أن يضرب في مهد الأرض ليلقاه , وحين يريد الغذاء فلابد من هذا العناء أيضا فكانت رحلتي الشتاء والصيف ثم هو رضي النفس , قوى الحواس يرسل مشاعره في الفضاء غير المحدود فتنهال عليه الأفكار والمعاني , وهو لا يحده قيد ,ولا يمنع تفكيره مانع هذه هي البيئة التي جعلت الرجل العربي ممتازا في شؤن حياته في تكوينه وفى أخلاقه .وهذه البيئة لا بد أن تطبع إنسان بطابع خاص وهى بيئة لا تتوافر فيها الضروريات فضلا عن الكماليات والشهوات ثم نرى عاملا أخر وهو ملاصقة هذه البيئة لحرم الله ومجاورتها له ولذا للحرم قداسة خاصة في نفوس أهله , لأنهم يعتقدون أنه مع قل عزهم فهم يتقاسمون خدمة , ويتفانون في تعظيمه , ويقدمون سقاية الحجيج , وإكرام الوافدين عليه ويرون الفخر كل الفخر فيما يقومون به , حتى يتفاخرون بعد البعثة والإسلام بهذه الأشياء التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم حتى نزل قول الله تعالى {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ

---

[1] - (التحف) لحافا اتخذه لنفسه وباللحاف وغيره تغطى به ويقال التحفت الدابة بالسمن(المعجم الوسيط (2/ 818)
[2] - (القيظ) صميم الصيف (ج) أقياظ وقيوظ(المعجم الوسيط (2/ 770)

اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [1].هذه البيئة التي سكنها الإسلام وعمرها كانت بيئة ممتازة عن غيرها نبت فيها الإسلام ثم انبسط على الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي كذلك من حدود الصين إلى حدود طنجة .هذه البيئة ميزها الله عن غيرها تميزا عجيبا إذ جعله ا في أعدل بلاد الأرض , ومهبط الروحانيات , ومنبع الأديان والفلسفيات ومشرق النور والحكم والأمثال فما أولانا نحن المسلمين أن ننقذ بهذا الوطن الذي اختاره الله للفكرة الإسلامية ومازالت مكة قلب هذا الوطن .لقد اختير رسول الله ﷺ من العرب والعرب هم أهل هذه الصحراء فماذا فعلت فيهم ؟لقد كونتهم تكوينا رائعا فالعربي سليم في بدنه , سليم في حواسه , حسن رقيق , وشمة يقظه , وبدنه مكتمل , لا ترى فيه مسكنا لداء ولا أثر لعلة والواقع أن الصحراء ساعدت كثيرا على استمتاع هؤلاء القوم بسلامة عقولهم , وصحة أبدانهم ومعافاة حواسهم فإن هذه الخشونة التي عاشوا فيها سهلت عليهم الارتباط بالحياة , وسهلت لهم التضحية في سبيل ما يعتقدون والعربي بتأثره ببيئته بما يرى وبما يسمع فإذا سمع القول تأثر به وأنصت إليه , ويستطيع بحسه الدقيق ونفسه الشاعرة أن يصل إلى الكثير مما في القول من الحق .ثم هناك عامل آخر هذه الحياة في الصحراء جعلتهم يعتمدون على الكرم والبذل والإباء , والتضحية والشجاعة , وح رية الفكر , والص بر والجلد , فالمجتمع الذي نشأ فيه العربي هو أفضل المجتمعات لهذا اختير رسول الله ﷺ , واختير له هذا المجتمع العربي , والبيئة الطيبة وهذا الوسط العالمي .لم يختر من الفرس على سعة علومهم ومعارفهم , ولا من الهند على عمق فلسفاتهم , ولا من الرومان على تقننهم وتفننهم ولا من اليونان على عبقرية شاعريتهم وخيالهم إنما اختير من هذه البيئة البكر لأن هؤلاء الأقوام وإن كانوا على ماهم عليه من علوم ومعارف إلا أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه العرب من سلامة الفكرة

---

[1] - سورة التوبة19

والفطرة , وحرية الضمير , وسمو الروح .لقد كان العرب على غاية من العفة والطهر لم تدانهم فيها أمة من الأمم فهذا عبد الله والرسول ﷺ وقد عرضت عليه الكاهنة نفسها فأبت نفسه الشريفة أن تتدنس بأرجاس الجاهلية والفاحشة وأبى عليه خلقه الفاضل إلا أن يقول:

** أَمَّا الحرامُ فالمَماتُ دونَهُ ** والحِلُّ لا حِلَّ فأستَبينَهُ ** فكيفَ بالأمرِ الذي تَبْغِينَه **** يحمى الكريم عرضه ودينه **[1]

وما نجده في عثمان بن طلحه حين كان على الكفر وصاحب أم سلمة في هجرتها بصبها وكانت على جانب كبير من الجمال وهى شابة تقول لقيت عثمان بن طلحة, فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله, إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك مترك, وأخذ بخطام[2] البعير, فانطلق معي يقودني فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه أكرم منه, كان إذا نزل أناخ[3] بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها, فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدَّمه ورحله, ثم استأخر عني, وقال: اركبي. فإذا ركبت, واستويت على بعيري, أتى فأخذ بخطامه, فقاده حتى ينزل بي, فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمر بن عوف بقباء وكان فيها منزل أبي سلمة في مهاجرة فقال: إن زوجك في هذهالقرية فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة. فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم

---

[1] - السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (1/ 63)

[2] - (الخطام) الزمام وما وضع على خطم الجمل ليقاد به ويقال وضع الخطام على أنف فلان ملكه واستبد به ومنع خطامه امتنع من الذل والانقياد ووتر القوس (ج) خطم وأخطمة(المعجم الوسيط (1/ 245)

[3] - (أناخ)بالمكان أقام ويقال أناخ به البلاء والذل حل به ولزمه والجمل أبركه ويقال أناخ بفلان حاجته أنزلها به وشكاها إليه(المعجم الوسيط (2/ 961)

من عثمان بن طلحة[1] وقد حدث يوم الفتح جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة [2]مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله ﷺ قال لعلي إنما أعطيكم ما ترزءون[3] لا ما ترزءون[4]والعربي لا يقتحم على عدوه الذي يحاربه داره لأن للديار حرمات وإنما ينتظر حتى يخرج منه ويبارزه وجها لوجه ولا يعرف الغدر والخيانة ومن ذلك تـأمرت قريش على قتل رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وأحاطت فتيانها بالدار ولم يقتحموا على من فيها حتى خرج لهم عل ي بن أبى طالب رضي الله عنه فعرفوا أن كيدهم قد أحبط.

ب – العربي لديه نفس سامية وشمم عالية ومن هذا نعرف الخطأ الذي يقع فيه بعض المؤرخين وهم يصورون المجتمع العربي مجتمعا همجيا ينفعلون لأتفه الأسباب ويهيمون كالأنعام .صحيح أن معظمهم كانوا مشركين , وكان معظمهم يشرب الخمر , ويأتي بعادات مستهجنه قبيحة لكن جوهر الروح العربي كان جوهرا نقيا وما جاءت هذه الرذائل إلا من أساف[5] العربي ومقالاته في فضائل الأخلاق وجاء الإسلام فعدل من أخلاقهم وكشف عن جوهر هذه النفوس . أما ذلك النبي الأمي الذي أشرق على العالم شمس الهداية والتوحيد ومعجزة أنه أمي حتى يأتي بكتاب أسلم أرباب الفصاحة له وقيادهم ويقول اله تعالى {وَمَا كُنتَ

---

[1] - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (1/ 254) الروض الأنف (2/ 290) السيرة الحلبية (2/ 183) السيرة النبوية (2/ 316)

[2] - الحِجابةُ يعنون حِجابةَ الكَعْبةِ وهي سِدانَتُها وتَولّي حِفْظِها وهم الذين بأيديهم مَفاتِيحُها(لسان العرب (1/ 298)

[3] -الرُّزْءُ: المصيبة، (العباب الزاخر (1/ 19، بترقيم الشاملة آليا)

[4] - سيرة ابن هشام [مشكول] (2/ 412) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (2/ 189) الرحيق المختوم (ص: 386)

[5] - أسَافَ الرجل: أي هلك ماله(العباب الزاخر (1/ 440، بترقيم الشاملة آليا).

تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}[1].

ج – هيأ الله نبيه قبل البعثة من الميلاد إلى البعثة بما يستطيع به من التربية العالية أن يكون أهلا لحمل هذه الرسالة الكبرى وقد كانت الدنيا تتطلع إلى بعثته المنقذ لها من الضلال .لقد كانت الدنيا كلها في حاجة إلى رسالته , وإلى هذا الرجل المرتقب وبخاصة في ذلك الوقت الذي عميت فيه الوحشة الروحية والفكرية والدينية .لقد كان الناس في ذلك الوقت الذي بعث فيه النبي ﷺ إما يهودا أو نصارى , أو وثنيين كالفرس والعرب الفرس يعبدون النار وقد فشت فيهم المبادىء الخا طئة , والعرب يعبدون الأحجار التي ينتحلون لها صفة الألوهية , والروم كانوا يحملون لواء المسيحية التي تحولت إلى فرق يخطىء بعضها بعضا فلم تكن هذه العقيدة مستقرة في نفوس الناس واليهودية لم تكن لها فكرة ولا جامعة ولكنها قبائل صغيرة مستضعفة , والخلاف بينها وبين الفرق المسيحية مستحكم : وقد استفاض[2] في الناس بأنه سيبعث نبي إلى الناس كافة , فكان اليهود والنصارى يأملون أن يكون منهم , والعرب يظنون أنه منهم حتى بلغ بأمية بن أبى الصلت أنه كان يرجوا أن يكون هوالنبي المنتظر(فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)[3] .فالعالم الإنساني كان في حاجة إلى محمد ورسالته.فلما جاء النبي ﷺ هيأه الله قبل حمله الرسالة بأن يصقله صقلا ربانيا يتلائم مع ضخامة هذا العبء الكبير {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}[4].لقد هيأ الله تعالى الأذهان والأرواح حتى تستقبل الدنيا هذا النبي الكريم استقبالا كريما .فأبرز الحوادث التي لقيها النبي ﷺ في ابان[5] حياته أنه فقد

---

[1] - سورة العنكبوت48 -49
[2] - (استفاض) الخبر انتشر والقوم في الحديث توسعوا والوادي شجرا امتلأ(المعجم الوسيط (2/ 708)
[3] - سورة البقرة89
[4] - سورة المزمل5
[5] - (إبان) الشيء أوانه(المعجم الوسيط (1/ 3)

عائلته عائلا فعائلا فهو إذ يستقبل الدنيا يسبقه أبوه إلى الدار الآخرة , وهو إذ يستقبل السادسة من عمره تلحق به أمه بأبيه , ثم لا يلبث بعد ذلك بسنتين حتى يلحق جده بهما , ثم يكون في كفالة عمه أبى طالب إن هذا المعنى فيه من أنواع التكريم للنبي ﷺ ما فيه فقد أراد الله لنبيه أن ينشأ في كنف ورعاية لأن كنف الناس ورعايتهم , إن الله تعالى يريد أن يحمله الأعباء من بدء الحياة حتى يستكمل رجولته فلا يبتئس بما يواجه في حياته من الآلام {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا }[1] ورحل النبي رحلة مع عمه أبى طالب بالشام وقد تجاوز العشر سنين حيث رأى أفقا واسعا عن أفق مكة وسمع تبشير الرهبان بقرب بعثه ولاشك أن هذه الرحلة تركت في نفسه أثرا واضحا فزادت لديه بمعرفة الأقاليم والناس وكانت تكميلا له ولا يكمل الإنسان مثل السفر والرحلات وحضر حرب الفجار بين قريش وهوازن وهو يصطلي بنار هذه الحرب مع أعمامه وقد بدأها وانتهى منها وهو يرده معهم وهذا كان تدريبا له تدريبا ابتدائيا على ما يلقى من كفاح مع الناس في مستقبل حياته ,وحضر حلف الفضول وشاهده ذلك الحلف الذي تعاقد فيه نخبه من قريش على أن ينصروا المظلوم ولو لم يدعهم أحد إلى هذا سواء كان ذلك في مكة أم في غيرها وقد روى أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا ، أو حاجا ، ومعه بنت له يقال لها : القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي : من يعديني على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ، ونادى : يا لحلف الفضول فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث ، فما لك ؟ فقال إن نبيها ظلمني في ابنتي ، وانتزعها مني قسرا ، فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج إليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك ، فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا

---

[1] - سورة الطور48

له لا والله ولا شخب لقحة فأخرجها إليهم [1].روى أن عاصي بن وائل السهمي ماطل رجلا في دين له فوقف الرجل حين أعياه الأمر وأعلى صوته مستغيثا بحلف الفضول فاجتمع أهل الحلف على العاصي بن وائل ولم يتركوه حتى قضى للرجل دينه وروى أن النبي ﷺ قال في حلف الفضول (لقد شهدت مع عمومتي في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[2] هذا الحادث كان له أثر في نفس الرسول حتى إنه ليفخر به في الإسلام .ثم يأتي حادث بناء الكعبة واحتكام قريش إليه ﷺ وكان هذا في الواقع عقد لواء الإمامة لرسول الله ﷺ ولو بصوره غير مباشرة فنشأته ﷺ منذ ولد إلى أن بعث تمتاز بأمور بارزة لقي فيها كثيرا من الشدائد فلم تكن حياته هينة سهلة بل كانت قاسية تحمل فيها مواجها الحياة وظروفها فارغة من اللين والمتعة واللهو . وهو يلقى كل هذا باحتساب وصبر واحتمال وتلك كانت التربية العالية التي أرادها الله له والحياة التي امتازت بالتعالي عن سفاسف [3] الأمور فلم يسجد لصنم , ولم يشرب الخمر , ولم يله كما يلهو الصغار ولا كما يعبثون , وإنما كان طاهرا نقيا منصرفا إلى مكارم الأخلاق وإلى الخير المحصن حتى أطلقوا عليه فيما بينهم (الصادق الأمين) [4] ليكون أهلا لتحمل الرسالة التي يجتبيها الله له .

د – عظمة الرسول وفضل رسالة على الدنيا :–

إن الله عز وجل أرسل رسلا كثيرين قاموا بواجب الدعوة إليه وتوارثوا كابرا عن كابر هداية الخلق ونصرة الحق فأنقذوا الناس من أنفسهم وعرفوهم إلى ربهم

---

[1] - الروض الأنف (1/ 241) السيرة الحلبية (1/ 215) السيرة النبوية (1/ 259)
[2] - (صحيح) فقه السيرة (ص: 67) السيرة النبوية (1/ 266) الرحيق المختوم (ص: 44)
[3] - السفساف : الرديء من كل شيء والأمر الحقير(القاموس المحيط (ص: 1059)
[4] - سيرة النبي المختار (ص: 119) محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه (ص: 30) أعلام النبوة (ص: 107)

.ولكن محمدا ﷺ كان بشخصية وطبيعة رسالة أمام الأنبياء وكان بحق سيد الدعاة إلى الله فما سر هذه العظمة ؟

وبم كان هذا الفضل المبين ؟

السر في هذا أن محمدا الرسول كلف أن يغرس في قلوب من حوله إيمانا لا تستخدم في غرسه إلا الوسائل المقدورة لطاقة البشر وقد استطاع ذلك من غير أن تتبدل الأرض غير الأرض على عكس ما حدث على عهد موسى مثلا إذ رفع الطور فوق رؤس الناس ليؤمنوا بالله و أعطوا على ذلك الموثق {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[1].

وكما كان نبينا بين أتباعه بشرا رسولا فقد كان كذلك مع أعدائه لم تسخر ضدهم قوى السماء على كثرة ما لحقه فهم من إيذاء على عكس ما حدث لموسى فقد نكل الله بأعدائه تنكيلا قاهرا إذ مسخهم قردة وخنازير {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ . فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[2].وليس يفهم من ذلك أن حياة الرسول كانت خلوا من الخوارق لا فإن النبوات قائمة على أن تقترن بالخوارق في كثير من مظاهرها إنما المهم أن تأسيس اليقين في قلوب الموقنين واستئصال العدوان من نفوس المعتدين ,كان العامل الفعال فيه بشرا اكتملت في خلقه وخلفه عناصر الكمال الإنساني , وانتهت إلى شخصيته أمجاد الفطرة البشرية الناصعة فكان أتباعه من أعمق الناس حبا له لأنه أهل لكل حب , وكان أعداؤه من أشد الناس تهيبا له لأنهم يدركون أن أمامهم بطولة يعز تناولها , ويصعب الكيد لها .وكان هو في محبته للمؤمنين برا ودودا تنبثق من فؤاده النبيل عواطف جياشة لا تنضب معينها ولا يعكر صفوها .اتسعت للسابقين واللاجئين من أمته من

---

[1] - سورة البقرة63

[2] - سورة البقرة 65-66

رآهم ومن لم يرهم سمعه أصحابه يقول(وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله.قال [بل] أنتم أصحابي، وإخواننا الذين يأتون بعد)[1] فأي حب هذا الذي يمتد مع العصور المستقبلة ليربط بقلوب نبيها في الغيب , أما أعداؤه فحسبنا من نقاء صدره أن ابن أبى رأس النفاق الذي طعن النبي في شرفه , وافترى الإفك على أهله كفنه يوم مات في قميصه وأن النبي السمح لم يرفض الاستغفار له حتى أمر بالكف عنه .ذلك أمر يختص بشخصية النبي الذي تخيرته العناية الإلهية لحمل الأمانة العظمى (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[2].أما الأمر الذي يتصل برسالته بإسلامية نفسها فقد شاء الله أن يكون كتابها مسك الختام , وأن تغلق من بعده أبواب السماء , فلن ينزل ملك بوحي , ولن يتنزل الملأ الأعلى بعده نبأ , وعلى الناس مكن كل جنس ولون أن يستمعوا في هذا القرآن إلى الكلمة الأخيرة من هدى الرحمن {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[3] وقوله تعالى { لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[4] هذه الرسالة إذن باقية مع الزمن ما بقي الزمن فصاحبها نبي الخلود .وإذا علمنا أنها استوعبت كل ما في الرسالات الأولى من أصول ثابتة بعد أن نفت عنها خرافات الجهلة من الأتباع , وأكاذيب الدجالين من رجال الدين من كل طائفة علمنا أن الإسلام في جوهره النقي دين الأزل والأبد , وأن نبي الإسلام هو إمام الأنبياء وحامل لواء الحق من بداية أمره إلى نهاية مستقرة .ولقد كان نبي القرآن عربيا بحكم المولد واللسان فليس وقفا على أمة دون أمة من حيث التعاليم والتشاريع بل ميراثه ملك للناس جميعا على سواء وحق القيام على دعوته يجب على كل من تبلغه آياتها {

---

[1] -(صحيح) أحكام الجنائز (ص: 190)اخرجه مسلم (1 / 150 - 151) ومالك (1 / 49 - 50) والنسائي (1 / 35) وابن ماجه (2 / 580) والبيهقي (4 / 78) وأحمد (2 / 300، 408)

[2] - سورة الأنعام124

[3] - سورة الأنعام115

[4] - سورة الروم30

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ }[1].فإذا افتخرت أمة بأن النبي منها فلتفتخر الأمم جميعا بأن النبي لها {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[2].ومن الخطأ أن نظن لأي عموم الرسالة وخلودها تحكما في عقول الأجيال , وتجاهلا لأحوال الأمم وظروفها المتجددة ووفقا لحركات التطور الإنساني نحو الكمال .فإن تعميم نبوة محمد ﷺ وتخليدها لم يقصد به إلا المحافظة على ذلك كله لخير الإنسان وحده .فإن الإسلام أوضح الحقائق الأساسية في علاقة الإنسان بالله , وبالناس , وبالكون , وربطها بهدى الفطرة وضياء العقل .وإذا كانت به قيود مفروضة , أو صور مرسومة حددها الإسلام تجمع الفطرة مع الحق , ويتحمل العقل ويشرد عن سواء السبيل , ويخرج الإنسان على نفسه .إن الإسلام دين الإنسانية الخالصة ونبي الإسلام أحق من تلجأ إليه هذه الإنسانية لتأوى في كنفه إلى الإيمان والأمان , والإخاء والحب , والصفاء والنقاء .{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ}[3]. اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

---

[1] - سورة الأنعام19
[2] - سورة الأنبياء107
[3] - سورة المؤمنون72-74

8-محمد صلى الله عليه وسلم أسوة ودعوة

الحمد لله الذي شرف الدنيا بخير خلقه زعيم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين .أشهد ألا إله إلا الله {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [1] وأشهد أن محمدا رسول الله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده , صلوات الله وسلمه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهدية واتبع طريقته وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد : روي عن علي بن الحسين أنه كان يقول: "كنا نُعَلَّم أبنأنا مغازي رسول الله ﷺ كما نُعَلَّم السورة من القرآن"[2] وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني

---

[1] - سورة الجمعة2

[2] - مرويات الإمام الزهري في المغازي (1/ 10) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (4/ 10) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 195/2، والبداية والنهاية 242/3.

إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها .[1]وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله عليه السلام فقالت (كان خلقه القرآن)[2] , والآن وقد هبت على العالم الإسلامي نسمات الذكرى ذكرى ميلاد الرسول العظيم سيدنا محمد ﷺ كان لزاما على المسلمين بل على المنصفين من أي دين كانوا أن يقفوا أمام سيرته ودعوته وقفه الإجلال والتعظيم , والتكريم والتو قير , والمدارسة والعبرة والعظة والتذكرة وفى ذلك هدى لهم ونور وصدق الله العظيم إذ يقول :{ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [3] لقد شرف شهر ربيع الأول بميلاد السراج المنير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامة عليه فبدد ظلام الدنيا وأشرقت الأرض بنور ربها وها هو العباس رضي الله عنه يقول فيه :-

وَأَنتَ لَمّا وُلِدتَ أَشرَقَتِ ال أَرضُ وَضاءَت بِنورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وفِي النُّورِ ، وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ[4]

ويقول أمير الشعراء شوقي رحمه الله :-

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
الروحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ لِلدينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ

ولقد ولد رسول الله ﷺ من أبوين كريمين وخرج من رحم طاهر ومن نسب شريف .والنبي ﷺ يقول : (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء)[5]ونسبه ينتهي

---

[1] - مدخل لفهم السيرة (ص: 4)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (195/2).
[2] -(صحيح) الجامع الصغير وزيادته (ص: 895)قال الشيخ الألباني : (صحيح).
[3] - سورة المائدة 15-16
[4] - المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم (ص: 4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 168) الخصائص الكبرى (1/ 67) دلائل النبوة للبيهقي (5/ 354، بترقيم الشاملة آليا)
[5] -(حسن) إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات وصدوقيين عدا محمد بن جعفر الهاشمي وهو مقبولاً ورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 4210، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 8476، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف حديث

إلى أبى الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة وأزكى السلام,وأصله ثابت قوي على مدى الأزمنة والعصور فهو يقول : [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم][1] ورحم الله الإمام البوصيرى إذ يقول في همزيته

نَسَبٌ تَحسِبُ العُلا بِحُلاهُ قَلَّدَتْهَا نجومهَا الْجَوزاءُ

حبذا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ أنتَ فيه اليتيمةُ العصماءُ

وحين نذكر محمدا ﷺ نذكر الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة لقد حمل رسالة أثقل من السماء والأرض حيث قال تعالى له {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً }[2] وقد أمره الله بتبليغ رسالته حين اشتد عوده وكمل نضجه وصنعه الله على عينيه واصطفاه من بين خلقه فقال له {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }[3] وقد استجاب لأمر ربه فصدع بأمره وبدأ يعلن رسالة الحق بتوحيد الله ونبذ عباده الأصنام أيا كا ن نوعها وشكلها وقد تسبب له في ذلك أن دخل دور التجربة والإمتحان فتعرض للتنكيل والتعذيب والإيذاء والتكذيب لقد ضحى رسول الله ﷺ وتعب وناضل من أجل الإنسانية وهدايتها وسعادتها بكل شيء , فقد وضعت في طريقه الأشواك , وألقيت على بابه الأقذار , ونثر التراب على وجهه الشريف , وقذف بالحجارة والحصى حتى سال الدم من قدميه الشريفتين , ورمي بالنبال حتى جرح وجهه , وسقط بعض أسنانه , ودخلت قطع من الحديد في وجنته , وألقيت أرذل الجزور[4] وهو ساجد , وسمي من أعدائه مذموما وهو

رقم 13273، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج7:ص406)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4728، وأخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل بين الرواي والواعي (ج 1:ص470)، وأخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ج 1:ص170)، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير حديث رقم 1147، وأخرجه الطبري في تفسيره (ج 12:ص97)، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة حديث رقم 14، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (ج1:ص26)، وأخرجه السهمي في تاريخ جرجان (ج1:ص359)،(ج1:ص361.

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2279، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3606، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14:ص135)،6333،(ج14:ص392.

[2] - سورة المزمل5,

[3] - سورة الحجر94

[4] - (الجزور) ما يصلح لأن يذبح من الإبل (ولفظه أنثى) يقال للبعير هذه جزور سمينة (ج) جزائر وجزر(المعجم الوسيط (1/ 120).

محمد وأحمد المحمود في الأرض وفى السماء .وقيل عنه كاهن , وساحر , وشاعر , ومجنون وهو خير الخلق وصفي الخالق وهو مع ذلك كله صبر وصابر , حتى بلغ الرسالة , وأدى الأمانة , وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .إن محمداً ﷺ يطالبنا بصادق الاستجابة لكريم النداء بالعمل والاستقامة والنقاء قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }[1] إنه ما ترك أمرا من أمور الخير الأصيل إلا دعا إليه وحث عليه وما ترك بابا من أبواب الشر والفساد إلا حذرنا منه ونهانا عنه , وما كان رسول الله ﷺ إلا محرراً للمكان والزمان , والإنسان من كل ضلال وبهتان , وما كان إلا الرحمة المهداة إلى هذه الحياة وما كان إلا النعمة والهناء لأولئك الأحياء , لقد أرشد إلى طريق الطهر والتطهر وحث على الشرف والفضيلة , وحذر من المنكر والرزيلة ولذلك كان يفتتح الصلوات بتلك الدعوات قائلا : (اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس[2] اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد)[3]وليس وراء ذلك الدعاء إلا حرصه على تجنب المأثم والسيئات وقد علم محمد ﷺ قومه بتوجيه ربه الكريم , وتأديبه الحكيم أن يكونوا على المبدأ ثابتين , وبالعقيدة متمسكين , وعن المغريات مترفعين , فلا يساومون على دينهم أو مبدئهم , ولا يقبلون في عقيدتهم تهاونا أو تفريطا ولو أدى ذلك إلى مصلحة دانية أو نائية واعترض رسول الله ﷺ فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة .الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في

---

[1] - سورة الأنفال24.
[2] - الدنس محركة : الوسخ(القاموس المحيط (ص: 704)
[3] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 744، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 601.

الأمر ثم نزل القرار الحازم الفاصل ليتلوه عليهم من ربه :{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (1-6سورة الكافرون)[1].وهذه الآيات براءة من الشرك كما رواه الإمام أحمد عن النبي ﷺ كان يعلم الناس إذا آووا إلى فراشهم أن يقرؤها وقال :إنها براءة من الشرك (احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ :(قل هو الله أحد ألا إنها تعدل ثلث القرآن)[2].وعلم النبي ﷺ أن يؤثروا رضا الله على رضا الناس , وأن يثقوا بنصرة الرحمن حين يستعلي جبروت الشيطان , وأن يشدوا أصرتهم[3] بعروة[4] الله الوثقى[5] التي لا انفصام[6] لها حين تتزلزل الأقدام , وتتبلبل الأفهام فإذا سلم الارتباط بالله فما دونه هباء وصدق من يناجى ربه :

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

لقد بلغ الكفر مداه مع رسول ﷺ في إيذائه وانتهى بهتان المجرمين معه إلى منتهاه فلم يسخط ولم يقنط , ولم يفكر إلا في رضا الله عز وجل فيناجى ربه يوم أصابه من ثقيف حين سلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم يسبونه ويرجمونه بالحجارة حتى يسال الدم من عقبيه الشريفتين إنه يضرع إلى ربه قائلا :(اللهم إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على النّاس، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى مَن تكلني[7]؟ إلى بعيدٍ يتجهمنِي[8]، أو إلى عدوٍّ

---

[1] - صحيح السيرة النبوية (ص: 202)

[2] -(صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة (10/ 215) (3978) (الصحيحة)

[3] - (أصره)أصر عقده وشده ولواه وعطفه وحبسه ويقال أصره عنه(المعجم الوسيط (1/ 19)

[4] - (العروة) من الثوب مدخل زره وما يستمسك به ويعتصم(المعجم الوسيط (2/ 597)

[5] -(وثق) الشيء (يوثق) وثاقة قوي وثبت وصار محكما وفلان أخذ بالوثيقة في أمره بالثقة فهو وثيق (ج) وثاق وهي وثيقة (ج) وثاق(المعجم الوسيط (2/ 1011)

[6] -(انفصم) الشيء انكسر من غير فصل والعقدة انحلت والعروة انقطعت وفي التنزيل العزيز) فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (وظهره انصدع والدرة انصدعت ناحية منها والمطر انقطع وأقلع (المعجم الوسيط (2/ 692)

[7] - أي لا تتركني ولا إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (8/ 430، بترقيم الشاملة آليا)

[8] - (جهم) جهامة وجهومة صار عابس الوجه كريهه ويقال جهم وجهه فهو جهم وجهيم(المعجم الوسيط (1/ 144)

ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظّلمات، وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة أن يحلّ عليَّ غضبك، أو ينْزل بي سخطك. لك العُتْبَى [1]حتى ترضى. ولا حول ولا قوّة إلاّ بك) [2].وروي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته[3] وشج [4]وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال (إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)[5] وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره، وقال: إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك، فقال عليه الصلاة والسلام: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"[6] فقال جبريل: صدق من سماك الرءوف الرحيم.[7] حيث قال : {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [8].ولا نستطيع أن نستقصى شمائل الرسول وأخلاقه وإنما جزء يسير من أسفار ضخمة تعجز عن الإحاطة بخلقه وأسوته وسلوكه وقدوته.أما دعوته ورسالته فهي رسالة أكبر من السماء والأرض والله يقول له {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } [9], وهى امتداد لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام : {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [10].امتدت رسالة محمد ﷺ طولا من لدن آدم

---

[1] - العتبى أي الرضا عنه(شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (10/ 280)

[2] - (حسن) جامع الأحاديث (6/ 155)أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (35/6) قال الهيثمى (35/6) : فيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات . وأخرجه أيضًا : ابن عدى (111/6 ، ترجمة 1623 محمد بن إسحاق بن يسار) وقال : هذا حديث أبى صالح الراسبى لم نسمع أن أحدا حدث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه . والضياء من طريق الطبرانى (179/9 ، رقم 162) . أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي حديث رقم 1901، وأخرجه الطبري في التاريخ حديث رقم 464، وأخرجه سليمان بن أحمد الطبراني في الدعاء للطبراني حديث رقم 1036، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة في الرقة والبكاء لابن قدامة حديث رقم 14.

[3] - رباعيته بتخفيف الياء وهي السن التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات(الديباج على مسلم (4/ 401)

[4] -الشَّجّ: كَسْرُ الرَّأس. وبَيْنَهم شِجَاجٌ. ويُقال: شَجَّه يَشُجُّه ويَشِجُّه. والشَّجَجُ: أثَرُ شَجَّةٍ في الجَبِين(المحيط في اللغة (2/ 75، بترقيم الشاملة آليا)

[5] - الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 105) الرحيق المختوم (ص: 238) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص: 52)

[6] - الروض الأنف (2/ 223) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 105) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 481)

[7] - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - الرقمية (ص: 52)

[8] - سورة التوبة128

[9] - سورة المزمل5

[10] - سورة النحل123

إلى أن يبعث الناس , وعرضا من مشرق الأرض إلى مغربها , وعمقا حتى شملت الإنس والجن وصدق الله العظيم إذ يقول :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[1], وقوله تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[2], وقوله تعالى :{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }[3], وقوله تعالى :{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }[4]وقد أخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء السابقين بأن يؤازروه وينصروه وأشهدهم على ذلك وآزر [5] شهادتهم بشهادته وبأن يوصوا إلى أتباعهم بالإيمان بمحمد ﷺ وأتباعه قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }[6] وعن جابر عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : " أمتهوكون[7] أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ")[8]وبين آصرة الأخوة التي بينه وبين السابقين له من الأنبياء , ووحدة الرسالة بقول الله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[9].وقول النبي ﷺ فيما رواه الشيخان :(مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بي

---

[1] - سورة سبأ28
[2] - سورة الأنبياء107
[3] - سورة الأعراف158
[4] - سورة الفرقان1
[5] - (آزر) الزرع مؤازرة أزر وفلانا عاونه والشيء ساواه وحاذاه(المعجم الوسيط (1/ 15)
[6] - آل عمران81
[7] - " أمتهوكون " أي : متحيرون أنتم في الإسلام ، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى(شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (1/ 271).
[8] -(حسن) رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان مشكاة المصابيح (1/ 38) 177 - [38]
[9] - سورة الأنبياء25

البنيان وختم بي الرسل " . وفي رواية : " فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[1].ورضي الله عن الإمام البوصيري إذ يقول في بردته : –

وَكلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها   فإنما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بهِمِ

فإنَّه فَضْلٍ شَمْسُ هُمْ كَواكِبُها   يُظْهِرْنَ أنْوارَها للناسِ في الظُّلَمِ

هذه الرسالة حملت لنا الإيمان بالله {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ }[2]. أن الله تعالى ليس مادة تفنى وتزول , وليس متعددا فإن التعدد تركيب ويختلف في الصفات والخلق , وليس أبا ولا أبنا , فإن الأبوة والبنوة تجزئة وانفصال قال تعالى : {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }[3] وقوله :{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[4] وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)[5].ومن رحمة الله بنا أنه احتجب عنا بذاته لأن أبصارنا لها حد محدود في الرؤية لا تتجاوزها ورؤية الله في الدنيا يكون مشابها للحوادث فيكون مادة وهذا مستحيل عليه بل إن طاقتنا البشرية لا تتحمل ذلك فإن بعض المواد المادية , أو القنابل النووية وهى مادية لا نتحمل أثرها فينا فكيف برؤية خالق الكون سبحانه وتعالى وصدق الله العظيم إذ يقول : {ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ .لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[6].وقد طلب موسى عليه السلام من قبل أن يرى الله سبحانه وتعالى . ربط رؤيته لله باستقرار الجبل حين تجلى الله عليه والجبل أقوى مرارا من

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3535، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2289.
[2] - سورة الانفطار7-8
[3] - سورة المؤمنون91
[4] - سورة الشورى11
[5] - سورة الإخلاص :1-4
[6] - سورة الأنعام 102 – 103

الإنسان وأصلب صلدا منه وها هو القرآن الكريم يحكى لنا قصة طلب موسى لرؤية الله فقال على لسانه :{ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [1].ولو كان موسى على الجبل لهلك واختفى كما اختفى الجبل من الوجود .ووضع محمد ﷺ نظام الأسرة حيث يقوم على أساس العلاقة الوثيقة بين الزوجين القائمة على السكن والرحمة والمودة وجعل هذا الترابط بين الزوجين آية من آيات الله الدالة على وحدانيته ورحمتة قال تعالى :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[2].ووضع قواعد الوحدة الإنسانية بين البشر جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم فلم يلحظ فيها الفوارق القومية ولا الحدود الجغرافية , ولا العصبية الجنسية في اللون والدم والقبيلة , ولكن دعمها على أساس النسب الأول , والأصل الواحد المشترك ورفعها إلى آدم وحواء وخاطب بها الناس على أنهم في ذلك أكفاء وصدق الله العظيم إذ يقول : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[3] فقضى على الفوارق بين الناس وألا نفاضل بينهم إلا بالتقوى وبما يقدمه الإنسان للمجتمع من خير وفضل ففي خطبة الوداع التي قرر النبي ﷺ فيها حقوق الإنسان قال : (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب)[1]ويقول (من قتل تحت راية عمية [1] ؛

---

[1] - سورة الأعراف143
[2] - سورة الروم21
[3] - سورة النساء1
[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 22977، وأخرجه ابن المبارك في مسنده حديث رقم 239، وأخرجه أبو حفص السهروردي في مشيخة السهروردي حديث رقم 24، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5137، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ والتنبيه حديث رقم 245.

يدعو عصبية أو ينصر عصبية ؛ فقتلته جاهلية)[2] وقال (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم)[3].وقد أعطى محمد ﷺ للمرآة حقها كاملا بما لم تحلم به ماضيا وحاضرا ومستقبلا فلم ينقصها حقها في أقضية تجول بخاطرها , بل ولا في خيال تتخيله وعلى الذين يتباكون على حقوق المرأة أن يدرسوا المرأة قبل الإسلام ماذا كان مصيرها لقد كانت في الجاهلية متاعا يورث , وصبية في الصين , وأمة في الهند لا يعترف بإنسانيتها , ومجهولة القدر في أوروبا ولم يكن لها معين ولا نصير فجاء محمد ﷺ فاعترف بكيانها وحقوقها , وأقر قرابتها ورحمها أما فاضلة , وبنتا رحيمة , وزوجة كريمة , وأختا بارة .فأما الأم فقد أوصى الرسول لها بثلاثة أضعاف الأب في الصحبة(فعن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : " أمك " . قال : ثم من ؟ قال : " أمك " . قال : ثم من ؟ قال " أمك " . قال : ثم من ؟ قال : " أبوك " . وفي رواية قال : " أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك)[4]وأما أختا وبنتا , فقد قال النبي ﷺ (من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن (وفي رواية : يبن وفي أخرى : يبلغن) أو يموت عنهن؛ كنت أنا وهو كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى) [5]ونهى الإسلام عن وأدهن والذي كان شائعا بين العرب قال تعالى : (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) [1]وقال في سورة النحل : {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا

---

[1] - عمية من قوم عمين والأخبار والأمور عنه وعليه خفيت والتبست(المعجم الوسيط (2/ 629)

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1852، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 6033.

[3] 0(صحيح) رواه أبو داود والنسائي مشكاة المصابيح (2/ 290) 3475 - [30] (صحيح).

[4] -(صحيح) مشكاة المصابيح (3/ 65) 4911 - [1] (متفق عليه)

[5] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12089.

[1] - سورة التكوير 8 – 9

يَحْكُمُونَ}[1].وأما كونها زوجة فقد أمر الإسلام بإحسان العشرة لها ولطف المعاملة معها فقال سبحانه:(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[2], وقال في بيان الحقوق لها وما عليها : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [3] ويوصي النبي ﷺ الرجال بالنساء خيرا فيقول : (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[4] ويقول (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)[5].وأعطى النساء حق الميراث بعد حرمانهن فقال سبحانه : {لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً } [6]ويقول النبي ﷺ : (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا)[7]ويقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا)[8] ويقول في حجه الوداع (واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا وإن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا

---

[1] - سورة النحل 58 -59
[2] - سورة النساء 19
[3] - سورة البقرة – 228
[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1219، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1457,3944، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 7911، وأخرجه ابن حزم الظاهري في حجة الوداع لابن حزم حديث رقم 88.
[5] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1162، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 1054، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 7026، وأورده الهيثمي في بغية الباحث حديث رقم 812، وأخرجه ابن بطة في الإبانة حديث رقم 433، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم 1612، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 4431، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العيال حديث رقم 471، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم 452.
[6] - سورة النساء7
[7] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5186، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم 214، وأخرجه ابن ابي شيبة في مسنده حديث رقم 562، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 2332، وأخرجه هناد في الزهد حديث رقم 493.
[8] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5186، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 2332.

إليهن في كسوتهن وطعامهن)[1]ولقد حث النبي ﷺ أمته على نظافة القلب من الغش والحقد والحسد وعلى نظافة البدن والمكان والله تعالى يقول :{ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[2].أما نظافة القلب فعن أنس بن مالك قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة " فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى . فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ، مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ قال: نعم . قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة " فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت . قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)[1]وعن عبد الله بن عمرو

---

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1163,3087، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9124.

[2] - سورة البقرة 222

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12286، وأخرجه ابن المبارك في مسنده حديث رقم 1، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج6:ص121.

رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال كل مخموم القلب[1] صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد)[2] ويقول (لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا)[3] وأما نظافة البدن والثوب والمكان فإن الله تعالى يقول :(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[4] .ولقول النبي ﷺ :(إسباغ[5] الوضوء شطر الإيمان)[6]ويقول (الطهور شطر الإيمان)[7]ويقول (من اغتسل يوم الجمعة فأحسن الغسل وتطهر فأحسن الطهور ولبس من أحسن ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله ثم أتى المسجد فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)[8].ويقول(إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء)[9]وروى أن النبي ﷺ قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قيل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق[10] وغمط[11] الناس)[1] .وفي رواية أن رجلا جميلا أتى النبي (ﷺ) فقال : إني أحب الجمال وقد أعطيت منه ما ترى حتى

---

[1] - مخموم القلب قال هو النقي أي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (15/ 119).

[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4216، وأخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق حديث رقم 760.

[3] -(صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 8157.

[4] - سورة المدثر 4

[5] - إسباغ الوضوء، وهو إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المُغطي للبدن كله(اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: 4، بترقيم الشاملة آليا)

[6] -(صحيح) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم 2427، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 280، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 844، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 601، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 2229، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 2874، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 2719، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم 437.

[7] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 226، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 22393,22400،

[8] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21028، وأخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 1707، وأخرجه الحميدي في مسنده حديث رقم 138، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 438، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 717، وأورده الهيثمي في بغية الباحث حديث رقم 68، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم 901، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 632.

[9] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 96، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 1:ص162)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج1:ص196)، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 537، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير للبيهقي حديث رقم 263.

[10] - بطر الحق أبطله وتكبر عن الإقرار به وطغى في دفعه والبطر في النعمة قلة شكرها والتصرف معها في ما لا ينبغي التصرف فيه(تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم (ص: 17)

[11] - قال في المجمع الغمط الاستهانة والاستحقار وازدراؤهم وهو كالغمص (تحفة الأحوذي (6/ 117).

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 92، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج12:ص280).

ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل أفمن الكبر ذلك يا رسول الله قال : لا ولكن الكبر بطر الحق وغمص[1] الناس)[2](أي هضم الحقوق واحتقار الناس) وحث النبي ﷺ على ممارسة العمل وتصفح وجوه الرزق وجعل السعي على اكتساب القوت أفضل من المكث في المسجد اعتكافا وتعبدا , والسعي على طلب الرزق من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل قال تعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [3] , وقال :(وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [4]. فقارن السعي في اكتساب القوت بالجهاد في سبيل الله تعالى :وجعل السع ي في اكتساب الرزق الحلال والكد في تحصيله وإجهاد النفس في طلبه مغفرة للذنوب وتكفير للأثام فقال النبي ﷺ (من سعى على والديه؟ ففي سبيل الله!،ومن سعى على عياله!،ففي سبيل الله،ومن سعى على نفسه ، ليعفها ففي سبيل الله،ومن سعى على التكاثر؛ ففي سبيل الشيطان .وفي رواية :الطاغوت)[5].ويقول (لإن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[6] ويذم المسألة مع القدرة على السعي والاكتساب فيقول النبي ﷺ : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة[7] لحم)[1] لقد حث الإسلام الناس على الكسب الشريف أن

---

[1] - وغمص بكسر الميم وفتحها فيهما جميعاً ، ويقال : غمص النعمة وغمطها : إذا لم يشكرها. (شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (13/ 166)

[2] -(صحيح) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 745، وأخرجه الخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة والأنباء المحكمة (ج1:ص370.

[3] - سورة الملك 15

[4] - سورة المزمل 20

[5] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج9:ص23)، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1867، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4214، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 10377، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 8462.

[6] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1470,1471,1480، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 2589.

[7] - مزعة لحم بضم الميم وسكون الزاي أي قطعة قيل هو على ظاهره فيجئ وجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له حين سأل بوجهه(الديباج على مسلم (3/ 119).

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1475، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1042، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 4624,5584.

يكون حلالا ومن مصادر مشروعة لا من مصادر خبيثة نهى الشرع عنها فلا يكون من ربا , ولا غش , ولا سرقه ونهب , ولا خداع وتحايل ونصب فقال النبي ﷺ : (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية)[1] ويقول (من غشنا فليس منا)[2]والكسب الحلال من أفضل الأعمال (أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور)[3] والله تعالى يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [4].إن محمدا ﷺ عالج داء الفقر الذي استعصى على المصلحين والفلاسفة والمفكرين حيث فرض الزكاة في أموال الأغنياء وهو حق يرد إلى الفقراء في عروض التجارة والأموال ذهبا أو فضة أو أوراق البنكنوت التي تتداول في أيدي الناس وكذلك النعم من الإبل والبقر والغنم بحسب ما قرر الفقه الإسلامي المقادير التي تخرج منها وكذلك زكاه الأرض في كل ما تنبته مما يدخر ويبقى يوم حصاد الزرع منها لقول الله تعالى : (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)[5].ثم سن الإسلام الصدقة وتوسع فيها حتى يتراحم الناس فيما بينهم لقد بث الرحمة في قلوب الأغنياء , وجعل المتقين فيهم وهم الذين لا يتأثرون بما يطرأ عليهم من الخير والشر فلا يجزع من الشر إذا آتاه ولا يمنع الخير عن الناس إذا حل به فهو قائم على الصلاة يحافظ عليها دائم على أدائها وقد جعلوا في أموالهم حقا للسائل والمحروم قال تعالى : {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً .إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً . إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

---

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21449، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم 2819، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 3381، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد (ج 1:ص41)، وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (ج1:ص120).

[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2225، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2541، وأخرجه ابن حبان في صحيحه 4905،567،(ج12:ص369)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 2:ص9)، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج على مسلم حديث رقم 284,286.

[3] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 16814، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 2:ص10)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج5:ص263)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 3731,3798.

[4] - سورة البقرة 168

[5] - سورة الأنعام 141

دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[1] وأن الطهارة للمال وتزكية المعطي حين يخرج حق الله المفروض عليه إلى الفقراء والمحتاجين والله تعالى يقول :(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) [2] وأن المال الذي تحت أيديهم هو مال الله , خرج المرء من باطن أمه لم يكن معه درهم ولا دينار وسيخرج من الدنيا باسطا كفيه خاوية الوفاض : –

وَفي قَبضِ كَفِ الطِّفلِ عِندَ وَلادِهِ دَليلٌ عَلى الحِرصِ المُرَكَّبِ في الحَيِّ

وَفي بَسطِها عِندَ المَماتِ مَواعِظٌ أَلا فَانظِروني قَد خَرَجتُ بِلا شَيِّ

قال تعالى : { وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ }[3], وقوله :(وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [4].وقد أخبرنا التاريخ المثبت أنه في عهد عمر بن عبد العزيز جمع ولاة البلاد الزكاة فقالوا ماذا نصنع بها قال فرقوها على الفقراء والمساكين فجعلوا يبحثون عن فقير يستحق الزكاة فلم يجدوا فقال فرقوها على فقراء اليهود والنصارى فجعلوا يبحثون عن فقير منهم فلم يجدوا فقالوا له أغنت الزكاة جميع الناس ولم يوجد فقير قط فقال لهم إذا فاشتروا بهذا المال عبيدا وأعتقوها ورحم الله أمير الشعراء إذ يقول في رسول الله ﷺ في همزيته : –

والبرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ وَفَرِيضَـةٌ

لاَ مِنَّـةٌ مَمْنُـونَـةٌ وَجَبَـاءُ

جَاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةُ سَبِيلَـهُ

حتَّـى الْتَقَى الكُرَمَـاءُ والبُخَلاَءُ

أنْصَفْتَ أهْلَ الفَقْرِ مِنْ أهْلِ الغِنَى

فَالْكُلُّ فـي حَقِّ الحَيَاةِ سَوَاءُ

فَلَـو انَّ إنْسَانـا تَخَيَّـرَ مِلَّـةً

مَـا اخْتَـارَ إلاَّ دِينَـكَ الفُقَرَاءُ

---

[1] - سورة المعارج 19 – 25
[2] - سورة التوبة – 103
[3] - سورة النور – 33
[4] - سورة الحديد – 7

وبعد فهذا هو رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة وصاحب الدعوة الكريمة التي أنقذت الدنيا مما ارتكست فيه من إثم , وفرق ظلام الجهالة فأشرقت الأرض بنور هدايته فهل نأخذ من هذه التعليمات الربانية , والهداية المحمدية دروسا نستفيد بها في حياتنا فنقوم ما اعوج منا من إنحراف عن الحق لنهتدي سواء السبيل اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين .

9- في ظل الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته

وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة في ظل الله فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : –

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[1].يوم القيامة يوم عبوس[2] قمطرير[3] {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً }[4] , يوم يجعل الولدان شيبا {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً }[5], ويقول الله تعالى {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }[6].وإن عباد الله عبادا أبرار يبعثون في هذا اليوم آمنين لا يفزعون حين يفزع الناس , ولا يخافون حين يطبق الهول على أهل الموقف , فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا .إنهم سبعة من صفوة المؤمنين , وكلمة رجل لا تعنى مدلولها اللغوي , ولكنها تعنى مفهومها العامل في نظر الإسلام حيث تنتظم الذكور والإناث والله تعالى يقول :{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[7] .والعدد هنا لا مفهوم له فهناك أصناف من المؤمنين يظلهم الله في ظله منهم من أنظر معسرا بأن دفع عنه , ومنهم من يراعى مواقيت الصلاة , ومنهم حملة القرآن العاملون به , ومنهم صاحب الخلق الحسن .وأول هؤلاء الأبرار الإمام العادل وهو كل من تولى

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 660,1423، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1033.

[2] - [عبس] ع ب س : عَبَسَ الرجل كلح وبابه جلس وعبَّس وجهه شُدد للمبالغة و التَّعَبُّسُ التجهم ويوم عَبُوسٌ أي شديد(مختار الصحاح (ص: 467)

[3] - قَمْطَرِيرٌ أي شديد(مختار الصحاح (ص: 560)

[4] - سورة الإنسان10

[5] - سورة المزمل17

[6] - سورة الحج2

[7] - سورة النحل97

رياسة على جماعة وعدل بينهم , والعدل شريعة الله إلى خلقه وأمره إلى عباده (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) [1] (اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [2].والإمام العادل ظل الله في أرضه , به تستقر الأمور , وتسود الطمأنينة , ويستتب الأمن القوي عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه , والضعيف عنده قو ي حتى يأخذ الحق له وهو بهذه العدالة في أعلى مكان قال رسول الله ﷺ : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)[3].وكل أمير جماعة مسؤل عنهم يوم القيامة فهو مغلول حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور والنبي ﷺ يقول : (ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا[4] حتى يفكه العدل أو يوبقه[5] الجور)[6] .ومن الذين يظلهم الله في ظله الشاب الذي نشأ في طاعة الله فالشباب هم عماد الأمة وأسس نهضتها , وحصنها الحصين الذي يدفع عنها غائلة [7] الشدائد التي تغتالها ولا يكون ذلك إلا بالعناية به أدبا وخلقا وعلما وحسن تربية, وفى تاريخ الإسلام أمثلة رائدة للشباب المسلم في صدر الإسلام كعلي كرم الله وجهه حين فدى الرسول بنفسه ليلة الهجرة , وانقضاض ابني عفراء على قتل أبى جهل , ولأهمية الشباب فقد ولى النبي ﷺ إدارة الجيش لأسامة بن زيد , وإصلاح الشباب يبدأ معه وهو غ صن طري لأنه إذا كبر ولم توقف تيار الشهوات فان العنان ينفلت من يده .ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمسجد , وعمارة المسجد سواء ببنائه , أو المواظبة على صلاة

---

[1] - سورة النحل90

[2] - سورة المائدة8

[3] -(صحيح) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم 5379، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6456، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4485، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 5883، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 4480، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص86).

[4] - مغلولاً أو مسلسلاً(شرح مسند أبي حنيفة (1/ 23).

[5] - أي يهلكه ظلمه(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (11/ 334)

[6] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص94)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 5721,6726، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1638، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 6225، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 7382.

[7] - غائلة وهي الخصلة التي تغول أي تهلك في خفية(التعاريف (ص: 542)

الجماعة فيه , وهو أمارة الإيمان الصحيح يقول رسول الله (من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة)[1]ويقول(صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[2].قال تعالى : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) [3] , والرجل الملازم للمسجد والمحب له تناله رحمات الله ورضوانه والنبي يقول : (ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش[4] الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم .)[5] , وإن عمار بيوت الله هم أهل الله والنبي يقول : (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة)[6] ويقول(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[7]ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه فالحب في الله أطهر علاقة تجمع بين اثنين , وأقدس رباط بين قلبين , وأشرف لواء يعيش الناس في ظله , وكل حب ينبسق عن غرض مادي يزول ولا يبقى إلا الحب في الله قال تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [8], وقد قامت الجماعة الإسلامية الأولى على أساس الحب في الله :(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) [1] ويقول الله تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ

---

[1] -(صحيح) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم 688، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 735، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 378، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1608,4628، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 9:ص170)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 253.

[2] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 645، وأخرجه مالك في الموطأ برواية يحيى الليثي حديث رقم 290.

[3] - سورة التوبة18

[4] - البش : فرح الصديق بالصديق واللطف في المسألة والإقبال عليه وقد بششت به أبش . وهذا مثل لتلقيه إياه ببره وتقريبه وإكرامه(النهاية في غريب الأثر (1/ 334، بترقيم الشاملة آليا)

[5] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 800، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8150,9531، وأخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 359,1421، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص213).

[6] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 669، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2044.

[7] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2702، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 225، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7379.

[8] - سورة القصص88

[1] - سورة الفتح29

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[1], ومن أقوى أمارات الإيمان أن يحب المرء أخاه لا يحبه إلا لله وفى الحديث : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[2]ويقول(من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله)[3]والمتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة وينالون أكرم منزلة يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة وهم لا يخافون إذا خاف الناس والنبي ﷺ يقول : (إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[4], ويقول: (إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم لعلنا نحبهم قال هم قوم حابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } يونس(62)[5].والمتزاورون بدافع الحب في الله فقد قال النبي ﷺ : (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته[6] ملكا قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها[1] ؟ قال : لا غير أني أحببته في الله . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[2] .ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته

---

[1] - سورة الحشر9

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 16,21,6941 .

[3] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص3)، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم 253، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 9018، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم 467، وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (ج1:ص146).

[4] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2568.

[5] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 573.

[6] - مدرجته) بفتح الميم والراء والجيم الطريق أي هيأ على طريقه ملكاً وأقعده يرقبه(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 84)

[1] - تربها) بفتح المثناة الفوقية وضم الراء وشدة الموحدة أي تملكها وتستوفيها أو معناه تحفظها وتراعيها كما يربى الرجل ولده(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 84)

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2568، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 9642.

امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى فالمؤمن القو ي الراسخ في الحق , الطاهر الذيل الخائف من ربه هو الذي يستطيع أن يمنع نفسه من هذه المغريات والشهوات المتكررة هو الذي يقشعر جلده وقلبه من هيبة الله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) [1].ويقول الله تعالى :(أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا[2] ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[3], ويقول النبي فيما يرويه عن ربه (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)[4] .ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه فالأعمال توزن عند الله بميزان النوايا والبواعث فإذا
خلص لله كان أرجى قبولا عند الله وأعظم أجرا وذلك هو جوهر الإسلام قال تعالى : {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[5] ويقول : {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ }[6] .ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من الدموع فكلما أزداد خوفا منه فإذا ذكر الله خاليا بعيدا عن الناس وانفطر قلبه من الخالق فإذا عيناه تفيضان بالدمع رغبة ورهبة فذلك نور الله قلبه بالإيمان فهو في ظل الله يوم القيامة والبكاء أمارة الخشية , ودليل حضور القلب , وانفتاح البصيرة ولا تجتمع هذه الصفات إلا فيمن هدى الله

---

[1] - سورة الأنفال2
[2] - باعاً) وهو قدر مد اليدين(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 362)
[3] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 811,812، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 7683، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 12484.
[4] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 640، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 3229، وأخرجه عبد الوهاب بن منده في نسخة نبيط بن شريط حديث رقم 354، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 775، وأخرجه ابن المبارك في الزهد حديث رقم 157، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم 1145.
[5] - سورة البينة5
[6] - سورة الزمر11

واجتباه {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً }[1] ويقول {وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً }[2].ولقد بكى النبي في مواقف كان لها تأثيرها القوي على نفسه الشريفة بكى راكعا وساجدا بين يديه ربه , وبكى رأفة بأمته وشفقة عليها فعن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر : " اقرأ علي " . قلت : أقرا عليك وعليك أنزل ؟ قال : " إني أحب أن أسمعه من غيري " . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً }[3] قال : " حسبك الآن " . فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[4])[5]وكان أبو بكر إذا قرأ القرآن غلبه البكاء , وعلي يبكى في محرابه , وعمر يحمله الخوف من ربه أن يقول : (فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً. أخذت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة)[6](وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا قال إن رسول الله ﷺ قال إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه قال وقال رسول الله ﷺ ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه)[7] اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته

---

[1] - سورة مريم58
[2] -سورة الإسراء109
[3] - سورة النساء41.
[4] - تذرفان بكسر الراء تسيلان يقال ذرفت العين بذال معجمة وراء مفتوحة وفاء أي جرى دمعها(شرح السيوطي لسنن النسائي (4/ 26)
[5] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 4582,5050.
[6] - محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (2/ 621) ابن الجوزي: مناقب ص 161.
[7] - (حسن) تحقيق الألباني :حسن ، المشكاة (132) ، تخريج المختارة (366 - 367) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2308، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4267، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 456.

واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

10–البر اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (البر اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب)(فعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألت عنه فقال لي ادن[1] يا وابصة فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبته فقال لي يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والإثم قلت نعم فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت[2] بها في صدري ويقول يا وابصة استفت قلبك والبر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك[3] في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)[4] هذا صحابي جليل يسمى وابصة وفد على مجلس رسول الله ﷺ وقد طوى في نفسه سؤالا يريد أن يقف به على الحد الفاصل بين الحق والباطل , والخير والشر , والبر والإثم , لتتفتح أمامه مجالات كل منهما يقبل بكل نفسه على مرضاة الله , وينأى عن معاصيه , وقبل أن ينطق الصحابي بكلمة , استشف النبي الكريم ما يجول بخاطره , وقرأ بنور الله ما يدور في مشاعره وإدركاته فقال له النبي ﷺ : ادن ياوابصه لأخبرك بما جئت تسأل عنه جئت تسأل عن البر

[1] -ادنُ دونك أي اقترب(تهذيب اللغة (4/ 479، بترقيم الشاملة آليا)
[2] - قوله فجعل ينكت بها بضم الكاف وآخره تاء باثنتين فوقها أي يؤثر بها في الأرض نكت في الأرض إذا أثر بها بقضيب (مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 12)شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (2/ 455)
[3] - (حاك)الشيء في صدره أو قلبه حوكا رسخ(المعجم الوسيط (1/ 208)
[4] -(صحيح) أخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2533، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 17538، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 403، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المفاريد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي يعلى الموصلي حديث رقم 96، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 2139.

والإثم ؟ فقال وابصه نعم وهنا جمع الرسول ﷺ أصابعه الثلاث وجعل ينكث بها في صدر هذا السائل لينفتح قلبه لما يقول وليتحول صدره بهذه الدقات اللطيفة إلى جهاز استقبال دقيق يستوعب فيض الحكمة , ويستقبل تيار الوحي في وع ي وإدراك ويعقل معنى قول النبي ﷺ (ياوابصة) استفت قلبك .ثم يعرف معنى ما جاء يسأل عنه في بلاغة لا نظير لها في كلام الفصحاء والبلغاء , وفى بيان يعجز عن بيان مثله أرباب الح كمة والنطق فيقول له : (والبر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)إن الرسول ﷺ منار هداية وداعية وخيروا صاحب بين رسالة نادت بها السموات والأرض . إنه حامل مشعل السماء يرسل منه الضياء إلى آفاق الدنيا , ومن ثم فهو دائب الحرص على أن يكثر في الناس حملة الضمائر النظيفة , والنفوس اللوامة وبذلك يرتفع المؤمنون إلى مستوى الأبرار وكل مولود على الفطرة , وفى هذه الفطرة يكمن قوة ربانية نورانية , تهد ي صاحبها تلقائيا إلى الحق , وبها يستطيع أن يميز بين الخير والشر , وهذه القوة أو هذه البديهية تخلق معنا وتنمو بنمونا ولكنها كأي غريزة فينا نحتاج إلى زاد تستمر منه بقاءها ونموها وهذا الزاد هو ما جاءت به الأديان السماوية فالضمير تابع لوسائل التربية الخلقية التي توجهه فإذا كانت نابعة من وح ي الله أصبح بها الضمير قائدا حكيما يرشد إلى مواطن الخير ويتنكب بصاحبه عن مواطن الزلل قال تعالى {فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ }[1] وقال {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }[2] والنبي ﷺ يقول (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم

---

[1] - سورة النساء135
[2] - سورة ص26

حتى أكون أحب إليه من والده وولده) [1].وإذا كان الضمير هو الباعث على الخير فإن الدين قد جاء ويحمي الضمير من غواشي النفس الأمارة بالسوء حتى لا تأخذ المرء سنة ولا غفوة عن ربه وتجعله مرتبطا بالله ويقف منه موقف الإحسان والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؟ ويقول تعالى {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }[2] ويقول : {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [3] . وذكر الله إحداث اليقظة في القلب والضمير حتى يؤديا إلى الحق والخير .والضمير مستقلا عن الدين ليس كافيا في الهداية إلى الحق , والدين وحده هو الثابت ومقرراته لا تتبدل ولا تتحول .فصلة الدين بالضمير صلة هيمنة وتوجيه فإذا ظل الضمير على فطرته النقية التي فطره الله عليها ويتحرك بحركة الدين ولم تدنسه شهوات الدنيا فإنه ينظر بنور الله فيميز بين الحلال والحرام , وبين البر والإثم .ولقد سجل القرآن الكريم أن في كل نفس قوة فطرية توضح طريق التقوى وطريق الفجور فقال :{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }[4].ويقول النبي ﷺ (ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[5].فالمؤمن الصادق إذا التبس عليه أمر رجع إلى قلبه يستفتيه , وضميره يستهديه وعليه أن يتبع أول خاطر يقذفه الله في وجدانه وإن أفتى المفتون فسلطان الموصول بالله فوق كل سلطان فعلامة البر : أن النفوس الخيرة تسكن إليه وتطمئن به , وعلامة الإثم : ضيق الصدور , و خلق الضمير والنبي ﷺ يريد من المؤمنين أن تكون لهم قلوب صافية , وضمائر حية

---

[1] -(صحيح) مشكاة المصابيح (1/ 2) 7 - [6] (متفق عليه) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 14,15، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2741، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12403.

[2] - سورة البقرة152

[3] - سورة العنكبوت45

[4] - سورة الشمس8

[5] -(صحيح) مشكاة المصابيح (2/ 124) 2762 - [4] (متفق عليه)

يحكمونها فيما اختلط عليهم من أمور , وإن شك المؤمن في إباحة شيء أعرض فيه تورعا وخوفا من الله وتعففا من الحرام فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام , ومن نزه نفسه عنها فقد استبرأ لدينه وعرضه.يقول النبي ﷺ :(الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى[1] يوشك أن يرتع[2] فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ")[3] (وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها)[4]إن تحقيق الخير العام والإخلاص في العمل ينبغي أن يكون قبلة المؤمن والمؤمنون الذين يقومون بهذا الواجب هم صفوة الله , وأولياؤه بين خلقه , والمحرومون من عمل الخير هم أشقياء الدنيا والآخرة .والمؤمنون مطالبون بأن يسارعوا في تحقيق الخير ويستبقوا إليه قبل أن يخطفهم الموت فلا عمل بعده ولكن محاسبته وجزاء والله تعالى يقول : { فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ }[5] ويقول {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[1] فما أحوجنا إلى سلطان الضمير إنه حارس أمين على سلوك الناس ولو تمسك أفراد الأمة به لكانت خير أمة تسعى على أقدامها فوق هذه الأرض, ولو ماتت الضمائر أو مرضت النفوس لكان أفرادها تسيطر عليهم الفتنة العارمة والفوضى المخربة ويزحف عليها الموت من كل مكان .إن قيمة العمل في

---

[1] - أي المحمي وهو المحظور على غير مالكه(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 1033)
[2] - يرتع: رتعت الماشية، أكلت وشربت ما شاءت في خصب وسعة. توسع به، فأطلق على المتدرج من المشتبه إلى المحرم. (تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام (2/ 196)
[3] -(صحيح) مشكاة المصابيح (2/ 124) 2762 - [4] (متفق عليه)
[4] -(صحيح) مشكاة المصابيح (1/ 410) 1821 - [1] (متفق عليه)
[5] - سورة البقرة148
[1] - سورة آل عمران133

الإسلام ترجع إلى مقدار ما في هذا العمل من يقظة الضمير والإخلاص لوجه الله وتجرد للحق فالصدقة لا يتقبلها الله إلا إذا تجردت له وخلصت من شوائب التي تبطلها والنفاق والرياء قال تعالى :{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً }[1] والجهاد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأنى ذلك في سبيل الله؟ قال :(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[2]لا يقبله الله إلا إذا كان انتصارا للحق على الباطل وإخلاصا لله تعالى إن صوت الضمير الموصول بالله يهتف بنا إنكار الذات في سبيل الواجب وهذا من أهم ما يحرص الإسلام عليه ويحث المسلمين على التمسك به لقد أنكر عمر نفسه وهو أمير المؤمنين وحمل قربة الماء للمرأة العجوز وهى لا تعرفه ولا يعرفها وأمر لها بخادم ونفقة .جيء بتاج كسرى إلى عمر ، فاستعظم الناس قيمته ، للجواهر التي كانت عليه ، فقال : إن قوماً أدوا هذا لأمناء فقال علي رضي الله عنه : إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .[3] وقال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك فى النفقة من مال الله تعالى فقال له عمر أتدرى ما مثلى ومثل هؤلاء كمثل قوم كانوا فى سفر فجمعوا منهم مالا وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من اموالهم وحمل مرة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مال عظيم من الخمس فقال إن قوما أدوا الأمانة فى هذا لأمناء فقال له بعض الحاضرين إنك اديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت [1] لرتعوا [2] . ألا ما أشد حاجتنا إلى الإخلاص فإن أعدل القوانين وأصلحها إذا لم تقم على تطبيقها ضمائر حية فستصبح عديمة الفائدة قليلة

---

[1] - سورة الإنسان9

[2] -(صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2/ 56)رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

[3] - شرح نهج البلاغة ج 12 ص 10.

[1] - (رتعت)الماشية رتعا ورتوعا ورتاعا رعت كيف شاءت في خصب وسعة ويقال خرجنا نلعب ونرتع نلهو وننعم وفي لحمه اغتابه فهو راتع (ج) رتاع ورتع(المعجم الوسيط (1/ 327)

[2] - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج 28 ص 268.

الجدوى .ورب عمل قليل يتحول في ظل الإخلاص إلى نهضة كبرى وحضارة
(أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه فلما ولى قال النبي ﷺ : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)[1]الإسلام بمنهجه الكامل في التربية يدعم الفطرة الإنسانية والضمير الحي حتى يتألق شعاعه في جوانب النفس فيمنحها هداها ويأخذ بناصيتها إلى الخير والإصلاح النفسي وهو الدعامة الكبرى للحياة الآمنة الوادعة فإذا أشرقت النفوس بنور ربها ازدهرت الحياة وغمرت السعادة حاضر الناس ومستقبلهم وإلا أظلمت الآفاق ونضب الخير وتبدلت نعم الله وفى ذلك يقول القرآن الكريم { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [2] ويقول {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ}[3] اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين .

[1] -(صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (1/ 183) رواه البخاري ومسلم
[2] - سورة الرعد11
[3] - سورة الأنفال53



11- لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق) فعن أبى سعيد الخدري رضى

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:« لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق إذا علمه ». قال أبو سعيد : فما زال بنا البلاء حتى قصرنا وإنا لنبلغ في السر.)[1] قال أبو سعيد : فذلك الذي حملني على أن رحلت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم أقبلت[2] .يبين النبي ﷺ في هذا الحديث قدر الإنسان ومكانته أمام كلمة حق يقولها لله تبارك وتعالى واعتبر أن من يحبس الكلمة ولا ينطق بها إذا كانت موجهه إلى الرشد تأخذ بناصية العباد إلى سواء السبيل يكون ممتهن النفس محتقر الشأن لأنه لا يخشى الله وإنه يفتضح على ملأ الناس يوم الحشر لأن المؤمن لا يخاف إلا الله والله تعالى يعاتب النبي حين أخفى نبأ رغبته بزواجه من زينب بنت جحش والخطاب له خطاب لأمته بقوله{ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ }[3].وقال ﷺ: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[4]وعن أبي ذر قال : (أمرني خليلي ﷺ بسبع : منها ....وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم)[5](وعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم . وفي رواية : وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)[1]ولقد جعل الله خيرته هذه الأمة المسلمة على غيرها من الأمم بأن

---

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 11459، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 10:ص89)، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم 2270، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 7572، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ج1:ص196.

[2] - الأحكام الشرعية الكبرى ج 3 ص 215.

[3] - سورة الأحزاب37

[4] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 10759، وأخرجه الحميدي في مسنده حديث رقم 769، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 1101، وأخرجه أبو حنيفة في مسنده رواية الحصكفي حديث رقم 25، وأخرجه الشهاب في مسنده حديث رقم 1286، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 8081، وأخرجه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ج 1:ص194)، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم 133.

[5] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 20997، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 449، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة (ج1:ص303)،4041،4040، وأورده الهيثمي في بغية الباحث حديث رقم 466، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 2151، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 7739,8185

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1842، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 7123، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم 1189، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج16:ص350.(

تكون قدوة صالحة وأسوة كريمة وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله قال تعالى : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ }[1]. فالأمر بالمعروف هو الأمر بما فرضه الشرع أو سنه أو استحبه واستحسنه الذوق وأطمأن له القلب وارتاحت له النفس , إنه الأمر بوحدانية الله والإيمان به وتوجيه العبودية له , والتمسك بمحاسن الأخلاق وفضائل الصفات إنه الأمر بإخلاص القول والعمل لله تعالى يقول : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ}[2] ويقول الله تعالى{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا }[3] ويقول الله تعالى{ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }[4].إنه الأمر بتحكيم حكم الله لأنه المنقذ للإنسانية والمحافظ على حقوق العباد كافة والله تعالى يقول :{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[5].إنه الأمر بالإقتداء بالنبي محمد ﷺ امتثالا لقوله تعالى : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }[6].وأن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا, وحق العباد على الله إن فعلوا ذلك ألا يعذبهم الله {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ }[1] إن الأمر بالمعروف أمر بما جاء به الإسلام من عقائد سليمة وعبادات صحيحة , وأخلاق كريمة ومعاملات صادقة {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[2] وأما النهى عن المنكر فهو عما ينكره الشارع الحكيم محروما كان أو مكروه ا , وما

---

[1] - سورة آل عمران110
[2] - سورة الأخلاص1-4–
[3] - سورة الأعراف180–
[4] - سورة الأنعام102
[5] - سورة يوسف40
[6] - سورة الأحزاب21
[1] - سورة النساء116
[2] - سورة آل عمران85

تستقبحه النفس المؤمنة وتستنكره إنه النهى عن الشرك بالله واتخاذ الأرباب من دونه والله تعالى يقول :{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }[1] ويقول الله تعالى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[2] ويقول الله تعالى{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }[3] ويقول الله تعالى{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }[4] ويقول الله تعالى{مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[5] والإيمان بالله ناشيء عن عقيدة سليمة وفطرة نقية تقر بأن كل مخلق لابد له من خالق وكل صنعة لابد لها من صانع وكل أثر لابد له من مؤثر{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[6] فإذا لم تتحقق لهذه الأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله فإنها لا تستحق أن تكون رائدة على غيرها ولا ذلك المديح , فالحكم معلل بذلك الوصف , فإذا انعدمت الأوصاف سقط الحكم ويقر القرآن الكريم بأن من الواجب أن تكون في أمة الإسلام جماعة تتولى قيادة التوجيه للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لينالوا الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة قال تعالى :{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

[1] - سورة غافر66
[2] - سورة يس60
[3] - سورة الجاثية 23
[4] - سورة يوسف39
[5] - سورة يوسف40
[6] - سورة يونس5

}[1].ورحمة الله الشاملة تنزل بالمؤمنين والمؤمنات الذين يتولى بعضهم بعضا وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال تعالى :{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[2].ونصر الأمة على غيرها وتمكينها في الأرض إنما بأداء بللعبادات والطاعات والقيام على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال تعالى : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)[3].ولقد كان النبي ﷺ يبايع صحابته على أن يجهروا بكلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)[4] والنبي ﷺ ويقول :(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[5] (وعن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)[6] .إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب بل فريضة على أفراد المجتمع المسلم فقد قال الإمام محمد عبده : إن فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشبه فريضة الحج التي هي فرض عين ولكن على المستطيع , وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أكد من فريضة الحج لأنه لم يشتط فيها الاستطاعة لأنها مستطاع هدائما , والله تعالى

---

[1] - سورة آل عمران104
[2] - سورة التوبة71
[3] - سورة الحج 40- 41
[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 57,58,524,1401,2157,2714,2715,7204، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 57,58.
[5] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 52، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4013.
[6] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 56، وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى حديث رقم 591، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم 657

يوجب الجهر بالحق بقول : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }[1] ويقول {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ }[2] ويقول {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }[3] وقال { فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }[4] (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[5].وإن إهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له ضرره البالغ حيث يستشر ي المنكر بين الناس وتفشى الرزيلة في كل مكان , و يستمر المقصرون في القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن معهم من رحمة الله كما فعل بالأمم السابقة قال تعالى :{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }[6].(وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[1] (وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " . فقال رجل : يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف

---

[1] - سورة الأعراف199
[2] - سورة الكهف29
[3] - سورة الحجر94
[4] - سورة التوبة122
[5] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 52، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 4366.
[6] - سورة المائدة78- 79
[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2169، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 22789، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص91)، وأخرجه إسماعيل بن جعفر في حديث إسماعيل بن جعفر حديث رقم 378، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 7555.

أنصره ظالما ؟ قال : " تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه)[1] ويقول النبي ﷺ (وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا[2] على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)[3] .اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

---

[1] (صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2255، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 5166، وأخرجه محمد بن عبد الله الأنصاري في جزء محمد بن عبد الله الأنصاري حديث رقم 17، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في عوالي الحارث حديث رقم 9، وأخرجه ابن تيمية في الأربعون التيمية ابن تيمية (ج1:ص22)، وأخرجه ابن جماعة في الأحاديث التساعية (ج1:ص3)، وأخرجه ضياء الدين المقدسي في من عوالي الضياء المقدسي تخريجه من الموافقات في مشايخ أحمد حديث رقم 52.

[2] - أي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة(تحفة الأحوذي (6/ 329)

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2493، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 17912.

12–حق المسلم على المسلم ست

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (حق المسلم على المسلم ست) فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :(حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه)[1] لقد بين الرسول ﷺ حقوق المسلم على المسلم وجعل أداء هذا الحق في مقدور كل مسلم أن يؤديه وهو بإلزام هذا الحق على المسلم نحو أخيه يريد من المسلمين جميعا أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا , وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فأول هذه الحقوق إذا لقيته فسلم عليه فالسلام تحية المسلم لأخيه المسلم عند لقاءه وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المدنية الصحيحة والسلام على الخير هو سلام لمن بدأ به والله تعالى يقول: (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)[1], والسلام سبيل إلى الإيمان والنبي ﷺ يقول :

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2164، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8628..

[1] - سورة النور61

(والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[1] , وأقرب الناس إلى الله من بدأهم بالسلام . والنبي ﷺ يقول :(إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام)[2] , والسلام يديم الود وينقى الحب بين المسلم والمسلم والنبي ﷺ يقول : (إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه[3] بينكم)[4]ويقول (أفشوا السلام بينكم تحابوا)[5] ويقول(ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)[6], والسلام تحية آدم وذريته والنبي ﷺ يقول : (لما خلق الله آدم ﷺ ، قال : اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله)[7] , وإفشاء السلام على الناس طريق إلى الجنة والنبي ﷺ يقول : (يا أيها الناس ! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[8] وصيغة السلام التي يؤجر عليها المسلم أجرا كاملا كما نص عليها حديث رسول الله (إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1] ويقول(لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى ولكن قل : السلام عليك)[2]وإلقاء السلام سنة مؤكدة ورده

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 56، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3692.

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5197، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 8787، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج10:ص146.

[3] -(فأفشوه) أي أظهروه وأعلنوه(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 144).

[4] -(صحيح) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 1770، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 26138، وأخرجه معمر بن راشد في الجامع حديث رقم 20117، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 75، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 3008، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 10391 .

[5] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص163)، وأخرجه ابن وهب في الجامع حديث رقم 218.

[6] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 56، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2688، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5193، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 68,3692،

[7] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3326,6227، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2844.

[8] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3251، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 1460,2632، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 23271، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج3:ص9)،(ج4:ص154)،.

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2721.

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5209، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 15525، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9614،

فرض لقول الله تعالى : {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } [1], وأما آداب السلام فيسلم القادم على من يقدم عليه , والراكب على الماشي , والماشي على القاعد , والقليل على الكثير , والصغير على الكبير لقول رسول ﷺ (ليسلم الفارس على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير)[2] ويقول(يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والماشيان أيهما يبدأ بالسلام فهو أفضل)[3], وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : (لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام)[4],وقال في دخول المنازل(اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : السلام عليكم أأدخل ؟)[5]والسلام يعظم القلوب ويقول رسول ﷺ (السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه)[6] ويسن السلام على أهل البيت فيقول رسول ﷺ(إذا ولج[7] الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله)[1]ويسلم المرء على أهل بيته في القدوم والانصراف ليدخل البركة على البيت ومن فيه .

والحق الثاني : -

---

[1] - سورة النساء 86

[2] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 497.

[3] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج9:ص201)، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم2696، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج5:ص291)، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة لابن السني حديث رقم 221.

[4] -(صحيح) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 1809، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 7109، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 1095، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 8816، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (ج1:ص420).

[5] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2690,2710، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5177، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (ج6:ص253)،10071، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج8:ص339)، وأخرجه ابن ابي شيبة في مسنده حديث رقم 936،

[6] -(صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 429، وأخرجه أبو الحسن الطيوري في الطيوريات (ج3:ص1243).

[7] - ولج دخل والوالج الداخل(تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم (ص: 8)

[1] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5096، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 1674، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير للبيهقي حديث رقم 405.

إذا دعاك فأجبه أي دعاك إلى طعام أو لقاء عنده يجتمع عنده الأحباب لتوثيق العلاقة فإن الواجب على المدعو أن يجيب دعوته فاجبر خاطر أخيك الذي أدلى إليك وأكرمك بالدعوة ، وأجبه لذلك إلا أن يكون لك عذر . إلا أن ترى أمراً منكراً، ودعوة المسلم ليست بالسهلة، وبعض الناس لا يجيب إلا طائفة من الناس لكبر نفسه فلا يجيب إلا طائفة الأغنياء والمترفين والسادة، أما المساكين والفقراء والمحرومون فيجد خجلاً أن يذهب إلى بيوتهم، سبحان الله! أأنت أكرم أم رسول الهدى ﷺ ؟! والنبي ﷺ يقول : (ولو دعيت إلى كراع[1] لأجبت)[2] وظاهره عموم حقية الإجابة في كل دعوة يدعوه لها والإجابة إلى الدعوة سنة مؤكدة ، لما فيه من جبر قلب الداعي ، وجلب المودة والألفة ولعل قوله ﷺ : (إذا دعاك فأجبه) يشمل حتى الدعوة لمساعدته ومعاونته فإنك مأمور بإجابته فإذا دعاك لتعينه في حمل شيء أو إلقائه أو نحو ذلك فإنك مأمور بمساعدته لقول النبي ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[3] وهذه من أهم وسائل تقوية الروابط الأخوية بين المسلمين ولهذا أوجب النبي ﷺ إجابة دعوة الداعي فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا دُعي أحدكم إلى وليمة عُرس فليجب)[1] .وقال أيضاً (شرُ الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله)[2] .وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول شر الطعام طعام

---

[1] - بضم الكاف والتخفيف أي يد شاة لتأكلوا منها وزعم بعضهم أن المراد كراع الغميم محل بين الحرمين ردّه الجمهور (التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 191)

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 9201,9883,10273، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم2320، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج6:ص168)،(ج6:ص169)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 4342، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم 202، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 22297، وأخرجه محمد بن إبراهيم بن المنذر في الإقناع لابن المنذر حديث رقم 138، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (ج2:ص51)، وأخرجه هناد في الزهد حديث رقم 804، وأخرجه الحسين بن حرب المروزي في البر والصلة للمروزي حديث رقم 218، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم 98.

[3] -(صحيح) مشكاة المصابيح (3/ 74) 4955 - [9] (متفق عليه) صحيح وضعيف سنن النسائي (6/ 204)تحقيق الألباني :(حديث : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ") صحيح ، (و حديث : " الخازن الأمين ..... " (حديث : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ") الترمذي (2010) // مختصر مسلم (1773) ، تخريج مشكلة الفقر (104) // ، (حديث : " الخازن الأمين ..... ") ، صحيح أبي داود (1478) // صحيح الجامع (3336) - نحوه - //

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1429، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1914.

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1433، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 4207.

الوليمة يدعى إليها الأغنياء وتترك المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله)[1]. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (فيه دليل وجوب الإجابة لان العصيان لا يطلق إلا على من ترك الواجب). ولكن لا يجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية إلا أن يقصد إنكارها ومحاولة إزالتها وإلا وجب الرجوع عنها فالإجابة مستحبة، وأوجبها أهل العلم بالنسبة لوليمة العرس (إذا دعي أحدكم فليجب فإن كان صائما فليصل وإن كان مفطرا فيطعم)[2] يعني فليدعو، فإجابة وليمة العرس واجبة عند جمع من أهل العلم، كل هذا إذا لم يكن ثم منكر، أما إذا كان في الدعوة منكر لا تمكن إزالته، ولا يستطاع إنكاره، فلا تجوز إجابة الدعوة حينئذٍ. ويستثني من ذلك وليمة العرس ، فإن أجاب فإن الإجابة إلى الدعوة إليها واجبة بشروط معروفة لقول النبي ﷺ:(ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله)[3] وخصها العلماء بإجابة دعوة الوليمة وإجابة الوليمة نص النبي ﷺ على لزومها وأنها من حق المسلم على المسلم، فهذا كله يدل على ثبوت الحق بالتعيين،.ونحوها والأولى أن يقال إنها في دعوة الوليمة واجبة وفيما عداها مندوبة لثبوت الوعيد على من لم يجب في الأولى دون الثانية[4]

والحق الثالث : -

وإذا استنصحك فانصحه أي طلب منك أن تنصحه وترشده فالواجب أن ترشده إلى الحق وأن تبصره إلى طريق الرشاد فإن النصح أمانه والنبي ﷺ يقول : (المستشار مؤتمن)[1] , وعلى المسلم إذا طلب منه النصح والإرشاد أن يستجيب لطلبه أن يبدى له المشورة في جرأة لا يتهيب من إبدائها وهذا ما بايع عليه

---

[1] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 5304، وأخرجه الحميدي في مسنده حديث رقم 1205، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 6250، وأخرجه الربيع في مسنده حديث رقم 363، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج 10:ص176)، وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (ج3:ص70.(

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1433، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 780.

[3] -(صحيح) صحيح ابن ماجة (1/ 323) 1553 - (صحيح)

[4] - سبل السلام (4/ 149)

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2369,2822,2823، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5128، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3745,3746، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2449، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21854،

الصحابة رسول الله ﷺ فعن جرير رضي الله عنه قال (بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم) . قال : قال وكان إذا باع الشيء أو اشتراه قال أما إن الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر)[1] , ويقول رسول الله ﷺ (إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[2].والغش في النصيحة خيانة في الإيمان وخيانة للأمانة يقول النبي ﷺ : (ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه)[3].

والحق الرابع : –

إذا عطس فحمد الله فشمته العطس نعمة من الله يدافع بها الجسم عن نفسه للتخلص مما يعيق تنفسه"العطسة موته صغرى ولكن كيف؟ لأن القلب يتوقف عن النبض خلال ه والعطسه سرعتها 100 كيلومتر في الساعة.وإذا عطست بشده من الممكن أن تكسر ضلع من أضلاعك .وإذا حاولت إيقاف عطس ه مفاجئة من الخروج ، فإنه يؤدي إلى ارتداد الدم.في الرقبة أو الرأس ومن ثم إلى الوفاة.وإذا تركت عيناك مفتوحتين أثناء .العطاس ، من المحتمل أن تخرج من محجريها وللعلم أثناء العطسة تتوقف .جميع أجهزة الجسم التنفسي والهضمي والبولي وبما فيها القلب رغم أن وقت .العطسة (ثانيه أو الجزء من الثانية)

---

[1] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4945، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 2414، وأخرجه إسماعيل بن عبد الله سمويه في فوائد سمويه حديث رقم 107، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج16:ص349.(

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4944، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 4199، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 16493,16498، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4575، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 7772,7774,8696,8701، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج:8ص162)،.

[3] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3657، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 1:ص103)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص115)، وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى حديث رقم 181، وأخرجه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (ج2:ص456)، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 410، وأخرجه ابن عبد البر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر حديث رقم 1625.

وبعدها تعمل إن أراد الله لها أن تعمل وكأنه لم يحصل شيء . لذلك كان حمد الله تعالى هو شكر لله على هذه النعم . لذا كان جديرا بالعاطس أن يحمد الله وأن يدعو له من حضره بالرحمة .فإذا عطس المسلم فعليه أن يمسك منديلا ويضعها على فمه لئلا يتطاير الرذاذ على من يواجهه فيؤذيه به كما يحسن به أن يحول وجهه عن الناس وعن الطعام إن كان جلسا عليه لحديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ : (إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها صوته)[1].ويقول(إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته)[2].إن تحميد الله بعد انتهائه من العطس وعلى الحاضر التوجه إليه بالدعاء (يرحمك الله) ويجيبهم هو (يهديكم الله ويصلح بالكم) , والنبي ﷺ يقول : (إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال وليقل له من حوله : يرحمك الله وليقل هو لمن حوله : يهديكم الله ويصلح بالكم)[3]ويقول(إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله رب العالمين وليقل له : يرحمك الله وليقل هو : يغفر الله لنا ولكم)[4]وإذا تكرر العطس بسبب مرض الزكام فلا يطلب تكرار تشميت العاطس فقد روي عن سلمة بن الأكوع أنه سمع النبي ﷺ وعطس رجل عنده فقال له : " يرحمك الله " ثم عطس أخرى فقال : " الرجل مزكوم ")[1] ويقول (إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد ثلاث)[2]وإذا عرف الحاضر له ذلك يقول له شفاك الله .وإذا لم يحمد العاطس الله تعالى فلا تشميت له , ويفضل أن يذكره الحاضر بحمد الله ثم

---

[1] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5029، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج17:ص335.(
[2] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص260)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 9353، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج17:ص335.(
[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6224، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2739,2741.
[4] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم,2740، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5031، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص262)،(ج4:ص263)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9963,9978،
[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2995، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5037.
[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3714، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة لابن السني حديث رقم 252.

يشمته بعد ذلك فقد روى مسلم عن أبى موسى الأشعري عن النبي قال : (إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه)[1]

الحق الخامس: –

إذا مرض فعده فالمريض أحوج الناس إلى الرحمة والمواساة وتقوية الروح المعنوية فيه لذا كانت عيادة المريض سنة أمرنا بها النبي ﷺ فعن البراء بن عازب قال (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض، وأتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام وإجابة الداعي وإبرار المقسم[2]، ونصر المظلوم)[3] ويقول(خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح يوم الجمعة وأعتق رقبة)[4] ويقول(من عاد مريضا لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس فإذا جلس؛ غمر فيها)[5]ويقول(خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله : من عاد مريضا أو خرج غازيا أو دخل على إمامه يريد تعزيره[6] وتوقيره أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس)[7] ويقول(من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا)[1]ويقول(من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة[2] حتى يرجع)[3].وتشجيعا لزيارة المرضى فقد أعد الله الأجر والمثوبة لمن يقوم بهذا الواجب الإنساني فعن أبى هريرة قال : قال رسول

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2995، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 4:ص261)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 3125،.

[2] - (وإبرار المقسم) أي الحالف يعني جعله بارا صادقا في قسمه أو جعل يمينه صادقة(تحفة الأحوذي (8/ 76).

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5175,5635,6222، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2068.

[4] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2771، وأخرجه ابن حبان في الثقات (ج3:ص233.(

[5] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2569,2571، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13848,21883,21915، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2956.

[6] - (يريد تعزيره) تعظيمه(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 1057).

[7] -(صحيح) أورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 1486، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1648، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 55، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم 1021، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال لابن زنجويه حديث رقم.

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2008، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1443.

[2] - خرفة الجنة) بضم الخاء المعجمة وتفتح والراء ساكنة ما يخترف أي يجتنى من الثمر أي لم يزل كأنه في بستان يجتنى منه الثمر شبه ما يحوزه العائد من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمر(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (2/ 832)

[3] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2569,2571، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21883,21915.

الله ﷺ : (من عاد مريضا نادى مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا)[1] وروى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فقال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)[2] وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من مسلم يعود مسلما غدوة[3] إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف[4] في الجنة)[5].والخريف هو الثمر المقتطف, ورسول الله ﷺ قال (عائد المريض في مخرفة الجنة فإذا جلس عنده غمرته الرحمة)[6]ويقول(عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع)[1] ويستحب تكرار الزيارة للمريض كل يومين أو ثلاثة لمؤانسته وإدخال السرور عليه والدعاء للمريض بالشفاء وألا يطيل العائد على المريض الزيارة إلا إذا طلب المريض ذلك وأن يطلب من المريض الدعاء له .

الحق السادس: –

---

[1] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1443.

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2572، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 9182، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 517، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم 170.

[3] -(غدوة) بضم الغين ما بين صلاة الغداوة وطلوع الشمس(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (5/ 498، بترقيم الشاملة آليا)

[4] - أي بستان وهو في الأصل الثمر المجتنى أو مخروف من ثمر الجنة فعيل بمعنى المفعول (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (5/ 273)

[5] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 969، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 958، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 777، وأورده الهيثمي في بغية الباحث حديث رقم 245، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 7464،.

[6] -(صحيح) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 1036، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 774

[1] -(صحيح) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 2688.

إذا مات فاتبعه يستحب لمن كان في زيارة مريض يحتضر أن يذكره بشهادة ألا إله إلا الله فإذا حضره الموت، فعلى من عنده أمور:

أ – أن يلقنوه الشهادة، لقوله ﷺ: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه)[1].وكان يقول :(من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)[2]، وفي حديث آخر : (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)[3] وأن يدعوا له، ولا يقولوا في حضوره إلا خيرا، لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)[4] وقد روي (أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار، فقال: يا خال! قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ فقال: بل خال، فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي ﷺ: نعم)[5].ولا بأس في أن يحضر المسلم وفاة الكافر ليعرض الإسلام عليه، رجاء أن يسلم، لحديث أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده[1]، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، (فلما مات، قال : صلوا على صاحبكم)[2] , ويحسن إغماض عيني المتوفى حين وفاته والدعاء له بالخير أن يغمضوا عينيه، ويدعوا له أيضا لحديث أم سلمة قالت: (دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره،

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 918,919، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 976.
[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 28، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 500 .
[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1238,6443,7487، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 94,993.
[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 922,923، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 977.
[5] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12153,13414، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 3512، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 8186، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم426، وأخرجه تمام بن محمد الرازي في فوائد تمام الرازي حديث رقم 641.
[1] - (يعوده) أي لعيادته في مرضه(تحفة الأحوذي (5/ 351)
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1356.

فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس[1] من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه[2] في الغابرين[3]، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه)[4], ويسجى[5] بغطاء جميع بدنه(لحديث عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي ببرد حبرة [6])[7].إلا أن كان محرما فلا يغط ى رأسه ولا وجهه لحديث ابن عباس : (إن رجلا كان مع النبي ﷺ فوقصته[8] ناقته وهو محرم فمات فقال رسول الله ﷺ : " اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا)[9], ولا يبكى على الميت بصوت عال ولا يناح عليه ولا يندب[10] ولا يفعل بفعل الجاهلية من شق الجيوب ولطم الخدود فقد روى أن النبي بكى على سعد بن عبادة فبكى الناس فقال النبي : (ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم وإن الميت لعيذب ببكاء أهله)[1] وفى المأثور عنه في موت ولده إبراهيم حين دمعت عيناه فقيل له وأنت يا رسول الله فقال : (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)[2]ويقول النبي ﷺ :(ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب"أي مزق

---

[1] - لما رأوه يغمض بصره عرفوا أنه قد مات فضجوا(شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (113/ 20، بترقيم الشاملة آليا)
[2] - في عقبه قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو زوج أو شئ يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك(الديباج على مسلم (3/ 10)
[3] -الغابرين " أي: الباقي(شرح أبي داود للعيني (6/ 37)
[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 923، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3119.
[5] - يسجي تسجية يقال سجيت الميت تسجية إذا مددت عليه ثوبا ومعنى مسجى هنا مغطى (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (12/ 141، بترقيم الشاملة آليا)
[6] - (ببرد حبرة) بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة بعدها راء مهملة فتاء تأنيث وزن عتبة ، وهي برد قطن يماني موشي مخطط ، والبرد يجوز إضافته إليها ووصفه بها. وفيه استحباب تسجية الميت قبل الغسل. قال النووي : وهو مجمع عليه ، وحكمته صيانة الميت عن الانكشاف وستر صورته المتغيرة عن الأعين(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (5/ 629، بترقيم الشاملة آليا)
[7] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5814.
[8] - فوقصته ، **أي كسرت عنقه** : فدقت عنقه ، وقيل للرجل إذا كان مائل العنق : أوقص ، وأصل الوقص :الدق الكسر. (شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (5/ 322)
[9] (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1265,1851، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1206.
[10] - (ندب)فلانا إلى الأمر ندبا دعاه والميت عدد محاسنه(المعجم الوسيط (2/ 910)
[1] -(صحيح)أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1304، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 926.
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1303.

الثياب من الأمام " ودعا بدعوى الجاهلية)[1].إن من السنة مرافقة الجنازة حتى توارى التراب فقد قال النبيﷺ: (من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط)[2]ويفضل السير أمام الجنازة بصمت وتفكر يتناسب و خشيه الموت فعن ابن عمر رأيت النبي وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة , وعن المغيث قال قال رسول الله ﷺ : (الراكب يسير خلف الجنازة والماشي يمشي خلفها وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبا منها)[3]لكن الأفضل المشي لأنه المعهود عنه ﷺ ولم يرد أنه ركب معها بل قال ثوبان رضي الله عنه :(إن رسول الله ﷺ أتي بدابة وهو مع الجنازة فأبى أن يركبها فلما أنصرف أتي بدابة فركب فقيل له ؟ فقال :(إن الملائكة كانت تمشي فلم أكن لأركب وهم يمشون فلما ذهبوا ركبت)[4]ومن السنة الإسراع في الجنازة لتدفن تخفيفا عن أهله ورحمة بهم والنبي ﷺ يقول:(أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)[1]ويستحب الثناء على الميت بذكر مما سند ليكون قدوة للعبد , وتحسن الموعظة عند القبر أثناء الدفن والدعاء للميت بعد ردم التراب فقد روى أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : (استغفروا الله لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل)[2] وعن علي رضي الله

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1294، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 4348.

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 47.

[3] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3180، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 17715، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص363)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج4:ص7)،(ج4:ص24)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (ج3:ص153)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 11358، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج12:ص97).

[4] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3177، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص355)، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 917، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج4:ص22).

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1315، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 945.

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3221، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 1:ص370)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج4:ص55)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 2184،

عنه قال : (أن النبي ﷺ كان في جنازة فأخذ عودا فجعل ينكت[1] به في الأرض فقال:(ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة) فقال رجل: ألا نتكل؟ فقال:(اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ثم قرأ: { فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: 5 . 10].)[2] اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين.

13–يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)فعن أبى ذر الغفاري رضي الله عنه

[1] - ينكت بقضيب أي يضرب الأرض بطرفه وهو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المفكر المهموم(تحفة الأحوذي (6/ 284)

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 4949، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2136، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 334، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 11615، وأخرجه ابن بطة في الإبانة حديث رقم 729، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم 1062، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد(ج1:ص108)، وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر للبيهقي (ج 1:ص128)،(ج1:ص129)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 903.

عن رسول الله ﷺ فيما ورد عن الله (قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1] هذا حديث قدسي جليل يسوقه الله تعالى إلينا وه ي توجيهات من سبحانه إلى عباده ليكونوا على خلق كريم وعبادة خالصة لله تعالى فالله أحكم الحاكمين وهو الرحمن الرحيم , وهو المجازي على الإحسان إحسانا وعلى السوء سوءا والإله العظيم الذي خلقنا هو واحد فرد صمد لم يولد ولم يكن له كفوا أحد , إنه أقرب للإنسان من حبل الوريد : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }[1].ولم يترك لأحد من عمل خير إلا ضاعف له الجزاء وما عمل من سوء إلا جازاه على سيئته بمثلها والله تعالى يقول : {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ }[2], ويقول : {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2580، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص237) .
[1] - سورة ق16
[2] - سورة فصلت46

عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } [1].فقد بين الحديث أن الله حرم الظلم على نفسه وجعله محرما بيننا فلا نتعامل بهذا الخلق الذميم فهناك من يظلم نفسه بانحرافه عن الحق وبعده عن الله وإصغائه لكل طاغوت من الطواغيت المضلة التي تبعد المرء عن خالقهوالإنسان هو الذي اختار لنفسه طريقه فالله سبحانه أودع فينا عقلا يميز به الخبيث من الطيب وأرسل لنا رسلا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبين لنا الطريقين طريق الخير وطريق الشر فقال سبحانه {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } [2] وقد خلقنا على فطرة نقيه توقن بالتوحيد وتنبذ الشرك والله تعالى يقول : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[3], والنبي ﷺ يقول:(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[4] هل تحسون فيها من جدعاء[1] ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) الآية ")[2] , فإذا ما انحرف عن فطرته وبعد عن تعاليم ربه فإنما هو قد أودى بنفسه في الظلم والهلاك والله تعالى يقول : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[3], والذي يكذب بالحق ولا يخضع لخالقه ولا يأتمر بأمره ولا ينتهي عما نهاه فقد أ وقع نفسه في الظلم والله تعالى يقول : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

---

[1] - سورة الأنعام160
[2] - سورة البلد10
[3] - سورة الروم30
[4] - أي سليمة من العيوب والتأثيرات وصفت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها لها لا جدع بها ولا لي (تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم (ص: 137)

[1] - جدعاء بالمد وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الاعضاء ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الاعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها(شرح النووي على مسلم (16/ 209)
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1358,1359,4775,6599، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم2658,2659.
[3] - سورة يونس44

لِّلْكَافِرِينَ }[1].والذي يقف أمام بيوت الله أن تعمر بذكر الله ويرفع فيها اسمه , ويسعى إلى تقويض بنائها وخراب عمرانها ويقلبون الأوضاع حيث إن من يحب الله ويرتاد المساجد توجه له الاتهامات الباطلة , والتقارير الكاذبة والتضييق على من يعبد ربه في مسجده إنما قد ارتكب ظلما شنيعا وأصيب في حياته قبل موته بخزي من الله شديد والله تعالى يقول :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[2].والذي يقف من أهل الكتاب أمام دعوتنا صادا لها يقرض طريقها ويشك في صحتها فهو ظالم والله تعالى يقول : {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[3] ويقول { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[4]ويقول {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ }[5] وهناك ظلم الإنسان لأخيه الإنسان فإن الله لا يتنازل عن حق المظلوم من الظالم ولا يعفو عنه حتى يسامح الذي له الحق على من عليه الحق وقد بين الله تعالى أن الظالمين ليس لهم شفيع ولا نصير ولا قريب تكون له الكلمة المسموعة عند الله كما هو الحال في الدنيا فقال سبحانه :{ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }[1] وقال{ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ }[2], وقد حذرنا النبي ﷺ من الظلم فقال(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح[3] فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[4]وطلب منا أن نؤدي الحقوق إلى أهلها في

---

[1] - سورة الزمر32
[2] - سورة البقرة114
[3] - سورة العنكبوت46
[4] - سورة لقمان13
[5] - سورة النساء148
[1] - سورة غافر18
[2] - سورة الحج71
[3] - (واتقوا الشح) الذي هو بخل مع حرص(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 58).
[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2447، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2581,2582.

الدنيا فإن الله يقتص للشاه التي لا قرن لها حين تعتدي عليها شاه ذات قرون فيقول النبي ﷺ :(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء [1] من الشاة القرناء تنطحها)[2] إن الله تعالى يرد لأصحاب الحقوق حقوقهم ممن ظلموهم إياهم وفى الحديث المتفق عليه يقول النبي ﷺ :(من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)[3] ويقول (إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }هود102)[4]ويقول :(من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله[5] منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[6], ويقول:(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)[7]ويقول:(إن رجالا يتخوضون [1] في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)[2]وإن دعوة المظلوم مستجابة يقبلها الله منه فيقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن :(واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[3]

ثم نجد في الحديث قوله(كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم):

إن الضلال هو الزيغ والخروج على تعاليم الله والكبر والجبروت والتعالي على الناس بغير حق ونقض عهد الله , وقطع ما أمر الله به أن يوصل ووصل ما

---

[1] - أي الشاة التي ليس لها قرون يقاد لها من التي لها قرون(الحديث الموضوعي - جامعة المدينة (ص: 303)

[2] - (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7163.

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2453، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1615.

[4] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4018، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم 470، وأخرجه الدارقطني في أربعون حديثًا من مسند بريد عن أبي بردة حديث رقم 37، وأخرجه الحربي في غريب الحديث (ج1:ص335.(

[5] - " فليتحلله " أي : ليسأله أن يجعله في حل من قبله ،يقال : تحللته واستحللته : إذا سألته أن يجعلك في حل(شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (14/ 359)

[6] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6534، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج16:ص361)،.

[7] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6862.

[1] - بمعجمتين من الخوض المشي في الماء ثم استعمل في التصرف في الشيء أي يتصرفون(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 645)

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3118.

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2448، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 21.

أمر الله أن يقطع , والفساد في الأرض , والكفر , واقتراف الآثام هذه هي الأسباب التي أضلت الناس وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى , واستحبوا الظلام على النور فكان من نعمة الله بنا أن أرسل لنا الرسل لترشدنا إلى منهاج الله وتعرفنا عليه وأن من أخذ بأسباب الهداية والرشاد أوصله الله إلى ما يريد بعد أن يستخدم عقله وفكره ويؤمن بما يقدم عليه وأن على المرء أن يلتجيء إلى ساحة الله يتضرع إليه ويستهديه ويندم على ما فرط في جنبه فالضلال ناشىء عن اتجاه الناس إليه كما أن الهداية لا تتحقق إلا بمسبباتها فالهداية ثمار عمل صالح والله تعالى يقول : {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [1], ويقول{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [2], ويقول {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ } [3] , فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم , وتوفيقهم للعمل الصالح إنما ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى الله واستمساك بإرشاده ووحيه , ويقول القرآن الكريم في الإضلال {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ *الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [1]ومن هنا نجد أن منشأ الضلال من النفوس التي كذبت آيات الله وانحرفت عن سواء السبيل كما أن الهداية هي استخدام الوسائل التي أودعها الله في الإنسان يفكر بعقله وقلبه ويطلب الرشد والحق , ويتضرع إلى ربه في أن يوفقه إلى ما فيه خيره وصلاحه

---

[1] - سورة الرعد27- 28
[2] - سورة العنكبوت69
[3] - سورة محمد17
[1] - سورة البقرة26-27

والله تعالى يقول :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[1] ويقول في المتكبرين عليه :{ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }[2] .

وفى الحديث : (كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم)[3], إن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين لقد تكفل برزق المخلوقات كلها فقال {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[4] – وقال{كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً }[5].والطعام والكسوة من لوازم الإنسان الضرورية وقد أوجد الله فينا عقلا نفكر به ونستخرج ما في بطون هذه الأرض من كنوز ونستثير ذرات هذه الأرض ونستنبتها ونهيىء الأسباب التي تبقى لنا قوة الحياة البدني هـوأن نحافظ عليها من عوامل البرد والحر وذلك بالثياب التي تحفظ علينا أجسادنا وتصون لنا سوءاتنا والله تعالى يمتن على آدم عليه السلام حين أسكنه جنته بما هو ضروري له فقال : {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى *وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى }[1].وقد أرشدنا إلى استخدام وسائل الطعام وذلك بالزراعة حين قال :{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ *وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[2].ومن التجارة { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ }[3].ومن الصناعة {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ

---

[1] - سورة غافر60
[2] - سورة غافر60
[3] -(صحيح) مشكاة المصابيح (2/ 24)رواه مسلم
[4] - سورة هود6
[5] - سورة الإسراء20
[1] - سورة طه118-119
[2] - سورة الأنعام141 -142
[3] - سورة المزمل20

لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ } [1] .وفى الكساء {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [2].فالله سبحانه هو الذي هدانا إلى تصفح وجوه الرزق لنكسب حلالا طيبا نأكل من ورائه ونلبس ولا يكون إلا من فضل الله علينا والله تعالى يقول:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [3] .فقد ولدنا من بطون أمهاتنا عرايا لا نملك لأنفسنا شيئا من طعام ولا كسوة فمنح الله الطفل هداية وجدانية تخلق معه في أن يجد غذاءه وطعامه وشرابه في أن يمتص ثدي أمه , وتقوم على كسوته حين نزل منها عاريا فالله سبحانه المتفضل علينا بنعمه التي لا تحصى ولا تعد .

وفي الحديث يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم:

إن الله عز وجل لم يخلقنا ملائكة مطهرين ولا بهائم راتعين[1] وإنما خلقنا من روح وجسد جسد يتفاعل مع طبيعة هذه الأرض ويتطلع إلى زخارف هذه الحياة , وروح تسمو إلى ذرأ[2] ملكوت الله تعالى والإنسان يتعرض لأن تنزلق منه القدم ويضل من الطريق المرسوم وينحرف عن الصراط المستقيم وذلك إما بسبب الجهالة , أو بتأثير البيئة , أو تحت ضغط شهوة جامحة , أو استجابة لإغراء عابث فإذا ما و قع في الإثم وارتكس [3] في الخطيئة فإن عليه أن يعالج نفسه , ويداوى جروحه , ويغسل نفسه بما يكون قد ران عليها ويستأنف السير من جديد

[1] - سورة الأنبياء80
[2] - سورة الأعراف26
[3] - سورة البقرة186
[1] -الماشية رتعا ورتوعا ورتاعا رعت كيف شاءت في خصب وسعة ويقال خرجنا نلعب ونرتع نلهو وننعم وفي لحمه اغتابه فهو راتع(المعجم الوسيط (1/ 327)
[2] - خلقه ، وأيضا كثره(إكمال الإعلام بتثليث الكلام (1/ 227)
[3] - وارتكس : انتكس وارتد(تاج العروس من جواهر القاموس (16/ 132)

, والنبي ﷺ يقول :(كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1].ورحمات الله الشاملة لا تقتصر على وقت ولا ليلة دون ليلة وإنما مغفرته ورحمته في كل ساعة من ليل أو نهار والنبي ﷺ يقول : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[2]. إن الله سبحانه وتعالى يعلم طبيعة الضعف الإنساني فينا , فلم يكلفنا العصمة لأن التكليف بها تكليف بما لا يطاق – قال تعالى : {لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا }[3] .وإنما كلفنا بأن نفر إليه كلما فررنا منه , وأن نتطهر من الدنس كلما تورطنا في الإثم وآدم عليه السلام أبو البشر هو القدوة والمثل قال تعالى : {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى *ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى }[4] , ثم قال في سورة البقرة {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[1] وهذه الكلمات التي تلقاها منه {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[2].إن نداء الله لمن عصاه بأن يسرعوا إليه بالتوبة والاستغفار فهو القائل : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[3].وقال : {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً }[4].ونجد طمأنينة النفس وراحة القلب وحسن الجزاء في قول الله تعالى : {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ

---

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2499، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4251، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2727، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12637، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص240)، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 7236، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 2922.

[2] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج8:ص136)،(ج10:ص187)، وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في نقض الإمام أبي سعيد على المريسي العنيد (ج1:ص250)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم 127، وأخرجه ابن بطة في الإبانة حديث رقم 1288، وأخرجه محمد بن إسحاق بن منده في التوحيد لابن منده حديث رقم 467، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 7075، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم 1167.

[3] - سورة البقرة233

[4] - سورة طه121-122

[1] - سورة البقرة37

[2] - سورة الأعراف23

[3] - سورة الزمر53

[4] - سورة النساء110

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [1].وفى الحديث عن أنس قال سمعت النبي ﷺ يقول : قال الله تعالى : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[2].والتوبة تقبل قبل خروج الروح من الجسد وقبل تنكيس المخلوقات وقيام الساعة والنبي ﷺ يقول:(إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[3] أي يحتضر ,ويقول:(إن للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها)[4]ويقول(من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)[1]ويقول (ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)[2]

<u>وفى الحديث قوله (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)</u> : المخلوقات جميعا أثر من آثار قدرته السماء ومن فيها عبد لله , والأرض ومن فيها عبد لله : {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً *وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً}[3] , والحق سبحانه وتعالى هو مصدر الحياة لهذه الخلائق وبيده الموت والفناء لهم : { تَبَارَكَ الَّذِي

---

[1] - سورة آل عمران135

[2] -(صحيح) أخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 5880، وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا حديث رقم 32، وأخرجه القشيري في الرسالة القشيرية (ج1:ص75.(صحيح الترغيب والترهيب (2/ 124) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب

[3] - (صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3537، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6125,15073، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 628،

[4] -(صحيح) أخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 195، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 7352,7383، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم 1937، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم 706، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 6237

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2704، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8885,9225.

[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2479، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2513، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 16463، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج9:ص16)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 7371، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم 1064، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 907، وأخرجه ابن سمعون الواعظ في الأمالي حديث رقم 232، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم 2634، وأورده أبو زرعة في طرح التثريب (ج1:ص171.

[3] - سورة مريم 93-95

بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[1], ويقول{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ }[2] إنه محيط بكل شيء علما لا يعزب[3] عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فهو القائل :{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[4], فالله تعالى هو القابض على خلقه وهو الرزاق لهم وهو الذي خلقهم وأوجد فيهم الحياة فهم عاجزون كل العجز بالقيام على أنفسهم لذلك نطلب المعونة من الله في صلواتنا فنقول :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }[5], ومهما قمنا بأداء العبادة له فإنها لا تنفعه لأنه غنى عن العالمين ونحن الفقراء إليه :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ }[1]. والله تعالى يتحدى البشر بأدنى حشرة ليعجزون أمامها في استنقاذ ما تسلبه منهم وأن الطواغيت على اختلاف ألوانها تعجز كل العجز أن تخلق ذبابة رغم وصول الإنسان إلى أسطح القمر واكتشافه لآفاق هذه الأرض من عجائب ومعرفة بعض أسرار الفضاء{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }[2].فإن كان الإنسان عاجزا في قضاء حاجة فمن باب أولى أنه أشد عجزا من أن يصل إلى الله بسوء , ولا أن ينتفع الله بطاعاتنا وعباداتنا : {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً }[3] فطاعتنا تعود

---

[1] - سورة الملك1-2
[2] - سورة الأنعام61
[3] - أي لا يبعُد(النهاية في غريب الأثر (2/ 907، بترقيم الشاملة آليا)
[4] - سورة الأنعام60
[5] - سورة الفاتحة5
[1] - سورة فاطر15-16
[2] - سورة الحج73
[3] - سورة النساء147

فائدتها علينا لأنها ترقق القلوب وتهذب النفوس وتجمع شمل الأمة وتوثق رابطتها , وتصلها بخالقها { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[1] .

وفي الحديث : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد في ملكي شيئا) فطاعتنا له جميعا من أول الخلق حتى تطوى هذه الأرض لا ينتفع بها لأنه الغني عن العالمين بل نحن الفقراء إليه ولم يزد ذلك من ملكه شيئا , وكذلك عصياننا له وعدم الخضوع لأمره , والتنكر له , وعدم الإقرار بوجوده ووحدانيته فإن ذلك يعود عليه بالضرر بل ذلك يعود علينا وحدنا ولا ينقص من ملكه شيئا فهو يقول : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا) بل عطاياه لا تحصى , لا تنتهي , فهو الغني بنفسه ونحن محتاجون إليه فلو أعطى الأولين والآخرين ما نقص من ملكه شيء قطرة من ماء .

فهو القائل : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم سألوني فأعطيت كل واحد منك مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا إغمس في البحر) ويختم الحديث بإقرار العلم الشامل , والتسجيل الكامل لكل أقوالنا وأفعالنا وقلم التسجيل دقيق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها والكتاب كتابان كتاب في عليين وكتاب في سجين { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي

---

[1] - سورة إبراهيم34

سُلْطَانِيهْ}[1].إن القرآن الكريم يسجل لنا كتابنا الذي أحصى فيه نتاج أعمالنا وأقوالنا والله تعالى يبين في مشهد اللقاء معه فيقول في سورة الكهف :{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً }[2].ويبين قلم التسجيل الإلهي والإحصاء الكامل الذي لا يفلت أدنى شيء ما سجله على قوم سادرين [3] بعد أن كانوا يخشون ربهم حين منحهم حديقة بها متعدد الثمار , والمذاق وكانوا يخرجون منها كل عام جزاء للفقراء والمحتاجين فكان الله يبارك لهم ثمارهم , وينمي لهم زرعهم ولكنهم في عام من الأعوام بيتوا أمرهم بليل بألا يعطوا أحدا منها شيئا وألا يدخل عليهم مسكين ولا سائل وظنوا وهم يتحدثون أنهم في خلوة خالية لا يحضرهم فيها غيرهم ولكن الله الذي يسمع السر وما يخفى علم قصدهم وعرف أمرهم فأرسل على جنتهم صاعقة دمرتها وهم نائمون فلم تبق فيها ولم تذر وأصبحوا وهم يتحدثون :{فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}[1].وتلك عاقبة الذين يظنون أن الله غافل عما يفعلون , غائب عما يبيتون ويقول{كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [2] فالله تعالى لا تعذب منه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء :{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } [3].وإن البشر صنعوا مسجلا للصوت والصورة والذين لا يؤمنون إلا بالحس الغليظ يؤمنون

---

[1] - سورة الحاقة19-29
[2] - سورة الكهف49
[3] - سادر وسدر وهي سدرة ويقال هو سادر في الغي تائه وتكلم سادرا غير متثبت في كلامه(المعجم الوسيط (1/ 423).
[1] - سورة القلم 23-27
[2] - سورة القلم33
[3] - سورة يونس61

بتسجيل الأصوات والصور وبقائها في طيات الأثير زمنا طويلا والله تعالى يعلن قبل اكتشافهم ذلك بقوله سبحانه : {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً } [1] والله تعالى يقول : {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[2]. ويقول {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [3]. ويختم الحديث القدسي ببيان الإحصاء الإلهي لأفعالنا وأقوالنا (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) . اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين .

14–السيول والزلازل والأعاصير وغضبة البحار

الحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه يتربى لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك أشهد ألا اله إلا أنت القوى العزيز الصادق في كتابك الحكيم {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [1] .{ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

[1] - سورة الإسراء14- 13
[2] - سورة فصلت53
[3] - سورة الجاثية28 -29
[1] - سورة الأنعام18

شَيْءٍ قَدِيرٌ } [1] وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وصفيك وخليلك بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد صلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهدية واتبع طريقته وسار على نهجه إلى يوم الدين .. أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (السيول والزلازل والأعاصير وغضبة البحار)

العبرة من الكوارث والأحداث التي تنزل بالناس :

1 – فإن لله حكمة في حلول الكوارث بالناس وإنزال الأحداث بهم فهي إما أن تكون ابتلاء ليعلم صبر المبتلين وليظهر أثر الرضا بقدر الله في سلوكهم وفى رضاهم وسخطهم أو ليكون ذلك انتقاما ممن يجحدون نعم الله وفضله وينكرون وجود الله ويشركون معه غيره .لقد شاهدنا على شاشات التلفزيون السيول الغزيرة , والأمطار الغامرة , وفيضان الأنهار الذي طم[2] وفار على شقيقتنا السودان وعلى غيرها من البلاد الأخرى فهدم المنازل وشرد أهلها وقتل من قتل وأغرق من أغرق وأصبح الناس بلا مأوى يقيهم أوار [1] الحر وشدة البرد لقد أتت على المحاصيل فانتهى الطعام ونفقت المواشي حيث أغرقت وهى من مصادر ثرواتهم وقضت على النخيل والأشجار ونرى بعض البلاد الأخرى تجتاحها الأعاصير الشديدة فتقتلع الأشجار وتهدم المنازل كما نرى غضبه مياه البحار وفوران الأنهار فتغرق المدن وتخرب العمار , ونرى بعض البلاد تصاب بالرجفة والزلازل الذي يدفن البيوت في باطن الأرض فلا يكون لها أثر , أو تتأرجح من الهزة فتنفرط حبات بنائها فتتهاوى الشرفات , وتتساقط العمارات , ويتفتت البنيان ليصبح أثرا بعد عين

[1] - سورة آل عمران26
[2] -طم الماء طما وطموما : غمر و الا ناء(القاموس المحيط (ص: 1463)
[1] - أي ذو سمو وحرّ شديد. (تهذيب اللغة (5/ 164، بترقيم الشاملة آليا)

ونود أن نقف أمام هذه الأحداث السالفة الذكر لنتأمل عظمة الخالق وقدرته , وأن الإنسان الذي وصل اليوم إلى مالم يصل إليه غيره من قبل من تقنية واكتشافات واختراعات , وشتى العلوم والمعارف التي وصل بها إلى سطح القمر والكواكب , وجال بسفن فضائه إلى طبقات الجو العليا وظن أنه وصل إلى مقدرات الأمور , وملأ نفسه عجبا وخيلاء بما انتهى إليه أمره فتنكب [1] طريق الحق , وأنكر فضل الله عليه واتخذ إلهه هواه والله تعالى يقول : {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }[2] فهل استطاع الإنسان بما وصل إليه أن يدفع عن نفسه هذه الكوارث والأحداث التي تنزل به فتأتى عليه من القواعد ؟وطبع الجواب لا بل ولن لأن الإنسان عاجز أمام قدرة الله وقضائه وأمره بل يعجز من أن يسترد شيئا سابته منه بعوضة مما يدل على العجز البشرى أمام قدرة الله والله تعالى يضرب لنا الأمثلة : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }[1].إن هناك قوة فوق كل قوة , وقهرا فوق كل قهر , وجبروتا استعلى على كل جبروت , وسلطانا مهيمنا على كل سلطان , لا ينازعه في سلطانه أحد ولا يشاركه في حكمه حاكم وصدق الله إذ يقول : {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [2] . وقد أرانا الله هذه الكوارث النازلة بالناس عبرة ليتذكر المادي الذي أنكر الخالق وفقد الروح , وهيمن عليه ألحاد والكفر , والجبروت والطغيان .إن كان لديه ذرة من عقل أو مدرجة إلى التفكير والتأمل من مصدر هذه الكوارث ؟ .

---

[1] - تتكب إذا تحرفت عن الطريق وهو صحيح(الكنز اللغوي (ص: 155)

[2] - سورة الجاثية23

[1] - سورة الحج73

[2] - سورة الملك 1 – 2

من أتقن صنعها وأحكم أمرها وقام على شؤنها ؟ .وأن الإنسان صفر أمام ملكوت الله وخلقه العظيم :{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[1] .إن الإنسان لا يذكر ربه , ولا يلتجيء إلى ساحته , ولا يضرع إليه إلا إذا نزلت به الخطوب, واشتدت به الأزمات وغامت عليه الآفاق , وضاقت به الدنيا فأصبحت لديه كحلقة خاتم , ومادت به سفينته حياته إلى الهلاك والبوار , وانقطع لديه كل أمل من أحبائه وأصفيائه أن يمدوا له يد العون لإنقاذه مما وقع فيه عندئذ يتذكر ربه , وس يقطر رحمته ويستمد منه العون والمدد وصدق الله العظيم إذ يقول :{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}[2].ويقول : {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[1].ويقول : {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ }[2]

2 – إننا نعود إلى الوراء بأذهاننا لنستمع إلى القرآن الكريم وهو يقص علينا قصص الماضين , وعبر السابقين من الأمم التي تمادت في طغيانها , واستعلت على رسلها , وتنكرت لرسالات ربها وأشركت مع الله غيره , فأصمت آذانها عن سماع الحق , وأغمضت أعينها عن النظر لآيات الله , وأغلقت قلوبها لأمر الله تعالى فأنزل الله عليهم ينزرهم مما هم فيه , وأوقع بهم عقابه

[1] - سورة غافر57
[2] - سورة الأعراف 94 – 95
[1] - سورة يونس22
[2] - سورة الإسراء67

لعدم الإمتثال لإمره {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1].

ا – فنوح عليه السلام حمل رسالة التوحيد إلى قومه ونهاهم عن عبادة الأصنام والإشراك بالله {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ* يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[2],وإذا بقومه يتعصبون لأصنامهم التي يعبدونها ويدافعون عنها:{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرا }[3] واتهموا نوحا بالجنون وزجروه وآذوه بغلظ القول فأنزل الله بهم عقابه بالطوفان والإغراق:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[1] وقال في نوح : {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً }[2].

ب – وهود عليه السلام حين أرسل إلى قوم عاد يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما كنوا عليه من الإشراك بالله والكفر به ولكنهم أبوا وقالوا : {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[3].وقد منح الله قوم عاد أجساما طوالا عاتية كالنخيل في علوها وارتفاعها ,وقوة في أبدانهم ,وعافيه في أجسامهم ولم يكن لهم نظير في الخلق والهيئة مما كان ذلك داعيا إلى اعتزازهم بقوة شكيمتهم وشدة بأسهم منكرين

---

[1] - سورة يونس44
[2] - سورة نوح 1-4
[3] - سورة نوح 23
[1] - سورة القمر9-16
[2] - سورة نوح25
[3] - سورة الأعراف70

رسالته الخالق , ويعوقونها عن الأداء . والحق سبحانه وتعالى يقف بجوار رسوله هود يؤيد دعوته , ويرسل بأسه على هؤلاء العتاه بريح باردة قاسية شديدة الإعصار تحمل الرجل إلى أعلى السماء وتهوى به إلى الأرض على رأسه لتفصل رأسه عن جسده , وتبين عن بدنه والله تعالى يقول فيهم في سورة القمر : {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[1].وقال في الحاقة :{أُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ* فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}[2]

ج – وصالح عليه السلام أرسل إلى ثمود ليدعوهم إلى توحيد الله , وتوجيه العبادة له دون غيره وقد منحهم الله عافية البدن , وقوة في أيديهم حيث {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ } [3] أي وكانوا ينحتون الجبال, فيتخذون منها بيوتًا, وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب. ويتمنون إقامتها لكنهم هزءوا من صالح عليه السلام وقالوا : {أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ } والله يرد عليهم بقوله : {سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ}[1].ولقد ابتلاهم الله بالناقة التي طلبوها منه بأن تخرج من بين أطباق الهضبة التي كانت أمامهم يشاهدونها , وحدد لهم يوم للشرب , والناقة يوم كذلك , ولكنهم عقروها واعتدوا عليها وكان ذلك نذيرا بأن يرسل الله إليهم جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة قوية شديدة فصاروا كالأوراق اليابسة الجافة التي تتراكم في حظيرة المواشي : {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}[2].

---

[1] - سورة القمر19- 21
[2] - سورة الحاقة6-8
[3] - سورة الحجر82
[1] - سورة القمر 24-26
[2] - سورة القمر 31

د – ولوط عليه السلام أرسل إلى قومه لينهاهم عن إثمهم وما يقترفونه من الفاحشة باللواط حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين وكذبوا نذير الحق رسولهم وأصروا على ما يرتكبونه من سوء الفعل وقبيح الإثم وقد امتحنهم الله عز وجل ليكون ذلك نذيرا بإنزال العقوبة بهم فأرسل إلى لوط عليه السلام ضيفانا من الملائكة على هيئة صبية فأرادوا مراودة هؤلاء الضيفان فطمس الله على أعينهم وبعث إليهم ريحا محملة بالحصباء الملتهبة نارا فأتت عليهم جميعا وأنقذ الله المؤمنين حيث أمرهم بهجر مكان العذاب قبل وقوعه :

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ . نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ . وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ . وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ . فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ}[1]

س – وشعيب عليه السلام يبعث إلى أصحاب الأيكة أهل مدين حيث كانوا يبخسون الكيل والميزان عند بيعهم للناس ويطففون عند شرائهم فحذرهم شعيب عليه السلام من فعلتهم فسخروا به وقد أنذرهم بعذاب الله الشديد فلم يلقوا له بالا تكبرا واستعلاء وسخرية واستهزاء وقالوا له :{مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} [1]. ولما استمروا على تكذيب شعيب وعنادهم له , وعبادتهم للمادة من دون الله حيث يمتصون دماء الناس ويقلبون موازين الحقائق بالإثراء الفاحش على حساب المشترين أرسل الله لهم ألوانا من العذاب :

ا – فتارة جعل لهم سبعة أيام بها حرارة الطقس وشدة أواره فلم يطيقوا لهيبه , ثم أرسل عليهم سحابة يستظلون بها وظنوها رحمة تخفف عنهم ما ألم بهم من

---

[1] - سورة القمر 34- 39
[1] - سورة الشعراء 186- 188

ضرام ولهيب فإذا هي تقصفهم بأوار من نار أنت عليهم جميعا ودمرتهم فلم تبق ولم تذر : { كَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ}[1]

ب – وجاء عذابهم بالصيحة صاح بهم جبريل فصرعوا جميعا وماتوا وتركوا ديارهم خاوية تنعي علي من بناها ففي سورة هود :{لَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [2].وجاء في سورة الأعراف أن الله رجف بهم الأرض فزلزلت زلزالها فجثموا على ركبهم ميتين وتركوا ديارهم خاوية فقال سبحانه : {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ}[3] .

ونلاحظ في أصحاب الأيكة أن العذاب نزل بهم ألوانا فتارة بالحر الشديد وبالسحابة التي أمطرتهم نارا , وتارة بالصيحة ال شديدة التي صعقتهم , وتارة بالزلزلة والرجفة الشديدة التي أتت عليهم .

هـ – وموسى عليه السلام أرسل إلى فرعون حين استعلى على الناس وطغى وفجر وادعى الألوهية لنفسه وعاث في الأرض فسادا حين كان يقتل الأطفال من بنى إسرائيل ويستحى نساءهم إمعانا في الذل لهم وقد قاوم موسى عليه السلام في دعوته : {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [1].وقد أمر الله موسى عليه السلام بأن يهجر مكان

---

[1] - سورة الشعراء 189 – 190
[2] - سورة هود 94 – 95
[3] - سورة الأعراف 91 – 92
[1] - سورة الأعراف 127- 128

الاضطهاد والتعذيب , ويذهب إلى ساحل البحر الأحمر فضربه بعصاه : { فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ }[1].ولم يعتبر فرعون بما رأى على يد موسى أمامه فأعمى الله بصيرته فتبع فرعون موسى فأغرقه الله ومن معه حيث قال {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ }[2].وقد أخذ الله فرعون أخذ عزيز مقتدر

ز – ونجد صنم المال قارون الذي كانت مفاتيح كنوزه تنوء [3] بها العصبة أولو القوة فمنع حق الله في هذا المال واكنزه لنفسه وداعيا أنه أو تي المال بعبقرية وعلمه قائلا :{إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[4].واستولى عليه الكبر والأشر والبطر ظانا أنه سيخلد على ماله ويبقى ويدوم له ونترك القرآن يصور حالة ويبين نهاية : { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ}[1]

ح – وأن محمدا ﷺ يبعث إلى العالم أجمع وتقف أمام قريش معتزة بقوتها , مفتخرة ببأسها وسطوتها آملة في انتصار ضلالاتها وإطفاء نور الحق ولكن أتى لهم ذلك فالله من وراء نبيه محيط يؤيده بالحق , ويبدو الباطل , ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون , وقد سرد لهم عبر الماضيين من الأمم المكذبة برسلها , وما أنزل عليهم من عقوبات صارمة , وأنهم لن يكونوا أحس حالا من غيرهم ولا أخف بهم بطشا عن سواهم , وأن هزيمتهم على يد محمد ﷺ واقعة ومحققة , وعذابهم في الآخرة أشد وأنكى وقد أرى الله نبيه تحقيق وعده له

---

[1] - سورة الشعراء63-65

[2] - سورة الشعراء66

[3] - (نوأ) ناءَ بِحِمْلِه يَنُوءُ نَوْءاً وتَنْوَاءً نَهَضَ بجَهْد ومَشَقَّةٍ وقيل أُثْقِلَ فسقَطَ فهو من الأضداد وكذلك نُؤْتُ به ويقال ناءَ بالحِمْل إذا نَهَضَ به مُثْقَلاً(لسان العرب (1/ 174)

[4] - سورة القصص78

[1] - سورة القصص 79 – 81

بالنصر والغلبة على أعدائه بنصره عليهم في بدر وحنين ومكة والطائف فقال سبحانه : {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}[1] .وقد أجمل الله في آيات أخرى صور العذاب الذي أنزله على هؤلاء المعاندين للحق والمكذبين لتعاليم الله سبحانه فقال في سورة العنكبوت : {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[2]وقال في سورة الفجر : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[1].إن الكبرياء لله وحده لا ينازعه في هذه ألفة أحد ومن أراد أن يتكبر ويستعلى تمردا على الله قصمه الله بعذابه وصدق الله إذ يقول : {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[2] وفى الحديث القدسي الذي رواه أبى هريرة : {الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحدة منهما قذفته في النار}[3]

3 – والنوازل والأحداث التي تنزل بالناس : إما أن تكون عقابا لهم على ما اقترفوه من أثام ومصاحبا لذنوبهم ومعاص بهم وجزاء لعنادهم ولكفرهم وجرمهم والله تعالى يقول :{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ

---

[1] - سورة القمر 43 – 46
[2] - سورة العنكبوت40
[1] - سورة الفجر 6 – 14
[2] - سورة الجاثية 36 – 37
[3] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4090، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4174,4175، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8677,9095,9224,9410.

اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]

وقد روى عن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (يا معشر المهاجرين ! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[2]ويقول(إنما يبعث الناس على نياتهم) [1]وأما أن تكون امتحانا لهم إن كانوا مؤمنين ليظهر علم الله فيهم بالصبر على المكارة والتجلد على المحن والشدائد , وليكونوا خير قدوة لمن يأتي بعدهم ومن رضي ببلاء الله فله الرضي , ومن سخط فله السخط والله يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ويقول سبحانه في تقرير هذا القانون من البلاء : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [2].وفى قوله تعالى : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [3].وفى الحديث أن

---

[1] - سورة الأنفال 52 – 53

[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4019، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 4:ص528)، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6175، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1675، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4671، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 3314,10550.

[1] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4229، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 6247.

[2] - سورة البقرة 155- 157

[3] - سورة العنكبوت 2-3

النبي ﷺ قال : (من يرد الله به خيرا يصب منه) [1] وفيما روي أن النبي ﷺ قال :(إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع)[2]

4 – وإن الأمطار نعمه من نعم الله يسوقها الله لإحياء الأرض بالإنبات وإخراج الزروع والثمار , وإحياء كل ذي كبد رطبه من الإنسان والحيوان والله تعالى يقول :{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ* فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}[3]. ويقول : {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [4].وقد يكون المطر نقمة وعقابا للمذنبين وقد ذكر الله لنا قصة سبأ أي نبي سبأ حيث كانت لهم بساتين ذات اليمين وذات الشمال تؤتيهم رزقا حسنا فأعرضوا عن شكر الله فأرسل عليهم سيلا شديدا شرسا وبدلهم بهاتين الجنتين جنتين أخريين لهما ثمر بشع , وشجر لا ثمر لها , وذلك جزاء كفرهم وأن الله لا يعاقب إلا الكفور قال تعالى : {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ *فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}[1]

5 – وإذا كان لدينا تقوى الله عز وجل فإن علينا إذا وقع البلاء أن نرفع أكف الطاعة لله في ذل وخشوع إليه في أن يرفع هذا الغضب ويكف هذا البلاء

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5645.

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 23121,23128، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 3228، وأخرجه إسماعيل بن جعفر في حديث إسماعيل بن جعفر حديث رقم 383، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 9784، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم 1036.

[3] - سورة المؤمنون 18- 19

[4] - سورة عبس 24- 32

[1] - سورة سبأ 15- 17

فهو القائل :{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[1].وهو القائل {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }[2].وعن أنس قال أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة[3] فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود وفي رواية قال : " اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر " . قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.)[1]

6 – إن إخواننا المسلمين الذين يصابون بالمحن , ويبتلون بالبلاء في أي بلد كانوا هم إخواننا نفرح لفرحهم ونأسى لآلامهم , ونتألم لخطبهم وعلينا أن نمد لهم يد العون في شدتهم ومحنتهم والله تعالى يقول :{وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ }[2], ويقول { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى }[3].وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون

---

[1] - سورة البقرة186
[2] - سورة النحل128
[3] - أي قطعة من الغيم وجمعها : قزع(النهاية في غريب الأثر (4/ 86، بترقيم الشاملة آليا)
[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 933,1033، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 899.
[2] - سورة التوبة71
[3] - سورة المائدة2

العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده و من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[1] ويقول الشاعر الإسلامي أخوة الدين ونسبه حتى وإن اختلفت الديار والبلدان فيقول : –

ولست أدري سوى الإسلام لي وطناً ..... الشام فيه ووادي النيل سيان

بالشام أهلي وبغـداد الهوى وأنا .... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وأينما ذُكِر اسمُ الله في بلدٍ.....عَدَدتُ أرجاءَه من صُلبِ أوطاني

إن الأنصار ضربوا المثل الرائع في الإثار والتضحية من أجل إخوانهم المهاجرين وسجل لهم القرآن الكريم هذا الخلق الرائع الذي لم يكن له نظير في المجتمعات سوى المجتمع الذي صنعه محمد فقال سبحانه :{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[1]

7 – أيها المسلمون إنكم تنامون على فراشكم الوثير[2] وفى بيوت ضمتكم جدرانها وأظلكم سقوفها فوجدتم وقاية لكم من الحر والبرد , وسترا لكم من الرقباء[3] والأعين , أما غيركم فمن ابتلوا بالسيل والفيضان أو الزلازل والأعصار فهم يقفون على أقدامهم من غزارة السيل والمطر , وتطوى بطونهم من الجوع والجفاف والسيول والأمطار التي أودت بحرثهم ونسلهم وقد حثنا الإسلام على البذل والعطاء وفى الحديث: (يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2702، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2945.

[1] - سورة الحشر9.

[2] - الوثير: الفراش الوطئ، وكذلك الوثر بالكسر. يقال: ما تحته وثر ووثار(الصحاح في اللغة - الجوهري- موافق (2/ 408)

[3] -الأرامل الذي لا يستطيع الكسب ولا كسب له سمي بذلك لأنه (يَرْتَقِبُ) (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 234)

السفلى)[1] وفى الحديث: (الذين يشنؤهم[2] الله : التاجر الحلاف والفقير المختال ; والبخيل المنان)[3](مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت على جلده حتى تخفي بنانه و تعفو أثره و أما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع)[4] وفى الحديث: (المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم و يجير عليهم أقصاهم و هم يد على من سواهم)[5] وفى الحديث:(صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم زيادة في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة (وأول من يدخل الجنة أهل المعروف)[1]إن بعض الدول العربية والإسلامية بها أراض واسعة صالحة للزراعة والحرث فلو بذلت أموال الأمة العربية والإسلامية واستثمرت في الزراعة والأمن الغذائي في تلك البلاد لكان خيرا يعود على الأمة الإسلامية جمعاء ويحطم يد التحكم في أقوات المسلمين وفى الحديث:(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[2]ويقول الله تعالى :{وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ.الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [3]. فهل آن لنا

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1038، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2343.

[2] - أي يبغضهم(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 978)

[3] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص88)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج9:ص158)، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم 470، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 3908، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 5989، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 9549.

[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2917,5299، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1022.

[5] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2751، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2683، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص141)، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم 750,1045، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج8:ص27)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 486، وأخرجه الربيع في مسنده حديث رقم 664، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج6:ص439)، وأخرجه القاسم بن سلام الهروي في غريب الحديث للهروي (ج1:ص262)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال لابن زنجويه حديث رقم 719، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 5312، وأخرجه ابن عبد البر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج1:ص301.(

[1] -(صحيح) أخرجه الشهاب في مسنده حديث رقم 102، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 943,6086، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 8014، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال لابن زنجويه حديث رقم1311، وأخرجه الجصاص في أحكام القرآن حديث رقم 385، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا حديث رقم 9، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في البر والصلة لابن الجوزي حديث رقم 436

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 481,2446,6027، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2586،

[3] - سورة فصلت6-7

أن نعود إلى الله بقلوب مؤمنة لتلين بعد قسوة , ولينجينا الله إذا دعوناه وينصرنا إذا استنصرناه ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس. اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

15- نحو أسرة فاضلة في ظل الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (نحو أسرة فاضلة في ظل الإسلام)

1 – جاء الإسلام ليرسم لنا حياة كريمة تستقر بها أوضاعنا تقوم على السكن والود والرحمة والتعاطف فوجهنا إلى بناء أسرة فاضلة نحيا في ظلها حياة ننعم بها في ظل تعاليمه وتوجيهاته وأسلافنا قاموا بتطبيق هذه التعاليم فأخرجوا لنا القادة والعلماء والنساك والمجاهدين ذوى الأخلاق الكريمة أما نحن اليوم فقد أغرتنا تعاليم الغرب والشرق فأصبحت حياتنا مضطربة لا تركن إلى بر ولا معروف ولا ترتكز على أسس قوية.

2 – إن الإسلام نظر إلى الأسرة كضرورة اجتماعية إذ هي أساس للحياة الصحيحة التي أشار إليها الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[1]

3 – إن الزوجية أو الازدواج لا الفردية هي طبيعة المخلوقات في هذا الكون وكان مبدأ الكون أن خلق الله آدم ثم خلق منه حواء ليبدأ الازدواج مع بدء الكون .ولقد سارت الزوجية على هذا المنوال فشملت عناصر الكون كلها من الإنسان , والحيوان , والنبات ومن غيرها ومما لا يعلمون , وقال : {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [1] .وعندما عصا قوم نوح نبيهم , وحقت عليهم كلمة الله في أن يبتليهم الطوفان , تلقى نوح أمر ربه في أن يأخذ في السفينة من كل زوجين اثنين فقال : { احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ } [2] وقال {فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}[3] ويفهم من هذا أن الزوجية سنة كونية واسعة المدى وتشمل كل نوع من المخلوقات وكل نوع ينقسم إلى قسمين وقد منح الله كل قسم سرا لا يتحقق به الإنتاج إلا إذا التقى بالسر الثاني وإلا تعطلت سنة الله في تعمير الكون .وأهداف الزوج تتمشى مع هذه الفطرة فهي تكمل في

---

[1] - سورة النساء1
[1] - سورة الذاريات49
[2] - سورة هود40
[3] - سورة المؤمنون27

الرجل حاجة إلى المرأة وفى المرأة حاجتها إلى الرجل لتتم سنة الله في الزوجية قال تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً }[1].وإذا صح ما يقول علماء النفس من أن البنت تكون أكثر ميلا إلى أبيها , والابن يكون أكثر ميلا إلى أمه لوجود بذور طبيعية من ميل الذكر إلى الأنثى والأنثى إلى الذكر فإن الزوج يحقق هذا الميل تحقيقا مشروعا برباط أقوى وأعمق توضحه الآية الكريمة : {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}[2]

4 – حب البقاء هدف أسمى يحققه الزواج الذي يكون سببا في إنجاب الذرية التي هي امتداد للزوج أو الأب :{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ }[1]

5 – إن من أهداف الزواج إنجاب الأبناء وتحقيق السرور والغبطة في الأسرة فالأبناء زينة الحياة كما قال تعالى على لسان عباد الرحمن : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }[2].والزواج وإنجاب الذرية سنة الأنبياء : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }[3].وزكريا بعدما تقدم به السن يضرع إلى ربه أن يهبه ذرية طيبة : {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء * فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ }[4] وفى سورة مريم قال : {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً }مريم 4.فيجاب بقول الله

---

[1] - سورة الروم21
[2] - سورة البقرة187
[1] - سورة النحل72
[2] - سورة الفرقان74
[3] - سورة الرعد38
[4] - سورة آل عمران38– 39

تعالى :{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً }[1].وإبراهيم عليه السلام يدعو ربه : { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }[2].ولم يعد بني إسرائيل مجدهم إلا بالأبناء والأموال : {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً }[3].ويبين النبي أن الولد الصالح بقاء لعمل صالح للميت لا ينقطع ففي الحديث إذا مات الميت انقطع عمله إلا من ثلاث : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[4] والزواج تبدأ به الأسرة وبالأسرة يبدأ الرجل بتحمل مسؤليات جسام ويرى الباحثون أن الزواج والأولاد تدريب على تحمل مسؤليات أوسع تجاه الوطن والإنسانية وعلى هذا فالرجل ذو الأسرة أشد حرصا على سلامة وطنه لأنه عميق الجذور فيه وعلى العكس من ذلك الرجل الذي لا أسرة له ولا أولاد ليس عميق الإحساس تجاه وطنه وتجاه الإنسانية .(

حديث المريشال بيان للشعب الفرنسي حين استسلم للألمان : –

فمن الناس من يميل إلى العيش بدون أسرة في حياة إباحية , ومنهم من يرى أن الزواج أساس المادة فقط لكن الإسلام يرى أن الرباط بين الزوجين قائم على الروحانية والحياة العملية ويرى أن العلاقة تقوم على السكن والمودة والرحمة {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [1].إن الزواج شرع لأداء أقدس رسالة وهو إنجاب الذرية والنسل فقال تعالى : {فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ}[2]. ويقول :{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا

---

[1] - سورة مريم7

[2] - سورة الصافات100- 101

[3] - سورة الإسراء6

[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1635، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2880.

[1] - سورة الروم21

[2] - سورة البقرة187

صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[1].أما أن يتزوج ابتغاء اللذة وعدم إنجاب الذرية فهذه طباع البهائم في التهرب من مسؤلية الأبوة والأمومة وهذه مصدرة إلينا من الغرب الإباحي ومن الشرق الملحد لتضعف قوتنا ونكون تحت مطارق أعدائنا .إنه يريد زوجة أن تكون ممشوقة القوام مائلة مميلة متبرجة سافرة تلبس الشفوف من الثياب والضيق منه والمفتوح من الجوانب لتظهر مفاتن جسدها ويسره استبداد العيون بها لتنال إعجاب الناظرين لها فلا غيره ولا حميۃ وتفشى حفلات التعارف والأصدقاء والمراقص يراقصها أمام أصدقائه أو تراقص غيره أمامه وظن أن انحلاله بهذه الصورة دليل على فرنجته وتقدمه والنبي يقول :(صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات[1] مميلات[2] مائلات[3] رءوسهن كأسنمة البخت[4] المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا)[5].ويقول : (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثربكم[6] الأمم يوم القيامة)[7]فلا رهبانية في الإسلام حين ينقطع الفرد للعبادة دون أداء وظيفة الزواج والإنجاب , أو يريد الغني والبؤساء إن أقدم على الزواج : {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[8].وفي

---

[1] - سورة الأعراف189

[1] -كاسيات عاريات يريد اللائي يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها ،فهن كاسيات في الظاهر ، عاريات في الحقيقة. (شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا (10/ 272)

[2] -(مميلات)أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل : مائلات يمشين متبخترات ، مميلات لأكتافهن . وقيل : مائلات يمشطن المشطة المائلة ، وهي مشطة البغايا . مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة(شرح النووي على مسلم - مشكول (7/ 244)

[3] - مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل مائلات يمشطن المشطة المائلة وهى مشطة البغايا (شرح النووي على مسلم (14/ 110)

[4] - أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها. (تطريز رياض الصالحين (ص: 919)

[5] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2131,2858.

[6] - أي أغالب بكم(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 907)

[7] - (صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 1455، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 7:ص78)، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6456، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 1630، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 8413، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم1399، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 5524، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (ج14:ص351.(

[8] - سورة النور32

الحديث: (ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف)[1].

الزواج : دوافعه وأغراضه حكم الإسلام فيه مخالفة المسيحية لدواعي الفطرة

1 – الإسلام جاء ليرشدنا إلى ما تطمئن إليه نفوسنا وتستقر عليه أوضاعنا والتي تقوم على السكن والود والرحمة وأسلافنا فطنوا إلى ذلك فحقق مجتمعهم الإسلامي فكانوا نماذج حية للإسلام الصحيح أما نحن فقد غرتنا تلك الموجة الأجنبية فصرنا نحيا حياة مضطربة فيها الغرائب والأفكار المستوردة ما يحير الألباب .

2 – إن الإسلام نظر إلى الأسرة كضرورة اجتماعية إذ هي أساس للحياة الصحيحة وقد قال الله : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ [1]}

3 – إن الزوجية أو زواج لا الفردية هي طبيعة المخلوقات في هذا الكون .

ا – لقد كان مبدأ الكون أن خلق الله آدم ثم خلق فيه حواء ليبدأ الازدواج مع بدء الكون.

ب – سارت الزوجية على هذا المنوال فشملت عناصر الكون كله من الإنسان والحيوان والنبات وغيرها مما لا نعلمه قال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ } [2] ويقول {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[3]

---

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1655، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 3120,3218، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 1397، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم4313,4995,5307، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 3921، وأخرجه ابن المبارك في مسنده حديث رقم 225، وأخرجه تمام بن محمد الرازي في فوائد تمام الرازي حديث رقم 652.

[1] - سورة الحج1

[2] - سورة يس36

[3] - سورة الذاريات49

ج – وعندما عصا قوم نوحا وحقت عليهم كلمة الله في أن يبتلعهم اليم والطوفان تلقى نوح أمر الله له بأن يأخذ في السفينة من كل زوجين اثنين :

{ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [1] ويقول { فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}[2]

4 – يفهم من هذا أن الزوجية سنة كونية واسعة المدى اتخذت مكانها في أفراد الكائنات وقسمت كأنوا ع قسمين وحلت في أحد القسمين بسر الذي حلت به القسم الآخر ولا تعطي سنة الله ثمرتها إلا إذا التقى السران وبدون هذا اللقاء تطل سنة الله مملة ويظل الحنين الأزلي ينازع كل فرد من أفراد الزوجية إلى اللقاء بالفرد الأخر .

5 – وأهداف الزواج تتمشى مع هذه الفطرة فهي تكمل في الرجل حاجة إلى المرأة , وفي المرأة حاجتها إلى الرجل لتتم سنة الله في الزوجية قال تعالى :

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا }[1].

6 – وإذا صح ما يقول علماء النفس من أن البنت تكون أكثر ميلا إلى أبيها , والابن يكون أكثر ميلا إلى أمه لوجود بذور طبعي هـ من ميل الذكر إلى الأنثى , والأنثى إلى الذكر فإن الزواج يحقق هذا الميل تحقيقا مشروعا برباط أقوى وأعمق توضحه الآية (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)[2].

7 – وحب البقاء هدف أسمى يسعى إليه المرء ولا يتحقق إلا عن طريق الزواج لأن الإنسان فان وليس له بقاء ولا خلود فيسعى إلى تحقيق بقاءه عن طريق الأولاد والحفدة والذين يعتبرون في الحقيقة امتدادا له وتحقيق هذه الغاية يظل

---

[1] - سورة هود40
[2] - سورة المؤمنون27
[1] - سورة الروم21
[2] - سورة البقرة 187

الكون في عمرانه قال تعالى :{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ }[1].

8 – إن من أهداف الزواج إنجاب الأبناء وتحقيق السرور والغبطة [2] في الأسرة وذلك لأن الأبناء هم زينة الحياة :{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [3] وه ي سنة عباد الرحمن{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } [4] وه ي سنة الأنبياء {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً } [5] ودعي زكريا ربه وهو في الكبر بأن يرزقه ولد{ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء } [6] وقال في موطن آخر{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً}[1] وإبراهيم طلب{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ }[2] والأبناء يستعاد بهم مجد الأمة ويعاد لها عزتها المفقودة فقال لبنى إسرائيل {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً } [3] وعد النبي الأبناء الصالحين خير ما يخلف الإنسان من عمل لا ينقطع إذا مات الميت انقطع عمله إلا من ثلاث .

9 – والزواج تبدأ به الأسرة , وبتحقيق الأسرة يبدأ الرجل بتحمل مسئوليات أوسع وأدق وأن من له أسرة يكون أكثر ارتباطا بوطنه بخلاف من ليست له أسرة لا يلقى بالا به ا ويكون مستهترا في الدفاع عنه عندما خسرت فرنسا الحرب وقال مريشالهم بيتان .

---

[1] - سورة النحل72
[2] - الغبطة : حُسن الحال(المحكم والمحيط الأعظم (5/ 455)
[3] - سورة الكهف46
[4] - سورة الفرقان74
[5] - سورة الرعد38
[6] - سورة آل عمران38
[1] - سورة مريم 4-5
[2] - سورة الصافات100
[3] - سورة الإسراء6

10 – فالأسرة تكوين فطرى لا يستغنى عنه النوع الإنساني ومن المفارقات أن بعض الناس لا داعي للأسرة ويريد أن يحيى حياة إباحية منحطة وبعضهم يرى أن الحياة الأسرية يجب أن تقوم على المصالح المادية بين الطرفين لكن الإسلام بين أن الأسرة أساس اجتماعي يقوم على التعاون الروحي والعملي وحبب فيها ورغب في تكوينها وجعل تحقيقها آية من آيات الله تقوم على ثلاثة أسس على السكن والمودة والرحمة{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[1] .

11 – لقد شرع الإسلام الزواج لأداء أقدس رسالة يؤديها الزوجان وهو إنجاب النسل والذرية { فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ }[2] وقوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[1]

12 – أما الذي يتزوج ابتغاء اللذة وعدم أداء رسالة الإنجاب فقد خالف سنة الله وشريعة الإسلام حين يتخلف عن رسالة الأبوة والأمومة هربا من تحمل المسئوليات ولقد ورد لنا الفرنجة هذا التعليم ليقضوا علينا ولنكون تحت مطاردة أعدائنا وأصبح الرجل يريد من زوجته أن يتباهى بها ممشوقة القد تغشى الحفلات ويقدمها إلى أصدقاءه تراقصهم ويراقص غيرها دون حمية ولا غيرة ويدخلون علينا هذا التحلل باسم التقدم والحضارة والنبي يقول حين قابل صحابيا قد تزوج امرأة عقيما لا تلد فلم يجيز ذلك فقال له تزوجوا الودود الولود . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب

---

[1] - سورة الروم21
[2] - سورة البقرة187
[1] - سورة الأعراف189

وجمال ولكنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه ثم أتاه الثانية فقال مثل ذلك فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال مثل ذلك فقال ﷺ:(تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم)[1]

13 – فلا رهبانية في الإسلام ولا يحل لمريء أن ينقطع عن الزواج مع القدرة عليه بدعوة الانقطاع للعبادة والترفع عن الدنيا , بل لا يليق لمسلم أن يزهد في الزواج خشية ضيق الرزق أو ثقل المسئولية , وعليه أن يسعى لعفة نفسه وينتظر فضل الله وعونه لأنه قال{وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[2] ويقول الله لنبيه { لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}[3] ويقول النبي (ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف)[1] ولقد هون الإسلام من أمر الزواج ولم يعسره للناس وقصة الرجل الذي جاء إلى النبي يشكو الفقر مرة وثانية وثالثة ورابعة وف ي كل مرة يأمره النبي بالزواج وجاءت الرابعة فأعلمتهم نسيج الملابس وانفرجت عن الرجل ضائقة العيش لأنه استجاب لأمر رسول الله , ولم ييأس من رحمة الله , وأخذ الأمور ببساطة وكان يطمع في رحمة الله فحقق الله ما يريد . أما من اتجه اتجاها آخر غير هذا فقد أودى بصاحبه إلى الحضيض ولو أخذوا بتعاليم الإسلام لما وجدوا هذا التعب والإرهاق .

12 – ولأجل أن تتكون الأسرة تكوينا صحيحا ويقبل الشباب على الزواج فقد حرم الإسلام:

---

[1] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2050، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12202,13157، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4028,4056، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص162.

[2] - سورة النور32

[3] - سورة طه132

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1655، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 1396، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 4995، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص318)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 3921، وأخرجه ابن المبارك في مسنده حديث رقم 225، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 2239، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 851.

أ – النظر للأجنبيات{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ }[1] وقال في حق الإناث {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ }[2].

ب – وحرم الخلوة بالأجنبية وه ي كل ما تحل له الزواج منها فيحرم الخلوة بإبنة عمه وعمته , وابنة خاله وخالته وكذلك البعداء وبزوجة عمه وخاله , وبزوجة أخيه وبزوجة ابن أخيه أو ابن أخته واعتبر القريب هو الموت وهو ما يسره بالحمو.

ج – حرم الزنى لأنه يشبع غريزة الشباب فلا يقبل على الزواج .

13– جعل الإسلام الزواج في بعض المواقف التي يخشى منها العنت و المشقة واجبا وفرضا (**يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**)[1].ويقول(النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء .)[2] ويقول(الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)[3] ويقول(خير النكاح أيسره)[4]ويقول(أربع من السعادة : المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء)[5]ويقول(إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة)[6]ويقول(ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء فمن السعادة :

---

[1] - سورة النور30

[2] - سورة النور31

[1] -(صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6/ 192)أخرجه البخارى (412/3) ومسلم (128/4) والنسائى (312/1 - 313) والترمذى (201/1) وكذا الدارمى (132/2) وابن الجارود (672) والبيهقى (77/7) وأحمد (424/1 , 425 , 432) وابن أبى شيبة (2/1/7)

[2] -(حسن) صحيح ابن ماجة (1/ 310) 1496 - أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1846

[3] -(صحيح) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم 3232، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6531، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4031،

[4] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2117، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4072، وأخرجه الشهاب في مسنده حديث رقم 1226، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف حديث رقم 10412، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 724، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء حديث رقم.599

[5] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4032، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1411، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (ج 13:ص571)، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي حديث رقم 32.

[6] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1855، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 2441، وأخرجه علي بن عمرو النقاش في فوائد العراقيين للنقاش حديث رقم 40، وأخرجه هناد في الزهد حديث رقم 519.

المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق ومن الشقاء : المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)[1]

14– ينذر الإسلام المتقاعسين عن أداء رسالة الزواج , ولديهم القدرة على القيام بشؤنها إلا أنه يهربون من تكاليف الحياة والمسئولية ويبغون حياة الفحش والفجور ويزري[2] بالذي لا يتزوج ترهبا –هؤلاء الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله ينظرون إلى عبادته فكأنهم تقالوها وذكر أحدهم أنه يعتزل النساء ولا يتزوج :(إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

حق الزوج على الزوجة

1 – قوامة الرجل عليها :– إذ أن سياسة الأسرة في توزيع الحقوق والتبعات على أساس :–

أ – من العدل المتبادل بين الزوجين : إن المقسطين على منابر من نور ,

ب – والمساواة في الجزاء بينهما {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[2].

ج – والشورى المتبادلة بين الزوج والزوجة في صلاح الأسرة والنهوض بها في عرض واقعة عامة ولعل المرأة تنتج رأيا ناضجا يحل مشكله للرجل معقدة وقد أشارت أم سلمة على رسول الله في صلح الحديبية حين أمر المسلمين بعد الصد عن العمرة والإحصار عنها أن يحلقوا أو ينحروا ضررهم وهديهم فلما

---

[1] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص162)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 4171.
[2] - يزري زراية أي عابه من حد ضرب(طلبة الطلبة (2/ 343)
[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5063، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1402.
[2] - سورة النحل97

تباطئوا في ذلك ودخل على أم سلمة وأخبرها الخبر أشارت عليه بأن يخرج إلى المسلمين ولا يكلم أحدا في ذلك وأن يبدأ بنفسه في حلق رأسه وذبح هديه فتسابق المسلمون في ذلك وكانوا يبكون في تباطئهم في تنفيذ الأمر .

وبقى أن نسأل لمن تكون رئاسة البيت لها أم له ؟

إن قول الله { ۚلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}[1] يجعل تلك الرئاسة للرجل لا للمرأة وذلك أمر يقتضيه العقل وطبيعة الأشياء فالرجل أبو الأولاد وإليه ينتسبون فكيف نجعل رياسة الأولاد لها من دونه , وهو المسؤل عن رعايتهم والإنفاق عليهم طعاما وكسوة في المنزل وخارج المنزل بما يحتاجون إليه من نفقة التعليم .

فرياسته لهم أمر لا يحتم ل الجدل ولا المناقشة . وهو المسؤل عن إعداد المسكن والقيام عليه وحمايته فهي رئاسة مسؤليات وتبعات لا التحكم الذي يجور على حقوق العدل , والمساواة , والشورى والرجل يقوم بحماية بيته من الأشرار والمفسدين لذلك قرر أن الرجل هو صاحب الكلمة فيمن يدخل البيت ومن لا يدخل وليس ذلك ظلما لها أو جورا على حق من حقوقها فقد روى أن النبي قال (لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه)[1]والمرأة تتحول من بيت أهلها إلى بيت زوجها بحسب استطاعته و في ظروف ترجع إلى تقديره هو لا تقديرها هي فالرياسة للرجل في الحقيقة إن هي إلا امتياز نشأ للرجل مقابل التبعات الكثيرة والاختصاصات الواسعة المسندة إليه ودرجة الرياسة التي قررها الإسلام للرجل على المرأة داخلة في حكم قوله تعالى :{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ }[2].

وهذا القيام ضربان : أ– حسي , ب– معنوي

---

[1] - سورة البقرة228

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم,5195، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1028،

[2] - سورة النساء34

فالحسي يتمثل في قيام الرجل عليها طعاما وكسوة ومسكنا ورعاية طبية وأن من طبيعتها الحمل والوضع والرضاعة يضعف بنيها فلا تستطيع أن تحم ي نفسها من غارة مغير أو اعتداء معتد ي فكان طبيعيا أن يقوم الرجل بحكم بنيته وتكوينه بهذه المهمة ومن هنا ألقى الإسلام فريضة الجهاد على الرجل دونها ولا تجاهد فرضا عليها إلا إذا دخل العدو أرضها واحتل ديارها فالرجل قوام على المرأة بطوق الحماية والرعاية والمدافعة .أما الضرب المعنوي في قوامة الرجل على المرأة في قول الله {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء} فإنه لا يعنى القهر والحجر والاستبداد ولا يعنى إهدار شخصيتها وأهليتها ومقومات إنسانيتها كما يتبادر إلى الأذهان السقيمة المتشائمة وقد أقام الإسلام سياسة البيت بين الرجل والمرأة على العدل والمساواة والشورى وذلك ينفـي معنى القهر والاستبداد ويوفر لها حرية الرأي وكمال الشخصية . فالإسلام يمنع الرجل من الولاية على مال زوجته ويجعل تلك الولاية لها وحدها ويعطيها حق التصرف فيه بكل حريتها من بيع وشراء ورهن وقرض وإنفاق دون تدخل زوجها في شئونها المالية الخاصة بها .والإسلام لا يجعل الزوج سلطانا على دينها إذا كانت يهودية أو نصرانية ولا يكرهها على تغيير دينها كما قال الله {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ }[1] , ولا تتحول واحدة من هؤلاء عن دينها إلا بمحض إرادتها {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } [2] .فإذا كانت هيمنة الرجل على المرأة لا تمتد إلى حرية الدين , ولا إلى حرية الرأي , ولا إلى حرية التصرف في أموالها الشخصية ولا إلى المساواة بينها وبينه في الحقوق و الجزاء فماذا يخيف

[1] - سورة المائدة5
[2] - سورة البقرة256

المتشائمين الجاهلين من قول الله (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)؟إذا تقصينا ما بين الرجل والمرأة من مظاهر التفاوت وألفيناه كله مرتبا على اضطلاع المرأة بوظيفة الأنوثة وإضطلاع الرجل بما عداه من إختصاصات لا تستطيع بحكم تكوينها العضوي أن تقوم بها وأن تنهض لها .

أ - فهي يأتيها الحيض والحمل والرضاعة فيورثها ذلك وهنا في بنيتها تضعف كلما قامت بهذه الوظيفة .

ب - وعملها في البيت ضيق محصور أو هي لا تعرف حيل الرجال وتلاعبهم كما يعرفها الرجل لأنه مختلط بهم .

ج – وهي مناغات طفلها لا يحتاج ذلك إلي عبقرية مفكر وإنما هي تنزل من مستواها إلي مستوى طفلها في ملاعبته ومداعبته والنزول إلي لغته أما الرجل فليس في هذه الأشياء.فإذا انعقدت للرجل رياسة البيت ، وقيادة الحرب والجيش ، والإمامة الكبرى للدولة فذلك أمر طبيعي قررته له الفطرة والخليقة بحكم تكوينه العضوي فالذكر من كل حيوان أقوى من الأنثى ولا نستطرد في هذا البيان .وقد تمنى النساء قديما أن يكون لهن حظ مما ذهب به الرجل فقد روى أن أم سلمة زوج النبي ﷺ ومعها نسوة قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه علي الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم فأنزل الله قوله : {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ }[1].وذلك لأن الإشغال بهذا والتفكير فيه لحد التمني قد يحمل بعضهن على التمرد علي وظائف الأنوثة فيفسدن مقاصد الطبيعة ويعارضن إرادة الله في حكمة النسل .فمن كانت تريد الأجر والمثوبة فسبيله ما يسره الله لها بحب طبيعتها : {بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ } [2]

---

[1] - سورة النساء32

[2] - سورة النساء32

دون توقف على جهاد أو غيره.ومن كانت تريد التشبه بالرجال فتحلق شعرها حتى لا يرى منه إلا سنتيمترات وتلبس الشورت أو البنطلون اللاصق بجسدها وتزاحم الرجل فيما خلق له فهي محاولة لتغير خلق الله وسعى لإبطال سنته الطبيعية وقد جاء أن رسول الله لعن المتشبهات من النساء بالرجال وأن صلاتهم لا تقبل ولا ترفع فوق رؤسهم شبرا إن المرأة تظل امرأة تحافظ علي أنوثتها قائمة علي وظائفها التي اختصت بها والرجل رجلا قائما بما يسره الله له ولم يكن ذلك امتيازا في جوهر الرجل علي المرأة ولا في معدنه وهما ينحدران من نفس واحدة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا }[1]والقرآن يقرر أن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل وأنهما يتساويان في الأجر{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ } [2].وإذا كان تفضيل الرجل عل ى المرأة ناشىء من تفرقة عضوية في البنية فإن ذلك لا يحط من كرامة المرأة فالتفاضل يكون بتزكية النفوس وطهارتها{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا }[3] وضرب الله مثلا للذين أمنوا امرأة فرعون .والتفضيل الحسي للرجل علي المرأة هو من قبيل قول الله {وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ } [4] فالتفضيل في الرزق لا ينقص قدر الأنثى وإنما هو تفضيل قضت به الاجتماع والمواهب فقوامة الرجل للمرأة حق لا تنازعه فيه المرأة لأنها قوامة المسئولية ففي الحديث (إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه ؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)[5] .

<u>من حق الزوج علي الزوجة أن تطيعه في غير معصية</u>

[1] - سورة النساء1

[2] - سورة آل عمران195

[3] - سورة الشمس7

[4] - سورة النحل71

[5] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1705، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4492,4493، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 7036، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9125، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 1703، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 14237

إذا دعاها إلي فراشه لتنسجم الحياة الزوجية بينهما ويزول ما يعكر الصفو بينهما فإذا وهبت المرأة للرجل كل ما يرغب فيه غير محرم وجدت من الرجل عبدا يسهل عليها أن تحقق رغباتها منه والرسول يقول : (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب[1] لم تمنعه)[2]ويقول (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها)[1].ووصف الله الزوجات الصالحات المطيعات وهن القانتات {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ } [2] ويقول الله {إِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} [3] ومن عظم هذا الحق أن قرن الإسلام طاعة الزوج بأداء الفرائض الدينية فطاعة الله والرسول يقول : (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)[4] .وأكثر ما يدخل النساء النار عصيانهم لأزواجهن وإنكارهن فضل الأزواج عليهن والنبي يقول (اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)[5] وفي الحديث (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)[6].وطاعتها لزوجها في غير معصية الله أما إذا دعاها إلي معصية فلا

---

[1] - (على قتب)بفتحتين للجمل كالإكاف لغيره ومعناه الحث على مطاوعة أزواجهن وأنهن لا ينبغي لهن الامتناع في هذه الحالة فكيف في غيرها وقيل إن نساء العرب كن إذا أردن الولادة جلسن على قتب ويقال إنه أسهل لخروج الولد فأراد تلك الحالة قال أبو عبيد كنا نرى أن المعنى وهي تسير على ظهر البعير فجاءه التفسير بغير ذلك(حاشية السندي على ابن ماجه (4/ 110)

[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1853، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4171، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 4312، وأخرجه معمر بن راشد في الجامع حديث رقم 20596، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 5084.

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12203، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9098، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6452، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 2451، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة حديث رقم287 ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العيال حديث رقم 535.

[2] - سورة النساء34

[3] - سورة النساء34

[4] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 1664، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4163، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1462,1472، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4598، وأخرجه السخاوي في البلدانيات للسخاوي حديث رقم 25، وأخرجه محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في اعتلال القلوب للخرائطي حديث رقم 146.

[5] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3241,5198,6449,6546، .

[6] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 29,1052,3241,5197,5198,6449,6546، .

تستجيب له لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن طاعتها لزوجها ألا تصوم تطوعا وهو حاضر إلا بإذنه ، وألا تحج تطوعا إلا بإذنه ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه وفي الحديث حق الزوجة عل ى الزوج ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر (قتب) (أي ظهر بعير) ، وألا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه إلا لفريضة فإن فعلت أتمت ولم يتقبل منها ، وألا تعطي من بيتها شيئا إلا بإذنه فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتي تتوب أو ترجع وإن كان ظالما .

ومن حق الزوج علي الزوجة أن يكون له حق التأديب وأن
تلتزم بالقرار في البيت إن أراد ذلك

من حقه عليها أن يوجهها بما قرر الله لها من تأديب إذا تعالت عليه وأنفت منه وإستكبرت على عش الزوجية أن يقام وهذا حق للرجل عليها باعتباره القائم عليها والمسئول عنها ماديا وأدبيا (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) [1] وكل الشرائع سواء كانت مدنية أو دينية تجعل للرجال درجة على النساء (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [2].والتأديب له حق أدنى وهو الوعظ والإرشاد ، وحق أعلى وهو الضرب غير الموجع وأن يتجنب فيه الوجه والسب وألا يتجاوز المسواك وهذا ما قرره الله تعالي في حق الناشزات أي المتعاليات على أزواجهن (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً) [3]. والمرأة أمام الضرب نوعان :نوع لا تحب زوجها إلا إذا ضربها لتشعر بوجوده وشخصيته فإن فعل معها ذلك عادت إليه ، ونوع آخر حين يرى الضرب غير مؤلم ولا يتجاوز

---

[1] - سورة البقرة228
[2] - سورة النساء34
[3] - سورة النساء34

المسواك يرى شيئا يدعو إلي الضحك والابتسام فتعود الحياة إلي مجاريها .ومن حق الزوج علي الزوجة القرار في بيت الزوجية إذا طلب الزوج منها ذلك وقدم لها معجل الصداق ولا تخرج إلا بإذنه إلا في زيارة والديها دون إذنه ولها أن تزورهما كل أسبوع مرة وليس له منعها لأن ذلك قطيعة للرحم وإن كان أحد أبويها في حالة مرض فلها أن تعوده من غير قيد وإن غير أبويها فلها أن تزورهم كل سنة مرت وقيل كل شهر ، وروى عن أبي يوسف لها أن تخرج لزيارة أبويها ومحارمها كل أسبوع بغير إذن زوجها إذا كانوا يعجزون عن زيارتها أو يشق عليهم ذلك ، أما إذا كانوا لا عجزون فليس لها أن تخرج لزيارتهم إلا بإذن زوجها والمشهور هو الرواية الأولى وهو عدم الحاجة إلي الإذن في الحدود السابقة .

ومن حق الزوج علي زوجته أن تحفظه في ماله وعرضه أي في نفسها إذا غاب عنها

أما كونها تحافظ على ماله في غيبه فهذا أوجبه الإسلام عليها وجعله واجبا بلا خلاف وكان الرسول يذكر من بين صفات المرأة الصالحة أن زوجها (و إن غاب عنها نصحته في نفسها وماله)[1] ويقول(ولا تنفق امرأة شيئا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها قيل : ولا الطعام ؟ قال : ذلك أفضل أموالنا)[2] والله تعالى يقول (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ)[3] ومن الجميل في هذا المقام أن الإسلام قرر للمرأة أن تتصد ق عن مال زوجها بغير إذنه حاضرا أم غائبا دون إتلاف لماله ولم يجعل للزوج مثل هذا الحق في مال زوجته وذلك قول النبي (إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت

1 -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1857، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 7881.
2 -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2120، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21790،.(
3 - سورة النساء34

ولزوجها أجره بما كسب)[1] ويقول(إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها عن غير أمره فلها نصف أجره)[2]

وأما حفظه في نفسها فقد ذكر الرسول في خطبة الوداع (ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فإما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهم وطعامهم)[3]. وألا تختلي بأجنبي في بيته سواء رضي بذلك زوجها إن كان ديوثا أو كره غاب عنها أم حضر ففي الحديث :(لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)[1] ويقول(إياكم والدخول على النساء فقال رجل : يا رسول الله أرأيت الحمو ؟ قال : " الحمو الموت)[2] **ومعنى قوله الحمو يقال هو أخو الزوج كأنه كره له أن يخلو بها**. ومن حق الزوج على الزوجة أن تتودد إليه وأن تتزين له لا أن تتزين للشارع والخروج وتظهر لزوجها بصورة غير مألوفة لأن ذلك يدخل البهجة والسرور علي الرجل(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)[3].وقصة مآخاة سليمان الفارسي وأبي الدرداء فقال له (إن لنفسك عليك حقا ولربك عليك حقا ولضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له صدق سلمان)[4] وقصة أم سليم بنت ملجان في ولدلها من أبي طلحة وأوصت المرأة الفرارية ابنتها ليلة الدخلة وأو صى عبد الله بن جعفر أبنته عند الزواج قال (إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ،وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء .

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1440.
[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1687.
[3] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1163,3087، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1851، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9124، وأخرجه ابن ابي شيبة في مسنده حديث رقم 562، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم 5052.
[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3006,5233، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1344.
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5232، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2174.
[3] - سورة النور31
[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1967، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2413.

و من حق الزوج علي زوجته التعاون في تقسيم الأعمال

لكل بحسب موهبته وما أعده الله به ، وأن تقوم بخدمة زوجها

والقيام علي شئون البيت وتدبيره

وقد قال الفقهاء إن الخدمة واجبة عليها في الدائرة التي تحددها حالة الزوج المالية ومرتبته الإجتماعية التي تعلو بها الزوجة فإن كان ذا مال يخدم بالخدم والحشم كان عليها الإشراف عل ى الخدم لا الخدمة وإلا فعليها الخدمة وقد إستدلو بذلك بأن نساء النبي كن يقمن بخدمة البيت ونساء الصحابة كذلك وقد حكم رسول الله بين علي وزوجته فاطمة فجعل على فاطمة خدمة البيت وعلى علي العمل والكسب (فعن علي : أن فاطمة أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال : على مكانكما فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدمه على بطني فقال : " ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم)[1] فما أن واظبت على ذلك حتى أعطاها الله قوة أعانتها علي قضاء حوائج البيت .وعن أسماء بنت أبي بكر قالت كنت أخدم زوجي الزبير بن العوام خدمة البيت كله ، وكان له فرس ، فكنت أسوسه ، وكنت أحسن له وأقوم عليه ، وكانت تعلفه ، وتسقي الماء ، وتخرز الدلو ، وتعجن ، وتنقل النوى عل ى رأسها من أرض له علي ثلثي)[2] ففي هذا ما يدل علي قيام المرأة بخدمة البيت ، وقيام الرجل بالكسب والإنفاق عليها ويقول بن القيم هذا أمر لا ريب فيه ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة ، وفقيرة وغنية ، ففاطمة أشرف نساء العالمين كانت تخدم

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5361، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 5062.

[2] - عشرة النساء للنسائي (ص: 136)

زوجها وجاءت تشكو لها الخدمة فلم يسمع شكائها بخلاف الأحناف الذين يقولون أن المرأة للاستمتاع فقط والنصوص حجة عليهم .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

1 – حل استمتاع كل منهما بالآخر:–

والمحصنات من النساء تتحدث هذه الآية عن صدقة نكاح النساء المتزوجات أو المعقود عليهن دون دخله أو تتزوج بغير أزواجهن إلا إذا طلقهن أو توفى عنهن أزواجهن واستثنى ذلك ملك اليمين من السبي وإن كن زوجات لكنهن بعد السبي أصبحن ملك يمين وانقطعن عن أزواجهن وهذا ما كتبه الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأمولكم أى تنفقونها في عفة وطهر في غير فاحشة ولا زنا ، وإذا عقد عقده عل ى جارية أو أمة فمن تمتع بها فليؤتها مهرها وصدقها المفروض لها والمتعة هنا عامة خلوة شرعية يتمكن فيها من أن يفعل ما يفعل الرجل بزوجته وإسم ولا حرج فيما زاد أو نقص من المهر إذا كان ذلك بالتراضي بين الطرفين فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور من حكمته وضع حد للتحريم وحد للإباحة والنبي قال في خطبة الوداع : (استوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك)[1] ويقول(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا)[2]. قال بن حزم وفرض على الرجل أن يجامع امرأته التي هي زوجته مرة في كل طهر من حيض إن قدر على ذلك وإلا فهو عاص لله تعالى وبرهان ذلك قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }[3]. ونص أحمد على أنه قدر بأربعة أشهر لأن الله قدره في

[1] -(صحيح) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9124.
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5186، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 2332.
[3] - سورة البقرة222

حق المولى أي الذي حلف ألا يقرب زوجته ؟ فكذلك في حق غيره وقد قال تعالى في حق المولى : {لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[1] .وقال الإمام الغزالي من الشافعية يأتيها كل أربع ليالي مرة فهو أعدل لأنه يجوز أن يتزوج بأربع فجاز التأخير إلى هذا الحد ويجوز أن ينقص عن هذا حسب حاجة زوجته إلى العفة والتحصن فإن تحصين المرأة من الإنحراف واجب على الرجل وقد ثبت في السنة أن جماع الرجل لزوجته من الصدقات التي يثاب عليها الرجل ويؤجر المرء إذا قام به وفى الحديث :(وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته و يكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في الحرام أليس كان يكون عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له أجر)[1] والله تعالى يقول {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }[2].ويستحب من الزوج ملاعبة زوجته ومداعبتها وملاطفتها وتقبيلها والانتظار وقت الجماع حتى تقضى حاجتها وتستمتع به كما يستمتع بها والنبي يقول (إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها)[3]إن هذا الاستمتا ع حق للزوجية ولا يحصل إلا بمشاركتهما معا .

ومن الحقوق المشتركة بين الزوجية حرمة المصاهرة : فإن العشرة لما حلت بين الزوجين ربطت بينهما لحمة تشبه لحمة النسب أو أقوى ثم ربطت بين أسرتيهما برباط المصاهرة فصارتا كأنهما أسرة واحدة ولذلك ثبتت بينهما حرمة المصاهرة:

---

[1] - سورة البقرة226

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1009، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 20961,20970،

[2] - سورة البقرة223

[3] -(حسن) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 4200,4201، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 1608، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 4264,4265، وأخرجه الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء حديث رقم 773، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم 874، وأخرجه أبو يعلى الخليلي القزويني في فوائد أبي يعلى الخليلي حديث رقم 4، وأخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ حديث رقم 8، وأخرجه ابن حبان في الثقات (ج3:ص159.(إسناده حسن رجاله ثقات عدا عبد المجيد بن عبد العزيز العتكي وهو صدوق يخطئ)ولقد ضعفه الشيخ الألباني لعله اسم مبهم **(تبين أن ابن جريج لم يسمعه من أنس بينهما رجل لم يسم فهو علة الحديث**إرواء الغليل (7/ 72)لكن المعنى صحيح طبياً.

أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه، وفروع أبنائه وبناته.كما يحرم هو على أمهاتها، وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها. إذا دخل بها وفروع أبنائها وبناتها وقد جمع الله المحرمات نسبا ورضاعة ومصادرة بقوله : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }[1]

3- ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام عقد الزواج ولو لم يتم الدخول : وقد ثبت بينهما التوارث بسبب أن حل العشرة أوجد الصلة بين الزوجين بما هو مثل القرابة وإذا كانت القرابة تثبت الميراث ,
فالزوجية أيضا تثبت الميراث بين الزوجين والذي يثبت حق الميراث هو الزواج الصحيح أما غير الصحيح فلا يثبت به ميراثا قط وأن حصل دخول حقيقي فإذا مات الزوج ولو قبل الدخول بعد العقد فلها الربع إن لم يكن له ولد , ولها الثمن إن كان له ولد وإن ماتت الزوجة فالزوج النصف إن لم يكن لها ولد , وله الربع إذا كان لها ولد .

4 – ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين ثبوت نسب الولد من الزوج صاحب الفراش : مما جعله الشارع أثر للزواج وحقا للزوج والزوجة ثبوت الولد من الزوج إن أتت به على فراش الزوجية الصحيحة وذلك لأن الزواج يوجب ثبوت النسب ما لم يقم أمر قطعي ينفى الثبوت لذلك يقول النبي : (الولد للفراش وللعاهر الحجر [1])[1] ويرى الأحناف: أن السبب في ثبوت النسب هو العقد من غير

---

[1] - سورة النساء23

[1] - العاهر : الزاني وقد عهر يعهر عهرا وعهورا إذا أتى المرأة ليلا للفجور بها ثم غلب على الزنا مطلقا . والمعنى : لا حظ للزاني في الولد وإنما هو لصاحب الفراش : أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها وهو كقوله الآخر [له التراب] أي لا شيء له (النهاية في غريب الأثر (3/ 614، بترقيم الشاملة آليا)

اشتراط الدخول أو إمكان الدخول لأن العقد هو الأمر الظاهر الذي تتعلق به الأحكام ولأن الحديث قد جعل الفراش هو السبب في ثبوت النسب من غير أن يشترط شرطا .

ويرى الشافعية والمالكية وقول لأحمد : بأن العقد الصحيح سبب ما تأت ى به أثناء قيام الزوجية أو العدة إذا كان الدخول ممكنا فإذا ثبت أنه غير ممكن كالزواج بين المغربية والمشرقي فإن النسب لا يثبت , وكذلك إذا ثبت أنهما لم يلتقيا قط ولم يكن في الإمكان تلافيهما واختار ابن تيمية أن الصحيح سبب لثبوت النسب بشرط الدخول الحقيقي .

مدة الحمل الذي يثبت به النسب : إن أقل مدة الحمل ستة أشهر أقل مدة للحمل لنرى ما تقوله الآيات:النص الأول (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً .)[1]...النص الثاني) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)[2] ...النص الأول: حمل + فصال = 30شهر .النص الثاني: فصال = 24شهر .بطرح النص الثاني من النص الأول فيكون الناتج هو مدة الحمل (حمل + فصال) – (فصال =حمل) 30–24=6 اشهر. وجه الدلالة:اتفق العلماء على أن أقل مدة للحمل ستة أشهر [3] يمكن أن يعيش بعدها المولود.إذا كان مجموع الحمل والإرضاع ثلاثين شهراً وكانت مدة الرضاع منه سنتين كان الباقي في المدة وهو ستة أشهر للحمل.

2 – الإجماع حيث أجمع العلماء على أن أقل مدة للحمل ستة أشهر.[4]

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2053,2218,2745,4303,6749,6765,6818,7182.
[1] - سورة الأحقاف15
[2] - سورة لقمان14
[3] - انظر: تفسير القرطبي 9 / 286، شرح زبد ابن رسلان ص 69
[4] - انظر: الإجماع لابن المنذر ص 95، المبدع لابن مفلح 8 / 111، تفسير القرطبي 9 / 286، التقرير والتحبير لمحمد بن حسن ص 146.

3 – الأثر: عن أبي الأسود أنه رفع إلى عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر، فهم عمر برجمها، فقال له علي: ليس لك ذلك. قال الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }[1]، وقال تعالى: وقال (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً)[2]فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً، لا رجم عليها، فخلى عمر سبيلها، وولدت مرة أخرى لذلك الحد " [3]ويروى مثل ذلك عن عثمان وابن عباس.

4 – الواقع: حيث إنه وجد حمل ولد لستة أشهر فمما ذكرته كتب التاريخ أن الحسين بن على رضي الله عنهما والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وجرير الشاعر المشهور ولدوا لستة أشهر[1]. قال الشوكاني: " لم يسمع في المنقول عن أهل التواريخ والسير أنه عاش مولود لدون ستة أشهر، وهكذا في عصرنا لم يسمع بشيء من هذا بل الغالب أن المولود لستة أشهر لا يعيش إلا نادراً، لكن وجود هذا النادر يدل على أن الستة الأشهر أقل مدة الحمل وقد كان من جملة من ولد لستة أشهر من المشهورين عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي "[2].

موقف الطب قال ابن القيم: " إن الأدلة على أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر، تظاهرت عليها الشريعة والطبيعة، ف أما الشريعة من خلال الآيتين السابقتين، وأما الطبيعة فقد نقل أقوال الأطباء أصحاب الاختصاص الذين أثبتوا أن أقل حمل كان في مائة وأربع وثمانين ليلة "[3]. وقد أكد الطب الحديث ما ذهب إليه الفقهاء من أن أقل مدة الحمل ستة أشهر إلا أن المولود لها نادراً ما يعيش في الأحوال العادية. ومع تقدم مجالات الطب أصبح بالإمكان إيجاد

---

[1] - سورة البقرة233

[2] - سورة الأحقاف15

[3] - أخرجه البيهقي 442/7 برقم 15326، عبد الرزاق 7 / 351 برقم 13447 وقد قوى ابن عبد البر إسناده كما في الاستذكار 24 / 74.

[1] - انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 215، الحاوي للماوردي 11 / 205، المغني لابن قدامة 1 / 232، المعارف لابن قتيبة ص 595.

[2] - انظر: السيل الجرار للشوكاني 2 / 334، وانظر أيضاً: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام 2 / 104.

[3] - انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 213

فرصة أكبر لمثل هؤلاء المواليد في الحياة بعد وضعه في حضانة طبية مناسبة وقد قرر الأطباء إذا ما ولد الطفل ما بين (24 – 36 أسبوعاً) يسمى الطفل خديجاً (Pematue) ويكون في الغالب قابلاً للحياة، ولكنه يحتاج لعناية طبية خاصة، يقول الطبيب أحمد كنعان: " ويتفق أهل الطب والفقهاء حول أقل مدة الحمل، إذ تؤكد الشواهد الطبية أن الجنين الذي يولد قبل تمام الشهر السادس لا يكون قابلا للحياة، وإلى هذا يذهب أهل القانون أيضاً "ويقول الطبيب عبد الله باسلامة " فقد غير الأطباء رأيهم الآن وأصبحت أقل مدة الحمل هي ستة أشهر بعد أن كانت سبعة، والواقع أنه إلى الآن لا تزال مذكورة في دائرة المعارف البريطانية أن اقل الحمل الذي يمكن أن يعيش هو 28 أسبوعا أو 169 يوما، ولا أعتقد أنه سوف يجئ يوم من الأيام ويكون في مقدور جنين أن يعيش خارج الرحم ويواصل الحياة إن هو نزل قبل هذه المدة (ستة شهور) "ويظهر لي أن النصوص تدل على أن أقل الحمل ستة أشهر في الأحوال العادية، أما إذا سقط قبل الشهر السادس ووضع في حاضنة طبية أو (رحم صناعي كما يؤمل العلماء إيجاده مستقبلا) ليتابع رعايته إلى ما بعد الشهر السادس فليس هناك ما يتعارض مع نصوص القرآن فليتأمل.[1]

أما أقصى مدة الحمل :فقد اختلف الفقهاء فيه وهى آراء لم يرد فيها نص فمدة الاختلاف سبب ذلك ما يعتلي النساء من حمل كاذب أو عائق للحمل حيث كانوا يحتسبوا الحمل من بداية انقطاع الدورة الشهرية فحدث بذلك كل إمام جأته حاله ولكن عندما تقدم العلم وإختبارات ثبت ان الحمل لا يزيد عن تسعه اشهر إلا ايام قليله .

أقوال الفقهاء في أكثر الحمل قال الشوكاني: " لم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف مرفوع إلى رسول الله –ﷺ– أن أكثر مدة الحمل أربع سنين،

---

[1] - د. عبد الرشيد بن محمد أمين بن قاسم

ولكنه قد اتُّفق ذلك ووقع كما تحكيه كتب التاريخ، غير أن هذا الاتفاق لا يدل على أن الحمل لا يكون أكثر من هذه المدة، كما أن أكثرية التسعة أشهر في مدة الحمل لا تدل على أنه لا يكون في النادر أكثر منها فإن ذلك خلاف ما هو الواقع "[1] موقف ابن حزم من الأخبار السابقة قال ابن حزم: " وكل هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يصدق، ولا يعرف من هو ؟ ولا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا "[2] وجه الدلالة: قال ابن حزم: " فمن ادعى أن حملا وفصالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال، ورد كلام الله عز وجل جهاراً "[3] وقد قال أبو حنيفة يكون الحمل عامين واحتج له أصحابه بحديث فيه الحارث بن حصيرة وهو هالك أن ابن صياد ولد لسنتين وهذا كذب وباطل وابن حصيرة هذا شيعي يقول برجعة علي إلى الدنيا وذكروا أيضا ما رويناه من طريق عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياخ لهم عن عمر أنه رفع إليه امرأة غاب عنها زوجها سنتين فجاء وهي حبلى فهم عمر برجمها فقال له معاذ ابن جبل يا أمير المؤمنين إن يك السبيل لك عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها فتركها عمر حتى ولدت غلاما قد نبتت ثناياه فعرف زوجها شبهه فقال عمر عجز النساء أن تكون مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر قال أبو محمد وهذا أيضا باطل لأنه عن أبي سفيان وهو ضعيف عن أشياخ لهم وهم مجهولون ومن طريق سعيد بن منصور حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة أم المؤمنين قالت ما تزيد المرأة في الحمل على سنتين قدر ما يتحول ظل هذا المغزل جميلة بنت سعد مجهولة لا يدرى من هي فبطل هذا القول والحمد لله رب العالمين وقالت طائفة لا يكون الحمل أكثر من أربع سنين رويناه عن سعيد

---

[1] - السيل الجرار للشوكاني 2 / 334.
[2] - المحلى لابن حزم 10 / 132 – 133.
[3] - المحلى لابن حزم 10 / 132 – 133، أيضاً: معتصر المختصر ليوسف بن موسى 1 / 317 وفيه توجيه للآيتين بناء على مذهب الحنفية.

بن المسيب من طريق فيها علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وهو قول الشافعي ولا نعلم لهذا القول شبهة تعلقوا بها أصلا وقالت طائفة يكون الحمل خمس سنين ولا يكون أكثر أصلا وهو قول عباد بن العوام والليث بن سعد وروى عن مالك أيضا ولا نعلم لهذا القول متعلقا أصلا وقالت طائفة يكون الحمل سبع سنين ولا يكون أكثر وهو قول الزهري ومالك واحتج مقلدوه بأن مالكا ولد لثلاثة أعوام وأن نساء بني العجلان ولدن لثلاثين شهرا وأن مولاة لعمر بن عبد العزيز حملت ثلاث سنين وأن هرم بن حيان والضحاك بن مزاحم حمل بكل واحد منهما سنتين وقال مالك بلغني عن امرأة حملت سبع سنين قال أبو محمد وكل هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يصدق ولا يعرف من هو ولا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا وممن روى عنه مثل قولنا عمر بن الخطاب كما روينا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع سعيد بن المسيب يقول قال عمر بن الخطاب أيما رجل طلق امرأته فحاضت حيضة أو حيضتين ثم قعدت فلتجلس تسعة أشهر حتى يستبين حملها فإن لم يستبن حملها في تسعة أشهر فلتعتد بعد التسعة الأشهر ثلاثة أشهر عدة التي قد قعدت عن المحيض قال أبو محمد فهذا عمر لا يرى الحمل أكثر من تسعة أشهر وهو قول محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وأبي سليمان وأصحابنا.[1]والواقع المعاصر يبدد وهم القائلين بامتداد حمل امتد لسنوات حيث يولد في العام الواحد عشرات الملايين من البشر ولو قدر وجود أمثال هذا الحمل لتناقلته وسائل الإعلام والأطباء حيث إنهم يهتمون بنقل ما هو اقل من هذا الحدث بكثير وقد اختار هذا الرأي عامة الباحثين المعاصرين الذين تناولوا هذه المسألة وقد استبعد ابن رشد الحفيد امتداد الحمل لسنين حيث قال: " وهذه المسألة مرجوع فيها إلى العادة والتجربة ، وقول ابن عبد الحكم والظاهرية هو

---

[1] - المحلى ج10/ص316-317

أقرب إلى المعتاد والحكم إنما يجب أن يكون بالمعتاد لا بالنادر ولعله أن يكون مستحيلا "

نصل إلى نتيجة من كل ذلك

1- أن حالات الحمل الأكثر من تسعه شهور هو نتيجة حدوث حمل كاذب يمتد لفترة وبعد هيحدث حمل طبيعي حقيقي فكانت تحسب حال ة الحمل من بداية ظهور الحمل الكاذب أو حدوث عدم انتظام في الدورة الشهرية يطول مدته ويحدث حمل بعد ذلك وكل ذلك مشاهد. الحمل الكاذب Pseudocysis هي حاله تصيب النساء اللاتي يبحثن عن الإنجاب دون أن ينجبن حيث تظهر بعض العلامات والأعراض في الحمل الكاذب كانقطاع في الدورة الشهرية وانتفاخ في البطن وتغييرات في الثديين فتعتقد المرأة اتها حامل وتتهيأ لذلك نفسياً والفحوص المعملية الطبية تنفي تماماً حدوث الحمل . الحمل الكاذب Pseudopregancy: سببه تجمع دم الحيض في رحم المرأة بدل من خروجه وذلك بسبب انسداد غشاء البكارة عند فتحة المهبل. وبتكرار حدوث الدورة في كل شهر يتجمع الدم في الرحم ليكبر ويتوسع، وتظهر منطقة الرحم عند المرأة منتفخة وكأنها حامل في حين أنه ليس إلا دم محبوس .وقد تظن المرأة في ذلك الحين أنها حامل بسبب انقطاع نزول دم الحيض عنها لعدة أشهر وانتفاخ رحمها في نفس الوقت، لذلك سمي هذا الحمل بالحمل الكاذب.[1]

2 -أيضا حدوث إضطراب في الدورة الشهرية وعدم انتظامها وقد يحدث حمل بعد فترة من ذلك والفقهاء سمعوا ولم يكن هؤلاء أطباء وتحت يديهم أجهزة وتحليلات تعرف أنواع اضطراب الدورة الشهرية .

---

[1] - **http://www.4ph.net/vb/t9423.html**

3 -كل أقول الفقهاء اجتهاد بشري وليس له أساس من قرآن أو حديث صحيح في هذا الأمر أو في هذه القضية.

4 -الطب يحدد مدة الحمل ويمكن عبر الأجهزة الطبية معرفة بداية الحمل سواء بتحليل الدم أو البول أو عمل صونار موجات تلفزيونية والتوقع التقريبي للولادة مما يوضح لنا أن القرآن والسنة لا تتناقض مع أقوال الأطباء في ذلك.

5 – هيكل عظمي في بطن أمه لثلاثين عاماً

في قسم النساء والتوليد في مستشفى الخرطوم عندما قام الإطباء بالكشف على أم كلثوم التي تُوفي زوجها قبل عشرين سنة ويبلغ عمر أصغر أبنائها 40 سنة ظلّت تعاني آلاماً لازمتها باستمرار، ما اضطرها إلى مغادرة قريتها في رحلة استشفاء واستقرت في قسم النساء والتوليد في مستشفى الخرطوم خلال الشهر الماضي. وبعد إجراء الفحوص عبر الموجات الصوتية اكتشف الأطباء وجود كيس مائي في المبيض يزن 8 ليترات.حتى هنا كان الأمر عادياً للفريق الطبّي المشرف على الجراحة إلى أن لامست المقصات جسماً غريباً سادت بعد إخراجه حال من الدهشة وسط الأطباء، إذ اتضح سريعاً أن الجسم الموجود في الرحم ليس إلا هيكلاً عظمياً متكاملاً لطفل مضى على بقائه داخل بطن أمّه 30 سنة. ووصفت حالة أم كلثوم بالنادرة والفريدة ولم تسجل المستشفيات ما يماثلها. وفوجئت أسرة الحاجة أم كلثوم بوجود الهيكل العظمي للجنين في رحمها، خصوصاً أنها بلغت من العمر عتياً وتزوّج جميع أبنائها ذكوراً وإناثاً. [1]

5- ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين المعاشرة بالمعروف لكل منهما :-

فالرجل يكون جميل العشرة لها لقول الله (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)[2] .وتطالب المرأة بحسن

---

[1] - http://furat.alwehda.gov.sy/_kuttab_a.asp?FileName=16594643820070213225147 الأربعاء 14-2-2007

[2] - سورة النساء19

العشرة كذلك وفى الحدث (خير النساء التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره)[1] وكان النبي خير قدوة ويقول (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[2]وكان يصارع زوجاته (عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية (قالت : لم أحمل اللحم ولم أبدن) فقال لأصحابه : تقدموا (فتقدموا) ثم قال : تعالي أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي فلما كان بعد (وفي رواية : فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت) خرجت معه في سفر فقال لأصحابه تقدموا : (فتقدموا) ثم قال : تعالي أسابقك ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم فقلت : كيف أسابقك يا رسول الله ! وأنا على هذا الحال ؟ فقال : لتفعلن فسابقته فسبقني ف (جعل يضحك و) قال : هذه بتلك السبقة)[1] ويعرفها أنه يعلم غضبها فكان يقول:(قال لي رسول الله ﷺ:(ما يخفى علي حين تكونين غضبى وحين تكونين راضية إذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم وإذا كنت راضية قلت : لا ورب محمد) فقلت : صدقت إنما أهجر اسمك)[2]وتقول عائشة كان الرسول إذا غضبت وضع يده على منكبي وقال :(اللهم اغفر لها ذنبها واذهب غيظ قلبها وأعذها من مضلات الفتن)[3] ولما علم عمر أن حفصة ابنته تراجع الرسول وتهجره إلى الليل فقال قد خاب من فعل ذلك منكن أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها رسول الله فإذا هي قد هلكت)أما البيت الذي تستشير فيه سوء العشرة من الطرفين أو أحدهما فلا يعمر ولا يكتب له البقاء والدوام والنبي

---

[1] -(صحيح) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم 3231، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج 2:ص161)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 5324، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص80)، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج19:ص168.(

[2] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3895، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1977، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4177، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص466)، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 13-10 حديث رقم 5196،

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 25744، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 8896، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص16)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 124، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في رياضة الأبدان لأبي نعيم حديث رقم 4.

[2] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4331

[3] -(حسن) تاريخ مدينة دمشق ج 65 ص 236أخرجه عبد الرحمن بن عساكر في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لعبد الرحمن بن عساكر حديث رقم 25. إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات وصدوقيين عدا يزيد بن أيهم الشامي وهو مقبول.

يقول (ثلاثة من السعادة و ثلاثة من الشقاء فمن السعادة : المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيئة(أي ذلولة سريعة السير) فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق ومن الشقاء : المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفا (أي بطيئة) فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)[1] .

6-ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين حفظ الأسرار الزوجية بينهما :-

فلا يذكر الجماع وعدده وهيئة لا في مجلس الرجال ولا النساء فمن حسن إيمان المرء تركة مالا يعنيه {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[2] ويقول النبي : فعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة " وفي رواية : إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[1] ونهى مجلس النساء والرجال عن إفشاء سر الزوجية وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال : (لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟ فأرم القوم[2] فقلت : إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون . قال : (فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون)[3]

7- ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين التعاون بينهما في مهام الأسرة وقد قسم الرسول الأعمال بين علي وفاطمة لقول الله (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

---

[1] -(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص162)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 4171.

[2] - سورة المؤمنون 1-3

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1438، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4870.

[2] - [فأرم القوم] أي: سكتوا وما تكلم أحد (شرح سنن أبي داود ـ عبد المحسن العباد (6/ 37)

[3] -(حسن) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 27035، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 414، وأخرجه الحربي في غريب الحديث (ج2:ص656.(إسناده حسن رجاله ثقات عدا حفص بن أبي حفص السراج وهو صدوق حسن الحديث ، وشهر بن حوشب الأشعري وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام.

بِالْمَعْرُوفِ)[1].قال القرطبي لقد كان الرسول في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج وكان يخصف [2] نعله, ويقم البيت , ويخيط الثوب. (وروي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر قال فأتيتها فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ)[3]ويقول(إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله عز وجل إلا أُجزت بها، حتى ما تجعل في فم امرأتك)[4].ويقول(فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته)[5] وعلى الزوجة أن تساعد زوجها فيما خف من الأعمال كما نرى في البدوية من رعي الغنم , والريفية تعمل في الحقل وقد كانت أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام وكانت تقوم على خدمة الزبير وبيته وفرسه .

حق الزوجة على الزوج

8- من حق الزوجة على زوجها أن يباشرها ويجامعها قال ابن حزم : وفرض على الرجل أن يجامع امرأته التي هي زوجته وأدنى ذلك مرة في كل طهر إن قدر على ذلك وإلا فهو عاص لله تعالى :وبرهان ذلك قول الله عز وجل (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ)[1].وذهب جمهور العلماء إلى ما ذهب إليه ابن حزم من الوجوب على الرجل إذا لم يكن له عذر وقال الشافعي :لا يجب عليه لأنه حق له فلا يجب عليه كسائر الحقوق.

ونص أحمد : على أنه فقدر بأربعة أشهر لأن الله تعالى قدره في حق الملى بهذه المدة فكذالك في حق غيره .

---

[1] - سورة البقرة228

[2] - أي كان يخرزها من الخصف : الضم والجمع (النهاية في غريب الأثر (2/ 100، بترقيم الشاملة آليا)

[3] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 16705.

[4] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 56.

[5]-(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 1490,1495، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج 3:ص375)، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم 1138,1189،.

[1] - سورة البقرة222

سفر الزوج : وإذا سافر عن امرأته فإن لم يكن له مانع من الرجوع فإن أحمد ذهب إلى توقيته بستة أشهر وسئل كم يغيب الرجل عن زوجته ؟ قال ستة أشهر يكتب إليه فإن أبى أن يرجع فرق الحاكم بينهما .

وقد سأل عمر ابنته حفصة فقال يا بنية كم تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت سبحان الله مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ فقال لولا أريد النظر للمسلمين ما سألتك .قالت خمسة أشهر ستة أشهر فوقت للناس في مغازتهم ستة أشهر يسيرون شهرا ويعودون سائرين شهرا ويقيمون أربعة أشهر .

وقال الغزالي من الشافعية :وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل لأن عدد النساء أربعة فيجاز التأخير إلى هذا الحد نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص حسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا تثبت المطالبة بالوطء, فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها .وقد ثبت في السنة أن جماع الرجل زوجته من الصدقات التي يثيب الله عليها :روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :(و في بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته و يكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في الحرام أليس كان يكون عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له أجر)[1] ويستحب المداعبة , والملاعبة, والملاطفة, والتقبيل والانتظار حتى تقضى المرأة حاجتها.قال الرسول لأحد الصحابة وقد تزوج ثيبا (أفلا بكر ؛ تلاعبها وتلاعبك)[2]

آداب الجماع :

التستر عند الجماع : أمر الإسلام بستر العورة في كل حال إلا إذا اقتضى الأمر كشفها فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1009.
[2] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2048، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج على مسلم حديث رقم 3435.

ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قلت يا رسول الله أرأيت إن كان القوم بعضهم في بعض قال فإن استطعت أن لا تريها أحدا فلا ترينها قلت يا رسول الله فإن كان أحدنا خاليا قال فالله أحق أن يستحيا منه من الناس)[1] .وفى الحديث جواز كشف العورة عند الجماع

ب–التسمية عند الجماع :

وينبغي أن يقول حين يأتي أهله ويسن أن يسمى الإنسان ويستعيذ عند الجماع :فعن ابن عباس أن الرسول عليه السلام قال : (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا قال ﷺ: (فإن قضى الله بينما ولدا لم يضره الشيطان أبدا ")[2]

ج–حرمة التكلم بما يجرى بين الزوجين أثناء المباشرة:إن ذكر الجماع ,والتحدث به مخالف للمروءة, ومن اللغو الذي لا فائدة فيه ولا حاجة إليه وينبغي للإنسان أن يتنزة عنه, مالم يكن هناك ما يستدعي التكلم به ففي الحديث الصحيح :(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)[1] وقد مدح الله المعرضين عن اللغو فقال {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ }المؤمنون3 .

فإذا استدعى الأمر التحدث به, ودعت الحاجة إليه فلا بأس وقد ادعت امرأة أن زوجها عاجز عن إتيانها .فقال (والله يا رسول الله إني لأنفضها نفض الأديم[2])[3]

فإذا توسع الزوج أو الزوجة في ذكر تفاصيل المباشرة وأفشى ما يجرى بينهما من قول أو فعل كان ذلك محرما– فعن أبى سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2769,2794، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1920، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 8914، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم 911، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 991,993،.

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3271.

[1] -(صحيح) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى حديث رقم 288، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 7240، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 359، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 15317، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم 1815، وأخرجه القشيري في الرسالة القشيرية (ج1:ص64).

[2] - أي الجلد، كناية عن بلوغه الغاية في جماعها. فإن كان ذلك: وهو كونه لم يتمكن من جماعك. ما تزعمين : من عنته (الفجر الساطع على الصحيح الجامع (8/ 107)

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5825، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص226).

قال:(إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[1] وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال :(لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟ فأرم[2] القوم فقلت : إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون . قال : (فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون)[3]

د- إتيان الرجل في غير المأتى : ولا يجوز للزوجة أن تطيع زوجها في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ويجوز له أن يأتيها في قبلها من أي جهة شاء من خلفها أو من أمامها وإتيان المرأة في دبرها تنفر منه الفطرة, ويأباه الطبع ويحرمه الشرع قال تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[1].والحرث موضع الغرس والزرع وهو هنا محل الولد إذ هـ و المزاروع.فالأمر بإتيان الحرث أمر بالإتيان في الفرج خاصة قال ثعلب:إنما الأرحام أرضوان لنا محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات .وهكذا كقول الله :(فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ)[2].وكقوله :(أنى شئتم) أي كيف شئتم .وسبب نزول هذه الآية (كانت اليهود تقولك إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج) أي لأحرج في إتيان النساء بأي كيفية مادام ذلك في الفرج ومادمتم تقصدون الحرث. وقد جاءت الأحاديث صريحة في النهى عن إتيان المرأة في دبرها قال

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1438، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4870.
[2] - أي : سكتوا ولم يجيبوا
[3] -(حسن) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 27035، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار حديث رقم 1449. إسناده حسن رجاله ثقات عدا حفص بن أبي حفص السراج وهو صدوق حسن الحديث ، وشهر بن حوشب الأشعري وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام
[1] - سورة البقرة 223
[2] - سورة البقرة 222

:(أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن أو إتيان الرجل امرأته في دبرها ؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم : حلال . فلما ولى الرجل دعاه أو أمر به فدعي فقال : كيف قلت ؟ في أي الخربتين أوفي الخرزتين أو في أي الخصفتين[1] ؟ أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم أم من دبرها في دبرها ؟ فلا فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن)[2]ويقول (ملعون من أتى امرأة في دبرها)[3]ويقول (استحيوا فإن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن)[4] ويقول (لا يستحي الله من الحق لا يستحي الله من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن)[1]ويقول(لا ينظر الله إلى رجل يأتي امرأته في دبرها)[2]ويقول(من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[3] (وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده **أن** النبي صلى الله عليه وسلم قال في الذي يأتي أهله في دبرها (هي اللوطية الصغرى يعني الرجل يأتي امرأته في دبرها)[4]قال ابن تيمية :- ومتى وطئها في الدبر وطاوعته عزرا جميعا وإلا فرق بينهما كما يفرق بين الفاجر ومن يفجر به .

الأضرار البشعة التي تنتج عن إتيان المرأة من الدبر ومنها : العقـم التام لمن تهوا نفسه الوطء في الدبر إن استخدام الشرج إستخداماً جنسياً مرفوض تماماً من

---

[1] - يعني : في أي الثقبين والألفاظ الثلاثة بمعنى واحد كما في " النهاية "

[2] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص195)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 4220، وأخرجه الشافعي في مسند الشافعي حديث رقم 1316، وأخرجه الخطابي البستي في غريب الحديث للخطابي (ج1:ص372)، وأخرجه الشافعي في الأم للشافعي (ج5:ص104)،(ج5:ص192)، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 139.

[3] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص195)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 4220، وأخرجه الشافعي في مسند الشافعي حديث رقم 1316، وأخرجه الخطابي البستي في غريب الحديث للخطابي (ج1:ص372)، وأخرجه الشافعي في الأم للشافعي (ج5:ص104)،(ج5:ص192)، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم 139.

[4] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص196)، وأخرجه تمام بن محمد الرازي في فوائد تمام الرازي حديث رقم 809.

[1] -(صحيح) أخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 1144,2213، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21346,21366، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4198، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 8934,8937,8938، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص195.

[2] -(صحيح) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 8964.

[3] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 135، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 639، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 9811، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 8967، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم 4223.

[4] - (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6667.

الناحية الشرعية والناحية الصحية لأنه يتعارض مع وظيفته الفسيولوجية والطبيعية والتي أعد من أجلها وهي حمل البراز إلى الخارج .وهو ليس المكان الطبيعي لإيلاج العضو الذكر .المضار الطبية في حالة قيامك بهذا الفعل الشنيع:

_بالنسبة لزوجتك فسيحدث معها المضاعفات التالية:

أ_ ألم شديد بسبب عدم توافق الحجم بين عضو الذكر وفتحة الشرج.

ب_ إهتراء الغشاء المخاطي لقناة الشرج وحدوث نزيف دموي.

ج_ إتساع صمام فتحة الشرج بشكل دائم.

لقد ثبت علمياً أن ملامسة عضو الذكر بشكل مباشر لفتحة الشرج يؤدي إلى التهابات في مجرى البول والمثانة بسبب الميكروبات والقاذورات الموجودة في قناة الشرج .بالنسبة للأنثى فإن تكرار الوطء في الدبر يؤدي إلى حدوث تهتك بعضلات الشرج ينتج عنه في النهاية عدم القدرة على التحكم في التبرز. وذالك بالإضافة لظهور البواسير الشرجية .وتأتي الطامة الكبرى عند قذف السائل المنوي داخل الشرج. فوجود شروخ في الغشاء المبطن للمستقيم الشرجي(أمر طبيعي لمن يداومون على الوطء في الدبر (يؤدي إلى نفاذ بعض الحيوانات المنوية داخل مجرى الدم. ونظر ا لأن الحيوانات المنوية تعتبر جسماً غريبا بالنسبة لجسم الأنثى, فإن جسمها يفرز أجساما مضادة لمهاجمة الدخيل الغريب. ينتج عن ذالك وجود أجسام مضادة للحيوانات المنوية بصفة دائمة في دماء الأنثى. وعند حدوث جماع طبيعي) في المهبل (تهاجم هذه الأجسام المضادة الحيوانات المنوية المقذوفة داخل المهبل وتشل حركتها, وينتج عن ذلك العقم التام مدى الحياة.

هـ – العزل[1] وتحديد النسل :

---

[1] -(في " الفتح " : " العزل : النزع بعد الإيلاج لينزل خارج الفرج

إن الإسلام يرغب في كثرة النسل إذ أن ذلك مظهر من مظاهر القوة والمنعة بالنسبة للأمم والشعوب (وإنما العزة للكثرة)ويجعل ذلك من أسباب مشروعي ة الزواج ففي الحديث (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)[1]إلا أن الإسلام مع ذلك لا يمنع في الظروف الخاصة من تنظيم النسل أو تحديده وذلك باتخاذ دواء يمنع الحمل أو بأي وسيلة أخرى من وسائل المنع.فيباح التنظيم أو التحديد إذا كان الرجل معيلا(أي كثير العيال)لا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة.أو إذا كانت المرأة ضعيفة, أو كانت موصولة الحمل , أو كان الرجل فقيرا معدما ففي مثل هذه الحالات يباح تحديد النسل أو تنظيمه بل إن بعض العلماء رأى أن التحديد في هذه الحالات لا يكون مباحا فقط بل يكون مندوبا إليه.وألحق الإمام الغزالي بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها فمن حق الزوجين في هذه الحالة أن يمنعها النسل .

بل ذهب كثير من أهل العلم إلى إباحته مطلقا واستدلوا لمذهبهم بما يأتي: عن

1– جابر قال:(كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل)[1]

2 – وعن جابر (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا)[2].

3– وعن جابر قال قلنا يا رسول الله إنا كنا نعزل فزعمت اليهود أنها الموءودة الصغرى فقال (كذبت اليهود إن الله إذا أراد أن يخلقه فلم يمنعه)[3].وقال الشافعى رحمه الله ونحن نروي عن عدد من أصحاب النبى ﷺ أنهم رخصوا فى ذلك

---

[1] -(صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج7:ص80)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 5099، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 5208

[1] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1927، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 13905، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 4353، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 1027، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 9045، وأخرجه الطياليسي في مسنده حديث رقم 1803، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف حديث رقم 1495، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار حديث رقم 2809، وأورده أبو زرعة في طرح التثريب (ج6:ص1746.(

[2] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1442، وأورده أبو زرعة في طرح التثريب ج6:ص1746)،(ج6:ص1747.

[3] - (صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1136.

ولم يروا به بأسا.وقال البيهقى وقد روينا الرخصة فيه عن سعد بن أبى وقاص, وأبى أيوب الأنصارى,وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم وهومذهب مالك والشافعى وقد اتفق عمر وعلي رضى الله عنهما على أنها لاتكون مؤودة حتى تمر عليها التارات السبع:فى قول الله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [1]. والذى عليه جمهور الصحابة إباحة العزل ، وروى القاضي أبو يعلى وغيره بإسنادهم عن عبيد بن رفاعة عن أبيه قال جلس إلى عمر وعلي والزبير وسعد في نفر من أصحاب النبي ﷺ فتذاكروا العزل فقالوا لا بأس به فقال رجل إنهم يزعمون أنه الموءودة الصغرى ، فقال علي لا يكون موءودة حتى تمر عليه التارات السبع[1] حتى يكون من سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر ، فقال عمر صدقت أطال الله بقاءك[2].ويرى أهل الظاهر أن منع الحمل حرام مستدلين بما روته جنامة بنت وهب أن أناسا سألوا رسول الله ﷺ عن العزل؟ فقال: (ذلك الوأد الخفي وهي (وإذا الموؤودة سئلت)[3]وقد أجاب الإمام الغزالي عن هذا فقال :ورد في الصحيح أخبار صحيحة في الإباحة وقوله:(إنه الوأد الخفي) كقوله (الشرك الخفي)وذلك يوجب كراهيته كراهة لا تحريما والمقصود بالكراهة خلاف الأولى كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة وبعض الأئمة كالأحناف يرون أنه يباح

---

[1] - سورة المؤمنون12-14

[1] - أي : أطوار خلق الإنسان ، المذكورة في سور المؤمنون : 12-14

[2] - البيان والتحصيل (18/ 151) زاد المعاد في هدي خير العباد (5/ 146) جامع العلوم والحكم (ص: 49) شرح الزرقاني (3/ 295) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (10/ 134) الموافقات (4/ 272) شرح فتح القدير (3/ 401) فتح القدير (7/ 294) الاستذكار (ص: 3507) البحوث العلمية لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (3/ 152) فقه السنة (2/ 194) الآداب الشرعية - ابن مفلح (1/ 481) المؤتلف والمختلف للدارقطني (3/ 119) المؤتلف والمختلف للدارقطني (3/ 119) الاستذكار (6/ 227)

[3] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1444، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2011.

العزل إذا أذنت الزوجة ويكره من غير إذنها . اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

16- أتق الله حيثما كنت

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة (أتق الله حيثما كنت) فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه رسول الله ﷺ قال : (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[1] جاء الإسلام إلى هذا العالم في وقت كان لابد أن يأتي فيه ، فقد غرقت الدنيا في ظلام الشرك ، وساد المجتمع الإنساني ظلم فادح ، وفوضى عارمة ، وتحالفت على النفس البشرية أمراض مهلكة ، لولا أن نزل القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ولولا أن تداركها الرسول ﷺ بحكمته .وكان النبي صلوات الله عليه في علاجه لأمراض المجتمع كالطبيب الحاذق يسوق البرء إلى مريضه في

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1987، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2791، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 20846,20893، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام حديث رقم 1568، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 192، وأخرجه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ج1:ص12(8، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 8025، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 6181، وأخرجه وكيع بن الجراح في الزهد حديث رقم 94، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم 13، وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة للسلمي حديث رقم 11.

قطرات من الدواء ، أو لمسات من العلاج وهل نجد أجمع لمناهج الإصلاح ، وأحفظ للحقوق ، واشمل الأنواع المعاملات من قول النبي ﷺ (أتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)لقد تضمن هذا الحديث ثلاث وصايا جامعة انتظمت جميع المعاملات التي يستقيم بها أمر الدين والدنيا بينت حقوق الله ، وحق العبد لنفسه في سلوكه وأخلاقه ، وحق العبد مع غيره في معاملاته وتصرفاته .والتقوى هو أن يجعل المرء بينه وبين الله طريقا إلي مرضاة الله ووقايته من عذابه ، فتمسك نفسه تقوى وخشية من الله والقرآن الكريم يدور أسلوبه بين ترغيب وترهيب فنراه يبشر المؤمنين المتقين بعد الخوف والتقوى قال سبحانه {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ}[1].

وتارة يضيف القرآن التقوى إلي الله لتعظم هيبته في صدق العباد وليعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والتكريم قال تعالي(وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [2]، وقال{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } [3] ،وقال(وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ) [4]وتارة يضيف التقوى إلي مكان العذاب كالنار {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [5] ،ويقول (فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[6] ، وتارة يذكر الأمر بالوقاية من النار {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [7] ، وتارة تضاف إلي زمان العذاب{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

[1] - سورة يونس 62-63
[2] - سورة المائدة 96
[3] - سورة النساء1
[4] - سورة آل عمران 28
[5] - سورة آل عمران131
[6] - سورة البقرة24
[7] - سورة التحريم6

وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[1].ومهما تنوعت أساليب الدعوة إلي التقوى ، فالمقصود الأول منها أن يتخذ العبد لنفسه وقاية تقيه سخط الله وغضبه وأن يعلم أن ربه يراه حيث كان ،وأنه مطلع على ظاهره وباطنه ، فلا يراه حيث نهاه) ولا يفقده حيث أمره قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ، ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير .)[2] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (وسئل علي رضي الله تعالى عنه عنها قال : هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل)[1].قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (آل عمران :102)قال : أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر[2].وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات ومعنى ذكره فلا ينسي ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها . وكان طلق بن حبيب يقول اتقوا الفتنة بالتقوى فقيل له أجمل لنا التقوى فقال أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله [3].وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)[4] فلا ! تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا

---

[1] - سورة البقرة281

[2] - جامع العلوم والحكم (ص: 159) الزهد الكبير للبيهقي (2/ 480، بترقيم الشاملة آليا)974 الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية (ص: 89) تاريخ دمشق (45/ 230) تهذيب الكمال (21/ 445)

[1] - سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 421

[2] - جامع العلوم والحكم ج 1 ص 160مجموع الفتاوى ج 11 ص 208نواسخ القرآن ج 1 ص 108الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 133رقم 2679

[3] - المنتقى من منهاج الاعتدال ج 1 ص 286 كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج 28 ص 34.

[4] - سورة الزلزلة7-8

شيئا من الشر أن تتقيه[1].وقال الثوري رحمه الله: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقي .وقال ابن عباس رضي الله عنه : المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدي ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.وقال الحسن رحمه الله: المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما اقترض الله عليهم .وقال موسى بن أعين رحمه الله : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين.وقال ميمون بن مهران رحمه الله : المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟قال : نعم ، قال : فكيف صنعت؟ قال : إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه ، قال : ذاك التقوى .وأخذ أحدهم هذا المعنى فقال :خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى.وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتق ثم يتقي . قال عون بن عبد الله رحمه الله : تمام التقوى أن تبتغي علم ما لم تعلم منها إلى ما علمت منها .وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس رحمهما الله قال : كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي .ثم قال معروف الكرخي:إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك.قال بن رجب رحمه الله : وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه [1].وما أحوج العالم إلى أن يفيء إلي

---

[1] - الزهد لابن المبارك ج 2 ص 19 رقم 79-الزهد الكبير ج 1 ص 324رقم 870

[1] - جامع العلوم والحكم ج 1 ص 159

هذه التقوى لقد فشل العلم المادي وحده في قيادة الإنسانية إلي الخير وقاده إلي حافة الهاوية والحرب والدمار وما أحوج الحضارة إلى أن تصحبها تقوى الله عز وجل قال تعالي {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [1].والوصية النبوية بحسن السلوك ومهما كان المرء حريصا علي التمسك بالتقوى حفاظا على التزام الصراط المستقيم فهو معرض لأن تنزل به القدم ، ولابد أن يقع منه أحيانا ما يعد تفريطا في جنب الله ، فعليه أن يتوب إلى من قريب ، وأن يفعل ما يمح و به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة .والمراد بالحسنة هي التوبة من تلك السيئة قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [1]. فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء[2] في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران [3] الذي ذكره الله في كتابه {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ }المطففين 14) [4] ويقول رسول الله عن رب العزة (أن رجلا أذنب ذنبا فقال: أي رب أذنبت ذنبا – أو قال: عملت عملا – فاغفر لي فقال تبارك وتعالى: عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم أذنب ذنبا آخر أو قال: عمل ذنبا آخر قال: رب إني عملت ذنبا فاغفر لي فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنبا آخر أو أذنب ذنبا آخر فقال: رب إني عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله تبارك وتعالى: علم عبدي أن له

---

[1] - سورة النحل97

[1] - سورة آل عمران135

[2] -والنكتة النقطة السوداء في الأبيض ، أو البيضاء في الأسود والأثر الحاصل من نكت الأرض وشبع الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما(مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (8/ 93، بترقيم الشاملة آليا)

[3] - أي الطبع(التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (1/ 597)

[4] - (صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4244، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7892، وأخرجه البغوي في شرح السنة حديث رقم 1304، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في ذم الهوى لابن الجوزي حديث رقم 217.

ربا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء)[1] يعنى مادام على هذه الحال كلما أذنب ذنبا استغفر عنه .ويقول رسول الله ﷺ (إني لأتوب إلى الله تعالى في اليوم سبعين مرة)[2] ويقول رسول الله ﷺ (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة)[3] ويقول عن رب العزة في الحديث القدسي(قال الله تعالى : يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم ! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم ! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[1] وقد يراد بالحسنة في قول النبي ﷺ (واتبع السيئة الحسنة تمحها) ما هو أعم من التوبة ، وذلك بأن يقبل المرء على الطاعات ، وأداء الصلوات ، فيغفر بذلك مجرى حياته ، ويفتح في سجل أعماله صفحة بيضاء قال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ }[2] .

<u>والنصيحة الثالثة خالق الناس بخلق حسن</u>

فمن خصال التقوى حسن الخلق فهو ركن عظيم من أركانها .بل التقوى لا تتم إلا به ، ولكن الرسول الكريم أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه فقد يظن كثيرا من الناس أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق العباد ، والأمر بحسن الخلق توصيه نبوية كريم منفصل عن التقوى لله وهذا خطأ فذهب يعتني بصنوف العبادات مهملا حق إخوانه وأهله ، والدين الكامل يتحقق بالقيام بحقوق الله

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2760، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 622،.

[2] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3259، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3816, وأخرجه تمام بن محمد الرازي في فوائد تمام الرازي حديث رقم 382، ،

[3] (**حسن صحيح**) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3815، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (8/ 315) تحقيق الألباني :
حسن صحيح

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 3540، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4305، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم 2235.

[2] - سورة هود114

وحقوق العباد . وقال بعض السلف جلس داود عليه الصلاة والسلام خاليا (فقال الله عز وجل مالي أراك خاليا قال هجرت الناس فيك يا رب العالمين قال يا داود ألا أدلك على ما تستبقى به وجوه الناس وتبلغ فيه رضاي خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الإيمان بيني وبينك ، وفي بعضها : خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا ، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة)[1].وحسن الخلق أثقل ما يوض ع في ميزان العبد يوم القيامة والنبي يقول (أخبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟"، فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثاً. قال القوم: نعم يا رسول الله ! قال: " أحسنكم خلقاً"[2].والمرء لا يبلغ أسمى آفاق العظمة والكمال الإنساني إلا بحسن الخلق فيقول النبي (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلق)[1] وعن أسامة بن شريك قال قالوا يا رسو ل الله ما أفضل ما أعط ى المرء المسلم ؟ قال(أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن)[2] وفى الحديث(أنا زعيم بيت في ربض الجنة[3] لمن ترك المراء وإن كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[4] وما أثنى كتاب على من أنزل عليه كما أثنى القرآن على النبي محمد ﷺ فقال الله فيه (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ *وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[5] ولقد وصفه علي كرم الله وجهه (من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه)[6]إن الخلق الكريم ينصر صاحبه في الدنيا ويثاب

---

[1] - جامع العلوم والحكم ج 1 ص 181 قوت القلوب ج 2 ص 361 غذاء الألباب شرح منظومة الأداب ج 1 ص 284

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6696، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 [2] - جامع العلوم والحكم ج 1 ص 181 قوت القلوب ج 2 ص 361 غذاء الألباب شرح منظومة الأداب ج 1 ص 284

[2] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6696، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13 حديث رقم 6937، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم 272،

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1162,2612، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4682، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2792، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 7354,9756,10436,23683,24155، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 479,4176،

[2] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 481، وأورده ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم 2576، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم 7014،

[3] - ربض الجنة) بفتح الراء والموحدة وضاد معجمة: ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدينة وتحت القلاع (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (5/ 91)

[4] -(صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4800، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج10:ص247)،

[5] - سورة القلم 3-4

[6] - مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 328 سنن الترمذي ج 5 ص 599 رقم 3638.

في الآخرة قال تعالى (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ *بِنَصْرِ اللَّهِ)[1].{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة21. اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين

17- حاجة الإنسان إلى عبادة الله:العبادات في الإسلام وأثرها في سلوك

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة حاجة الإنسان إلى عبادة الله:العبادات في الإسلام وأثرها في سلوك الفرد والجماعة:

العبادة معناها: طاعة الله والخضوع له والتزام ما شرعه من دين (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)[1] والعبادة بهذا المعنى تجعل الإنسان ليخضع إلا

---

[1] - سورة الروم4-5
[1] - سورة يوسف 40

للحق الذي أوحاه الله , وتجنبه الظنون والأوهام والأباطيل, وتحول بينه وبين الخضوع لسيطرة رجال الدين , وتفتح أمامه الطريق ليصل مباشرة بالله .وهى في الوقت نفسه يذكر بالله , والتذكر بالله يعمر القلب بعظمته, وإذا عمر القلب بمعرفة الله وعظمة وجه قوى النفس إلى البر والخير, وكفها عن الإثم والشر, ومن ثم كانت العبادة ركنا أساسيا في بناء الشخصية المتكاملة التي يريدها الله , وكانت قياما للمجتمع الصالح وكانت هي غاية الحياة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[1].ولأجل أن يصل الإنسان إلى هذه الغاية زوده الله بالعقل والاختبار, وأمده بالوحي, وجعله بهذا أهلا لحمل مسؤلية العبادة ليقطع عذره ويقيم عليه الحجة : {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }[1].وقال {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }[2].وقال : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)[3] وقال :{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[4] ومع ما للعبادة من آثار في تهذيب النفس وتقويم السلوك وإقامة المجتمع الفاضل فهي حق من حقوق الله سبحانه فإن من عرف الله عرف استحقاقه للحب والتعظيم والحمد والثناء والشكر– وتوجيه العبادة له وحده ونبذ عبادة غيره لأن في عبادة الله وحده هديا إلى الصراط المستقيم :–

---

[1] - سورة الذاريات56- 58
[1] - سورة الأحزاب72
[2] - سورة الأعراف172
[3] - سورة النحل 36
[4] - سورة الأنبياء25

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} [1] . {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[2].ويبين النبي ﷺ حق الله على العباد وحق العباد على الله أن أقاموا على عبادته وحده , فعن معاذ رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : حقه أن يعبده ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : حقهم عليه ألا يعذبهم)[3](وهذا الحق باق ما بقى في الإنسان نفس)ونرى من التوجيه النبوي لابن عباس وهو غلام حيث يأمره بحفظ شريعة الله وعباداته وجوارحه عن الحرام فإن فعل ذلك كان الله عونا له وأن تكون نفسه عزيزة فلا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا به وأن ما كتبه الله له أو عليه لابد نافذ ولا يستطيع أحد أن يمنع قضاء الله وقدره فذلك مكتوب في الأزل محفوظ في اللوح المحفوظ بأيدي سفرة كرام بررة:(عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1]وفي الحديث القدسي فعن أبى ذر الغفاري عن النبي ﷺ عن الله سبحانه يبين لنا فيه تحريم الظلم لأن الله حرمه على نفسه وأننا محتاجون إلى الله ومفتقرون إليه في كل شيء وهو يحب أن يسأل وأن الله غني عن عباداتنا فلا تزيده الطاعة ولا تنقص منه عدمها وأنه يسجل

---

[1] - سورة يس 60-61

[2] - سورة الأنعام162

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 7373، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 33،

[1] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2516، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 2664,2758، وأخرجه ابن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم 3445، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم 2556، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 5417، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 11416,12988، .

علينا أفعالنا وقولنا وينشر علينا كل ما فيها حين نعرض عليه فيقول لنا في حديثه القدسي :(قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1]

العمل عبادة

إن الله عز وجل سخر هذا الكون للإنسان وجعله خادما له ولكن لابد أن تكون منه حركة دائبة وعمل متواصل ليستخرج ما في بطون الأرض من كنوز ويستثير ما فوقها من ذرات لكي يعف نفسه ويقيم صرحا اقتصاديا يستغنى به عن ذلة للغير وأن كل عمل ولو دنيويا إن قصد به الخير انقلب عبادة لله تعالى ولقد قرن الله السعي في جنبات الأرض بالجهاد في سبيل الله تعالى :-

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2580، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص237).

(وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[1].وجاء العمل الصالح والإنتاج المثمر بين إقرار الوحدانية لله تعالى والنهى عن الإشراك به : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } [2] وأن الله ورسوله يترصدان عمل المرء والمؤمنون كذلك يراقبو ن تحركانه وأقواله وأفعاله, ويذكرنا الله بأننا سنرجع إليه وبنشرنا للحساب ويخبرنا بصحائف أعمالنا(وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[3] وصدق الله العظيم إذا يقول {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [4].ويأمرنا الله بالسعي في جنبات الأرض حيث ذللها لن ا ومهدها تحت أقدامنا وقرن الأكل من رزقه بالنشور إليه حتى لا تطغ ى أعراض الدنيا على قلوبنا فتقودنا إلى الهاوية والمصير المحتوم : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[1].ويأمر بالانتشار في الأرض عقب الانتهاء من صلاة الجمعة لكي نبتغي من فضل الله ونعمه وأن يقرن ذلك بذكر الله صاحب العطاء الواسع والمنن الكثيرة التي لا تحص ى ولا تعد :{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [2].ولا تمنح جنة الله إلا لمن عمل {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[3] وعلى قدر إقبال المرء على استشارة ذرات الأرض ليستخرج ما فيها من منافع تكون منزلة المرء عند الله عالية , وعلى قدر إهمالهـ

[1] - سورة المزمل20
[2] - سورة الكهف110
[3] - سورة الإسراء 13-14
[4] - سورة التوبة105
[1] - سورة الملك15
[2] - سورة الجمعة10
[3] - سورة الزخرف72

وتكاسله يكون انحطاط منزلة (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)[1]. وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان)[2] إن من يغرس غرسا أو يشيد منزلا أو يزرع زرعا يبغى به انتفاع الناس فإن هذا كله ينقلب في ميزان المرء حسنات تضاف إلى حسناته والنبي ﷺ يقول :(ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له به صدقة)[3]واستنكر النبي ﷺ إطالة معاذ بن جبل للصلاة (أقبل رجل بناضحين[1] وقد جنح الليل، فوافق معاذا يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة – أو النساء – فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه، فأتى النبي ﷺ، فشكا إليه معاذا، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفتان أنت» – أو «أفاتن» – ثلاث مرار: «فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)[2] – ويبين النبي فضل السعي على الرزق وإن كان شاقا أفضل من سؤال الناس فيقول :(لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه)[3] ويقول (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود

---

[1] - سورة الزلزلة 7-8

[2] -(صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 60، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 282، وأخرجه بحشل في تاريخ واسط (ج1:ص163.

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6012، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 14779،.

[1] - بناضحين) بالنون والضاد المعجمة والحاء المهملة، تثنية ناضح، وهو البعير الذي يسقى عليه النخل والزرع (شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (2/ 59).

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 705، وأخرجه أبو داود في سننه(ج1:ص136).

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2075، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1836.

كان يأكل من عمل يده)[1] ويقول(ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة)[2] وعن عائشة أن النبي ﷺ قال :(إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكا أو عظما عن طريق الناس وأمر بالمعروف أو نهى عن المنكر عدد تلك الستين والثلاثمائة سلامي فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)[3] والرسول فتح باب تقديم خدمه لأخيه فاليسارع فيقول (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)[4] ويبين أن من فرج في الدنيا فرج الله عنه يوم القيامة(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[1] ويقول(من ستر أخاه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[2]

العبادات مساواة بين البشر وتحرر لهم

إن العبادات في الإسلام تحقق المساواة بين الناس فالصلاة تجعل الجميع متساوين في جنبات المسجد والصوم يشعر الجميع بمعنى العبادة فيه موحدا ومساواة, والزكاة توزع على الفقراء والمحتاجين دون النظر لأجناسهم وألوانهم, والحج يحتشد له الناس من كل فج عميق مهما تباعدت بينهم المواطن والبلدان لتتحقق معنى المساواة والوحدة عمليا في منى وعرفات في مظهر واقع رائع لا في خطب وأماني وكلمات وعبادات والله تبارك وتعالى يرفع هذه المساواة بأن

---

[1] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2072، وأورده أبو زرعة في طرح التثريب (ج3:ص1043.
[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2138.
[3] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1010.
[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2200,2201، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 14174.
[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2583، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4893.
[2] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 534.

يذكرنا بأننا أبناء أب واحد وأم واحدة وأن الأفضلية عند الله بين الناس هو اتقاهم:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[1].والعبادات حققت المساواة بين الذكر والأنثى في الأجر والمثوبة من الله تبارك وتعالى والله تعالى يقول: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }[2]. ويقول :{وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً }[3] ويقول النبي ﷺ (سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة)[1] والعبادة لله تحرر البشر ممن الذلة لغير الله والله تعالى يبين لنا أن كل من في السموات والأرض يسجد له, ويلزم المنكرين له بالحجة والنطق فمن القائم على تربية هذه الخلائق ؟ وكيف يتخذون غير الله أولياء ونصراءوهم عاجزون تمام العجز عن القيام على أنفسهم وجلب الخير أو النفع فهل يستوي الظلمة والنور , أو الأعمى والبصير, أم أنهم جعلوا لله شركاء يخلقون كخلقه وهذا مستحيل عليهم بل المنفرد بالخلق والإيجاد هو الله الواحد الأحد : {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ.قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ

---

[1] - سورة الحجرات13

[2] - سورة الأحزاب35

[3] - سورة النساء124

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 436، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 668.

الْقَهَّارُ}[1] إن الوجوه لا تخضع إلا لخالقها ولا تخر سجودا إلا لمن بيده نواحيها وهو الله الواحد الأحد {وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }[2] {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }[3] وإن الله يحب من عنده أن يسأله لأن يسأل سواه حتى يكون عزيز الجانب موفور الكرامة {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }[4] ويقول رسول الله ﷺ (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)[5] ويوصى الله نبيه بأن يعلن للقوم أنه قد نهى أن يعبد غير الله من بشر أو حجر أو كواكب أو غير ذلك مما لا تنفع ولا تضر وأن يسلم لمن يقوم على تربية هذا العالم وحده : {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }[1].وفى الحديث المتفق عليه فيما رواه أبو هريرة قال:(كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر) قال: يا رسول الله فما الإسلام؟ قال:(لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) قال: يا محمد ما الإحسان؟ قال:(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2] وعن عوف بن مالك الأشجعى رضي الله عنه :– قال : كنا عند النبي ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال :(ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟! ". وكنا حديث عهد ببيعة. قلنا: قد بايعناك! حتى قالها ثلاثا، فبسطنا أيدينا، فبايعناه. فقال قائل: يا رسول الله! إنا قد بايعناك؛ فعلام نبايعك؟! قال:" أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتصلوا

---

[1] - سورة الرعد 15-16
[2] - سورة البقرة163
[3] - سورة طه111
[4] - سورة غافر60
[5] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2516، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 2758، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 5417، وأخرجه أبو يعلى في معجمه حديث رقم 96
[1] - سورة غافر66
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 50,4777، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 11.

الصلوات الخمس،وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية، قال: ولا تسألوا الناس شيئا ".قال : فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه، فما يسأل أحدا أن يناوله إياه.)[1]

العبادات شكر لله وسلوك أخلاقي

إن العبادات هي الترجمة العلمية لأداء واجب الشكر لله تعالى– فإن الله أرسل إلينا رسوله ليتلو علينا آياته ويطهر قلوبنا من الحقد والبغضاء وجوارحنا من الحرام ويرسم لنا طريق الحكمة والمعرفة ويعلمنا ما جهلناه وما أشكل علينا ولابد من أن نذكر الله وأن يكون في خواطرنا وأن نشكر الله على نعمه التي لا تحصى بالترجمة العلمية في سلوكنا والقولية على ألسنتنا {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }[1] ويبين الله تعالى بأنه ليس في حاجة إلى القربات التي نتقرب بها إليه وإنما يصله منا العبادة المقرونة بالإخلاص وعدم الرياء فنثني على الله ونكبره على ما عاهدانا {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ }[2] وأمر الله آل داود بالعمل ليشكروا الله على ما هيأ لهم من أسباب العمل فإن قليلا من الناس ما يفطن إلى شكر الله والثناء عليه(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[3].لقد توسع الإسلام في دائرة الحسنات التي يفتر منها الناس من بحار الرحمات الربانية فقد روى مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه قال – قال رسول الله ﷺ:(يصبح على كل سلامي[4] من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1045، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1642.
[1] - سورة البقرة 151-152
[2] - سورة الحج37
[3] - سورة سبأ13
[4] - سُلامى "- بضم السين وتخفيف اللام- وهي عظام الأصابع والأكف والأرجل , هذا أصله، ثم استعمل في سائر عظام الجسَد ومفاصله. (شرح أبي داود للعيني (5/ 182)

صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)[1]وعن معاذ بن جبل قال : لقيني النبي ﷺ فقال: إني أوصيك بكلمات تقولهن في كل صلاة : (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[2]ويبين النبي ﷺ بأن تحقيق إجابة الدعاء تتوقف على طيب المطعم ومصدره الحلال فقد قال النبي ﷺ : إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [3].وقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [4] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟)[1] والعبادات لها أثر في سلوك الإنسان وتقويم النفس وتهذيبها فالصلاة تهذب النفس وتزيل الخطايا وتطهر النفس من الآثام : {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }[2] .ويقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }[3] وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون؟ هل يبقي من درنه شيئا؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء قال :(ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا)[4] والصيام يحقق تربية الإرادة والوقوف أمام إثارة الشهوات المنكورة,

---

[1] - (صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 723، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1285,1286,5243.

[2] - (صحيح) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 1522، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 21613,21620، وأخرجه ابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة حديث رقم 728، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 2020,2021، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج1:ص273)،(ج1:ص499)،(ج3:ص270)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (ج9:ص45)

[3] - سورة المؤمنون51

[4] - سورة البقرة172

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1016، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2989.

[2] - سورة العنكبوت45

[3] - سورة البقرة153

[4] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 670، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2868.

وتهذيب الجوارح وتجنب اللغو ونهش الأعراض وتجنب الغيبة وذكر الناس بسوء أخلاقهم وذلك كله ما يتحقق في التقوى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [1].فإذا لغا في أعراض الناس أو كذب أو اغتاب الناس بسوء فإن ذلك يفقد روح الصوم والنبي ﷺ يقول : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)[2] ويقول :(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه)[3] .والزكاة والصدقات إنما هي تربي روح الحب والود وتربط بين الناس بهذا الترابط وتوثق العلائق بين الناس وتزيل الأحقاد من قلوب الناس وتجتث الجرائم من المجتمع وتقضي على الفقر وأسبابه حتى لا يبق ى فيه جائع ولا محروم وللمغبون ولا مهضوم والله تعالى يقول :{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا }[1].ونهى عن المن والأذى والرياء في إخراجها حتى تكون خالصة لله محققة الغرض الذي من أجله فرضت : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }[2].والحج أمنا يهذب النفس ويحقق الغرض من تكفير الذنوب ومحو الخطايا وأن المرء في أثنائه يستظل براية التعليمات الإلهية فلا جدا ل ولا فسوق فيه : {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }[3] .وفى الحديث :(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه)[4] والناس تحب أن يكون لها مال وعلم تنفق فيه في وجوه الخير وتعلم

---

[1] - سورة البقرة183

[2] -(صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 1690، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 3236,3319، وأخرجه ابن المبارك في مسنده حديث رقم 75.

[3] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1903,6057، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 707.

[1] - سورة التوبة103

[2] - سورة البقرة264

[3] - سورة البقرة197

[4] -(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 3694، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج4:ص189).

الناس الحكمة والعلم : (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته[1] في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[2]

دور العبادات في سعادة الفرد والمجتمع

إن العبادات تعود على المرء بالخير الحميم والفضل العظيم, وبالعطاء الواسع الكريم فهي تفتح للإنسان طريق الفهم والفقه وتقرب منه وتيسر له ما تعسر عليه والله تعالى يقول:{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } [3].(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً)[4].إن الاستجابة لله والرسول هي حياة للمرء في كل أدواره وأحواله حياة لقلبه حين يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره حلوه ومره إنها تضيء له بصيرته فيمشى على هدى من الله ونور لا يتجن ب الحق ولا يرتكس في الشر ولا يخوض في الباطل :{ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [1].والذي يتجنب طريق الحق ويتخذ إله هواه يسدل على قلبه غطاء ولا يهتدي إلى خير ولا يسترشد إلى نور الله لأنه اختار لنفسه هذا الطريق :{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } [2] والله تعالى يقول :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [3].إن تطبيق العبادات وتنفيذ أحكام السماء وما جاء به الرسل وما نزل في كتبهم وما تهذب به النفس من تحقيق العبادة الصحيحة لتصل إلى مرتبة التقوى إنما تغمر المجتمع ببركات السماء وتوسع عليهم الأرزاق بدون حدود أو تصور فيهيىء الله السماء بالغيث والأرض

---

[1] - أي إنفاقه في الطاعات (شرح النووي على مسلم - مشكول (3/ 171).
[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1409، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 819.
[3] - سورة الأنفال29
[4] - سورة الطلاق4
[1] - سورة الحج46
[2] - سورة الإنسان3
[3] - سورة الأنفال24

بالإنبات وإخراج الثمار أما إذا كذبنا ما جاء به الرسل وأعرضنا عن تعاليم الله فإن الله ينزل علينا من النزلات والعقوبات مايكون به عبرة لكل جيل وهذا قول الله سبحانه : {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم }[1] .ويقول : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[2] إن العبادات الصحيحة تأخذ بيد المرأ إلى طريق الحياة الطيبة المفعمة [3] برغد العيش[4] وسعة الرزق ويضاعف لهم المثوبة عند لقائهم مع ربهم والله تعالى كريم يحب الكرم جواد يحب الجود وهو القائل {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[1] وما كانت دعوة الله للناس بأن يحجوا بيته ويؤدوا فريضة الحج ويقوموا بذبح نسكهم ذاكرين الله عليها شاكرين له أنعمه مقرين بفضله ونعمه فهم يأكلون من نسكهم ويطعمون البائس الفقير وأنهم بذلك يشهدون المنافع التي أعدها الله لهم بما قاموا نحوه من طاعة له {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [2].إن من العبادة الاستغفار وهو مفتاح الأرزاق المادية كما أنه مفتاح الأرزاق المعنوية فهو سبب من أسباب القوة والغيث من السماء {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ } [3] وهو سبب من أسباب مد الإنسان بالبنيي ن والمال والبساتين والأنهار: { فَقُلْتُ

---

[1] - سورة المائدة66
[2] - سورة الأعراف96
[3] - المفعَمَ (أي: المملوءَ) هو الوادي الذي جرى فيه السي، (البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص: 152) ،
[4] - رغد عَيْشٌ رَغْدٌ رَغِيْدٌ : رَفِيْهٌ (المحيط في اللغة (1/ 403، بترقيم الشاملة آليا)
[1] - سورة النحل97
[2] - سورة الحج27 ، 28
[3] - سورة هود52

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}[1]

أثر العبادات في حياة الفرد والمجتمع

منذ خلق الإنسان على وجه الأرض وهو ينظر إلى نفسه نظرة عجز وأنه في حاجة إلى قوة غير محدودة تعينه على ما يريد من حوائج عيشه ، فانحرف كثير من البشر في توجهه إلى ذلك المحتاج إليه ، فاتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويقدسونها في شتى صورها وأشكالها ، وتعددت الآلهة المزيفة بتعدد الأغراض والحاجات ، حتى أذن الحق جل جلاله بإرسال الرسل إلى البشرية لتهديها إلى الحق وتسلك بها أعدل منهاج وأبين سبيل فوجهوا الناس إلى الله الذي رفع السماء بلا عمد ، وبسط الأرض ودحاها ، وخلق الإنسان من سلالة من طين ، ونفخ فيه من روحه فجعله بشرا سويا وسخر لنا الشمس والقمر دائبين وسخر لنا الليل والنهار ، وإن أردنا تعداد نعمه وحصر آلائه فإن البحار لو كانت مدادا وأشجار الأر ض أقلاما لا تنتهي هذا المداد ونضبت البحار وتكسرت هذه الأقلام ولا استطعنا حصر نعم الله وإحصاءها وصدق الله العظيم إذ يقول :(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1].ويذكر أبناء آدم بالعهد الذي قطعه عليهم بألا يعبدوا غيره لأن غيره عدو مبين وأن عبادة الله وحده هو الطريق المستقيم والصراط الذي لاعوج فيه ولكن أنى لهم ذلك فقد توجهوا إلى غيره في صور شتى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }[2].وفى الحديث القدسي (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن

[1] - سورة نوح 10-12
[1] - سورة النحل 17-18
[2] - سورة يس60 -61

تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1]. والعمل الذي به قوام الحياة في كافه أوضاعه إذا كان مشروعا مما رسمه الله لعباده وما يسايِر فطره الإنسان،فهو من أعظم القربات التي يتقرب الإنسان به إلى ربه وصدق الله العظيم إذ يقول { وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[1].ويقول النبي ﷺ: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)[2] والعبادات في الإسلام تحقق المساواة بين الناس فالصلاة تضم الجميع متساويين في جنبات المسجد والصوم يشعر الناس فيه بمعنى العبادة موحدا ، والزكاة توزع على الفقراء والمحتاجين دون نظر إلى أجناسهم أو ألوانهم ، والحج يحتشد الناس له من كل فج عميق ليتحقق معنى المساواة في الجزاء والأجر والانتساب إلى أب واحد وأم واحده وفى الإنسانية في تحقيق تقوى الله عز وجل ولم يفرق بين ذكر وأنثى في ذلك وصدق الله العظيم إذ يقول {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً }[3] .ويقول {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2580، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج4:ص237.

[1] - سورة التوبة105

[2] -(صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 2072، وأورده أبو زرعة في طرح التثريب (ج3:ص1043.

[3] - سورة النساء124

وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } [1].وحقق الخلفاء الراشدون بعد رسول الله المساواة بين الناس فلقد جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبى موسى الأشعري قوله (فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك ، وأجلى للعمى .)[1]

والإسلام حرر البشر من العبودية لغير الله تبارك وتعالى فقد خلق الله الإنسان رأسه عمودية إلى السماء فلا تنكس لسوى الحق، ولا تخضع لغيره ، ولا يذل الإنسان نفسه إلا لمن بيده حياته ومماته وهو مصدر نعمه عليه أما إذا سمح لنفسه بالخضوع لغير الله والانحناء لبشر مثله فإن ذلك أشبه بالبهائم في تنكيس رأسها فقد خلقها الله مذللة لنا لنشكره على نعمه وآلائه وصدق الله العظيم إذ يقول {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ } [2] .والعبادات هي الترجمة العلمية لأداء واجب الشكر لله تبارك وتعالى قال تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

---

[1] - سورة النساء1

[1] - نثر الدر في المحاضرات ، اسم المؤلف: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي الوفاة: 421هـ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان - 1424هـ - 2004م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوط -نثر الدرر ج 2 ص 16

[2] - سورة الرعد15

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }[1] والعبادات لها أثر كبير في السلوك الإنساني وتنمية الضمير فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والزكاة تزكى النفس وتطهرها من الشح والبخل ، والصوم يربى النفس على الخلق الكريم وعلى تملك روائع النفس والتحكم في الغرائز ،والحج ينقى الإنسان مما علق به من آثام ويسلم أمره للخالق سبحانه .والعبادات لها أثر كبير في سعادة الفرد والمجتمع وهى مفاتيح الأرزاق المعنوية والمادية معا وقد وعد الله عباده بأنهم إن اتبعوا سبيله فأتمروا بأمره وانتهوا عن نهيه ليهيأ لهم كل ما يريدون ولأخرج لهم من الأرض ما يشتهون {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ }[2].{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[1].وفى الحديث القدسي (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يدك رزقا يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقرا وأملأ يدك شغلا)[2] وحدث في عهد عمر بن الخطاب قحط وجدب فخرج ليصلي صلاة الاستسقاء فأختفي عن القوم ثم عاد إليهم فقالوا له أين كنت ؟ فقال كنت أستسقي كم بمجاديح السماء قالوا – ومامجاديح السماء ؟ – قال – الاستغفار – فإن الله تعالى يقول : {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً .يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً } (نوح10–11)[3] وإن الله سيجيبني إلى ما طلبت. قال الراوي فما انتهى عمر من كلامه حتى أرسل الله سحابه غطت جنبات الوادي فأعدت وأبرقت وأنزلت مطرا كثيرا وما أحوجنا في هذا العصر المادي

---

[1] - سورة البقرة151

[2] - سورة المائدة66

[1] - سورة الأعراف96

[2] -(صحيح) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 2466، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 4107، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 8481، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 393، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج2:ص442)،(ج4:ص321)

[3] - مصنف عبد الرزاق ج 3 ص 87

الذي طغى على القيم الروحية أن تتفتح بصائرنا على هذه الحقائق فنهتدي بنور الله ، ونستضيء بتعاليم الإسلام ونقتدي بسيد الأنام سيدنا محمد ﷺ. اللهم إنك تعلم وما مرادي به وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وأوصلني إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين وقد أحببت رسولك وأصحابه وأهل الحق الذين قالوا بقول رسولك وفقنا الله للقول الصدق وان لا تزل أقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته والله المسئول أن يزيده مما أولاه أن يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين .

18- ألا يخجل أصحاب الهراء من القول الكاذب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع طريقته وسار على نهجه إلي يوم الدين ... أما بعد فقد اخترت عنوان هذه المحاضرة ألا يخجل أصحاب الهراء من القول الكاذب..في جريدة أخبار الخليج في العدد 6153- الصادر في يوم الجمعة 27 يناير سنه 1995 في الصفحة التاسعة نشر مقال لكاتب متقلب ومتلون وعلماني تحت عنوان (التنوير [1] في مواجهة دعاة الظلام[2]) إن كاتب المقال لم يدرس الإسلام حتى يحكم على علمائه بأنهم دعاة الظلام حين يقفون في وجه كاتب ملحد منحرف عن عقيدته لأنه تغذى ممن استمد منهم الفكر الهابط الذي يحارب الدين ولو عق د مقارنة بين الخرافة

[1] - (التنوير) وقت إسفار الصبح ويقال صلى الفجر في التنوير(المعجم الوسيط (2/ 962)
[2] -(الظلام) ذهاب النور(المعجم الوسيط (2/ 577)

والدين الحق وكان عن دراسته وبحث وتمحيص لما لا يستطيع أن يعيد لنفسه التوازن العقلي والفكري .إن الإسلام حين جاء به محمد أحال البلاد المظلمة إلى شموس مشرقة من العلم والمعرفة وقد نشط العلماء كافة في ميادين العلم والأدب والفلك والطب والفلسفة وكل ما يتطلبه الفكر الإنساني من علوم ومعارف.إن العلمانية التي هي حرب على الدين لم تستطع هزيمة لأن الدين له جذور عميقة في قلوب معتنقيه وهو دين الفطرة وخاصة الدين الإسلامي . فهو ليس فيه خرافة ولا أساطير وليس علماء الإسلام له السيطرة على الفكر والعقل أو رجا ل الأكليروس . لقد جاء الإسلام ليحرر العقل فأنتج أبناؤه وعلماؤه الضالعون في العلم والمعرفة تراثا حضاريا لا تزال علماء الغرب يعترفون بفضل الحضارة العربية في الأندلس .وما ذل ك إلا لأن الإسلام حضهم على العلم وطلب تحصيله وأنهم كانوا يقطعون على أرجلهم أو ركائبهم وجه الأرض للبحث عن حديث واحد يتأكدون من صحته وقد قال الأستاذ (ليبيرى) : (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون)[1].لقد ابتلينا بفريق ممن ينتسبون إلى الأمة العربية والإسلامية . المتصفحين لعناوين الصحف وفهارس الكتب وكل مقوماتهم سنوات يقضونها في انسلاخ تام عن ماضي أمتهم وحاضرها .في نفوسهم هزيمة التراث وعلى رؤسهم قبعة الغالب , وبين أيديهم كتاب الأجنبي غثا أو سمينا , وعلى ألسنتهم رطانة [2] الأعاجم.أما الباحثون المنضجون والعلماء المطلعون على التراث العالمي في مختلف أوجه نشاطه , والحضارة الإنسانية في شتى ميادينها فإنهم يشهدون بأسبقية أمتنا في ميادين العلم وجدارتها في تبوئها أسمى مكانه وأعلى منزلة .لقد نبغ في ظل تعاليم الإسلام علماء من كل جنس ولون .لا فضل لأحد منهم إلا بتقواه لله

[1] - ص25 من كتاب اسلامنا لفضيلة الشيخ السيد سابق
[2] -(رطن)الأعجمي رطانة تكلم بلغته وفلان تكلم بالأعجمية وله رطنا ورطانة كلمه بها أو كلمه بكلام لا يفهمه (المعجم الوسيط (1/ 352)

وعلمه كجابر بن حيان في علوم الكيميا ء . وابن الهيثم في الحساب والجبر والقابلة والهندسة والمثلثات وحساب المعاملات وله كتب في الفلك, والطبيعيا ت , وفى المناظر (البصريات) خاصة, وفى الجغرافيا , والطب , والصيدلة , وفى المنطق والفلسفة, وعلم الكلام , وفى السياسة والأخلاق والأدب وعلم الضوء ومع ذلك فلم تكن هناك خصومة بين العلم والدين كما يزعمة أصحاب التنوير لأن الإسلام يحض على العلم والمعرفة ويقول الكتاب الكريم : {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }[1]وقوله {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }[2] ,وقوله تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[3] ويقول الله تعالى(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ *وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)[1].وقد قال ابن الهيثم (وبعثت عزيمتي إلى تحصيل الرأي المقرب إلى الله جل ثناؤه المؤدي إلى رضاه الهادي لطاعته وتقواه فكنت كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البرء يخاطب تلميذه لست أعلم كيف تهيأ لي منذ صباي أم شئت قلت باتفاق عجيب وإن شئت قلت بإلهام من الله إلى أن قال : واشتهيت إيثار الحق وطلب العلم واستقر عندي أنه ليس ينال الناس من الدنيا أشياء أجود ولا أشد قربة إلى الله من هذين الأمرين يعنى (إيثار الحق وطلب العلم) [2] وفى ظل تعاليم الإسلام خرج الخوارزمي والعالم مدين له بعلم الحساب وعلم الجبر والعوامل التي شجعت الخوارزمي على التأليف والإبداع رعاية الإسلام له حيث يقول في مقدمة كتابه الجبر والمقابلة (قد شجعني المأمون أمير المؤمنين

---

[1] - سورة الذاريات21
[2] - سورة عبس24-32
[3] - سورة محمد24
[1] - سورة الغاشية 17-19
[2] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، اسم المؤلف: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي الوفاة: 668هـ ، دار النشر : دار مكتبة الحياة - بيروت ، تحقيق : الدكتور نزار رضا-ج 1 ص 552

على أن ألفت من حساب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليلة لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم , وفى جميع ما يتعاملو ن به بينهم من مساحة الأرض, وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه)[1] وابن الشاطر . أول من خَطَّأَ نظرية بطليموس التي تقول أن الأرض هي مركز الكون وأشار إلى أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس [2]. تظهر إسهامات ابن الشاطر في ابتكاره لكثير من الآلات وقد شهد بعبقرية ابن الشاطر : (جورج سارتون) [3]في كتابه (المدخل لتاريخ العلم) . وكان العالم كله في عهد ابن الشاطر يعتقد بنظرية دوران الشمس حول الأرض ، ولكن الأرصاد التي قام بها ابن الشاطر أثبتت فساد هذه النظرية وأثبت أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وأن القمر يدور حول الأرض. وقد نسب هذا الاكتشاف – خطأ وظلماً – للعالم البولندي (كوبرنيكوس) الذي تقدَّمه ابن الشاطر بعدة قرون.وسبق ابن الشاطر كوبرنيكوس في نقض وتصحيح نظرية بطليموس بمئتي عام، ونشر ذلك في كتابه "*نهاية السؤال في تصحيح الأصول*."، وهي من أهم نظرياته العلمية، وكان بطليموس يرى أن الأرض مركز الكون والشمس والأجرام السماوية تدور حولها، ويقول ابن الشاطر في ذلك:) إذا كانت الأجرام السماوية تسير من الشرق إلى الغرب، فالشمس أحد هذه الكواكب تسير، ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها؟ وأشد من ذلك أن هناك كواكب تختفي وتظهر، سموها الكواكب المتحيرة، لذا الأرض والكواكب المتحيرة تدور حول الشمس بانتظام، والقمر يدور حول الأرض).وقد توصل كوبرنيكوس إلى هذه النتيجة –التي تنسب إليه– بعد

---

[1] - تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ عن كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى

[2] - التأريخ و الوفيات - 16صفحة - عامودان (ص: 20)

[3] - جورج سارتو :صيدلي ومؤرخ بلجيكي يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم وُلِدَ بمدينة خنت ببلجيكا في 31 أغسطس 1884؛ تَخرّجَ بالجامعةِ في عام 1906 وبعد سنتين استحق ميدالية ذهبية لبحث قدمه في الكيمياء؛ إستلمَ شهادة الدكتوراهَ الفلسفية في الرياضياتِ من جامعة (Ghent) في 1911؛ وهو متخصص في العلوم الطبيعية والرياضيات؛أبرز إنتاجه) المدخل إلى تاريخ العلم (وهي بحجمِ ثلاثة مجلدات 4,236 صفحة، وله 15 كِتابِ آخرِ وأكثر من 300 مقالةِ بهذا المجال.

ابن الشاطر بقرون .الحق أن كوبرنيكس لم يفعل أكثر من سرقة مجهودات أعمال ابن الشاطر فقد وجد أن غالب النماذج الرياضية و الهندسية التي وضعها كوبرنيكس مطابقة تمام المطابقة لنماذج ابن الشاطر و زيجاته و لم تغير فيها إلا الحروف العربية باللاتينية و تم اثبات ترجمة كتب ابن الشاطر بل و وجودها في أسواق الكتب بالبندقية قبل تأليف كوبرنيكس لكتابه [1]. وفى ظل تعاليم الإسلام خرج البيروني ليحل أعمالا تعرف بمسائل البيروني منها قسمة الزاوية ثلاثة أقسام متساوية وحساب قطر الأرض , وذكر أن سرعة النور أعظم من سرعة الصوت كثيرا وتكلم البيروني عن كروية الأرض وعن دورانها على محورها من غير أن يصل إلى نتيجة حاسمة , وعرف تعيين خطوط الطول والعرض [2] .فهل كانت هناك خصومة بين العلم المؤمن والإيمان البصير كما يدعى أصحاب التنوير أن الإسلام ليس فيه رجال دين أو رجال إكليروس يضعون من الآراء والنظريات ما لا سبيل إلى مناقشته أو الخوض فيه حيث يعلنون لأتباعهم دون حوار : (أي رجال الدين الكنسي) لا حكم مع الدين , لا سياسة مع الدين , لا عقل مع الدين . وإنما في الإسلام رجال علم وفقهاء دين , آراؤهم الخاصة بهم عرضة للخطأ والصواب قابلة للمناقشة والحوار حتى يصل المسلمون عبر ذلك إلى الحق الذي ينشدون , والعلم الذي يبتغون والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .إن العلم قام في ظل الإسلام في أجواء من الألفة والود والانسجام التام الذي ما عرفت البشرية مثلها على اختلاف عصورها وتباين أنظمة الحكم منها فلم تكن هناك خصومة بين العلم والدين لأن الدين يحض على العلم ويحث على استخراج ما في بطون الأرض وأعماق البحار من كنوز وثروات والإسلام لم يسو بين العالم والجاهل ولعل

---

[1] - أرشيف ملتقى أهل الحديث - 2 (11/ 46)
[2] - تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ.

كاتب المقال حين جعل خصومة مشتعلة الأوار[1] بين أهل التنوير من العلمانيين ودعاة الظلام الحارسين لدين الله ؟ ولم يعرف عن الإسلام شيئا وأود أن أقول هناك قواعد أصولية في العقيدة والفقه وهو أن النصوص القطعية للدلالة والثبوت وحي من الله تعالى لرسوله وهى ثابتة لا تتطور كما يفهم العلمانيون لأن ذلك وحي فوق مستوى العقل والمعرفة اللتين في حدود تصور البشر وأخيلتهم وقد ذكر كاتب المقال أمثلة لمن قدموا أبحاثهم أو خرجوا على الناس بفكر مستورد يهاجمون به العقيدة والدين هذا لا يمك ن أن يقوم إن الدول تضع دساتيرها وقوانينها لكي تضبط بها مسيرة حكمها فإذا ما خرج على دستور الأمة أو الدولة من يريد الثورة على أنظمتها فإن أعراف العالم في القوانيين الدولية يعتبر خارجا على نظام الأمة فيقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى وينتهي به إلى الإعدام والإسلام وضع ضوابط لمن يخرج عليه لكن لا يحس بهذه القوانين لحمايته إلا في ظل دولة تطبق هذا القانون وهو قانون الردة والتكفير والتفسيق من الأمور التي يجب أن لا يتعجل فيها المفتي؛ إذ لا يستحقها إلا من أنكر ما علم من الدين بالضرورة، وقامت عليه الحجة، وانقطع عذره، كما هو معلوم في موضعه[1].

وقد وضع العلماء القواعد الأساسية للخروج على الدين وذلك من أمثلة وضعت لتحديد المرتد عن الإسلام وهى ضوابط لا يجو ز لأي إنسان أن يجتهد في تحويرها حسب هواه فالأمثلة الدالة على الكفر والارتداد هي : -

1 -إنكار ما علم من الدين بالضرورة مثل إنكار وحدة الله , وخلقه العالم , وإنكار وجود الملائكة وإنكار نبوة محمد ﷺ , وأن القرآن وحى من الله , وإنكار البعث والجزاء وإنكار فريضة الصلاة والزكاة والصيام والحج .

---

[1] - وهو الحر الشديد(إكمال الإعلام بتثليث الكلام (2/ 575)

[1] - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: 141)

2 - استباحة ما حرمه الله ورسوله وأجمع المسلمون على تحريمه – كاستباحة الخمر والزنا والربا وأكل الخنزير واستحلال دماء المعصومين وأموالهم .

3 - تحريم ما أجمع المسلمون على حله كتحريم الطيبات .

4 - سب النبي محمد عليه الصلاة والسلام أو الاستهزاء به وكذا سب أي نبي من أنبياء الله

5 - سب الدين والطعن في الكتاب والسنة وترك الحكم بها وتفضيل القوانين الوضعية عليها .

6 - ادعاء فرد من الأفراد أن الوحي ينزل عليه .

7 - إلقاء المصحف في القاذورات وكذا كتب الحديث استهانة بها واستخفافا بما جاء فيها .

8 - الاستخفاف باسم من أسماء الله أو أمر من أوامره , أو نهى من نواهيه أو وعد من وعوده إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام , ولا يعرف أحكامه , ولا يعلم حدوده – فإنه إن أنكر شيئا منها جهلا به لم يكفر .[1]

قال ابن رشد لا يحكم على أحد بالكفر إلا من ثلاثة أوجه وجهان متفق عليهما والثالث مختلف فيه . فأما المتفق عليهما فأحدهما أن يقر على نفسه بالكفر بالله تعالى، والثانى أن يقول قولا قد ورد السماع وانعقد الاجماع أن ذلك لا يقع إلا من كافر، وإن لم يكن ذلك نفسه كفرا على الحقيقة وذلك نحو استحلال شرب الخمر وغصب الأموال وترك فرائض الدين والقتل والزنا وعبادة الأوثان والاستخفاف بالرسل وجحد سورة من القرآن وأشباه ذلك مما يكون علامة على

---

[1] - الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش) القرافي (1/ 222) (1/ 224) (4/ 258) (4/ 260)شرح تنقيح الفصول (2/ 391)الذخيرة (2/ 482)شرح مختصر خليل (8/ 62)شرح زاد المستقنع للشنقيطي (395/ 8، بترقيم الشاملة آليا)الفقه الإسلامي وأدلته (1/ 86)الموسوعة الفقهية الكويتية (35/ 19)فقه السنة (2/ 454) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: 140)فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (1/ 98) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (2/ 11) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (2/ 21)فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت (4/ 16) فتاوى دار الإفتاء المصرية (6/ 60)

الكفر وإن لم يكن كفرا على الحقيقة، والثالث المختلف فيه أن يقول قولا يعلم أن قائله لا يكنه مع اعتقاده والتمسك به معرفة الله تعالى والتصديق به، وإن كان يزعم أنه يعرف الله تعالى ويصدق به .وبهذا الوجه حكم بالكفر على أهل البدع من كفرهم، وعليه يدل قول مالك فى العتبية ما آية أشد على أهل الأهواء من هذه الآية {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ }آل عمران106 ،[1]

عقوبة المرتد في الإسلام : –

إن الارتداد جريمة من الجرائم التي تحبط ما كان من عمل صالح قبل الردة وتستجوب العذاب الشديد في الآخرة لقول الله تعالى :(وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2].أي أن من يرجع عن الإسلام إلى الكفر ويستمر عليه حتى يموت كافرا فقد بطل كل ما عملهـ من خير وحرم ثمرته في الدنيا فلا يكون له ما للمسلميـن من حقوق وحرم من نعيم الآخرة وهو خالد في العذاب الأليم وقرر الإسلام عقوبة معجلة في الدنيا للمرتد فضلا عما توعده به من عذاب ينتظره في الآخرة وهذه العقوبة هي القتل والذي يقوم به هو ولي الأمر فلو قتلـهـ مسلم من المسلمين لا يعتبـر مرتكبا جريمة القتل ولكن يعزر لافتياتـهـ[1] على الحاكم وجريمة التضرير واسعة .فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (من بدل دينه فاقتلوه)[2]. وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله عليه وسلم قال (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث:

---

[1] - فتاوى الأزهر (6/ 60)

[2] - سورة البقرة – 217

[1] – أي لسبقه على رأي الإمام ، وحقيقة الافتيات الاستبداد بالرأي وهو افتعال من الفوت وهو السبق(العناية شرح الهداية (7/ 467).

[2] - (صحيح) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 3017,6922، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1458، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4351، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 4059,4060,4061,4062,4063,4064,4065، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2535، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 2547,2548,2960,21509، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 4475,5606،.

الثيب الزاني , والنفس بالنفس , والتارك لدينه المفارق للجماعة)[1]إن المرتد عن الإسلام انتقل من النور إلى الظلام ومن السمو إلى الانحطاط في الدركات, والإسلام في حاجة إلى حمايته فالمرتدون خارجون عليه ثائرون على نظمه والثورة عليه ليس لها جزاء إلا الجزاء الذي اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة .إن أي إنسان في أي دولة من دول العالم إذا خرج على نظام الدولة فإنه يتهم بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الإعدام .فالإسلام في تقرير عقوبة الإعدام للمرتدين منطقي مع نفسه ومتلاق مع غيره من النظم.والذي كتب المقال في جريدة أخبار الخليج لم يقرأ ما ورد عن أصحاب الكتب الذين نشر أسماءهم في الجريدة اعتبرهم أهل التنوير , وأن الذين يعترضون عليهم انحرفوا عن عقيدتهم هم أهل الظلام وقد ساوى بين علماء الإسلام ورجال الدين الكنسي في أوروبا وهذا خطأ كبير فلم يقل عالم مسلم إن من يقول بكروية الأرض انحرف عن القرآن أو الدين .وقد قلنا أن البيروني وهو من علماء المسلمين قرر هذه النظرية .كما أن أول رجل وضع علم الاجتماع هو ابن خلدون المسلم ويقول في مقدمة الذي قدمها إلى الدنيا بل إلى العالم أجمع :(**ونحن ألهمنا الله إلى ذلك الهاماً وأعثرنا على علم جعلنا سِنَّ بَكْرِه[1] وجُهَينة[2] خبره. فإن كنت قد استوفيت مسائله، وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه، فتوفيق من الله وهداية. وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبهت بغيره مسائله، فللناظر المحقق إصلاحه، ولي الفضل لأني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق. والله يهدي بنوره من يشاء.**)[3] وحقا إنه من تواضع العلماء الذين يحيون في رحاب

---

[1] -(صحيح) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1678، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1402، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4352، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 2534، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم 2298,2447، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 3614,4055,4233، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 5977.

[1] - هذا مثل يُضرب للصَّادِق في خبَره ويقوله الإنسانُ على نَفْسه وإن كان ضارّاً له(النهاية في غريب الأثر (2/ 1022، بترقيم الشاملة آليا)

[2] - "عندَ جُهَيْنَة الخَبَرُ اليَقِينُ". يُضْرَبُ فى مَعْرِفَة الشَّىء على وَجْه الحَقِيقَة(بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (38/ 11)

[3] - مقدمة ابن خلدون (ص: 4، بترقيم الشاملة آليا)

الإيمان وميادين البحث التي لا يص ل إليها كل الهاربين من ذاتهم وتراثهم وأمجادهم المشرفة الساحقة وخرج في ظل تعاليم الإسلام الرازي , وابن سينا الذي أعلن أن علماء الإسلام كانوا حربا على الدجل والشعوذة ويرد به على النجمين الذين يربطون أحوال النجوم في الفضاء بأحوال العباد على الأرض فيقول في كتابه رسالة في إبطال أحكام النجوم (ليس على شيء مما وضعوه دليل ولا يشهد د على صحته قياس وقد أخذوه تقليدا من غير برهان ولا قياس) فمن الخطأ في قاموس العلمانية والعقلانية والمادية أن تخلط بين روح الإسلام الداعية إلى العلم والبحث والتفكير والإبداع وبين روح الكنسية في قرونها المظلمة وأيامها الحالكة, وجهالتها المفرقة على يد رجال الأكليروس الذين يعطون لآرائهم وأفكارهم وملصقاتهم الخاصة من القداسة والنزاهة ما يعطى لأقوال السيد المسيح عليه السلام .وقد ذكر الكاتب أمثلة من الرجال أصحاب التنوير حين أخرجوا كتبهم وقام في وجوههم العلماء والفقهاء ولعلي أرد عليه بمقدار ما عرفت ولكن أعيده إلى الكتب التي ردت عليهم فقد قالوا في الأمثال – إذا جاءك الخصم يشكو أن عينه قد قلعت فاستمع إلى الطرف الآخر فلعل عينيه قد قلعتا .وكان من الإنصاف أن يقرأ للطرفين وسنجد أن الطرف المعترض بلا شك أكثر علما وأوسع أفقا .لقد حاول المستشرقون وكل من مشى على خطواتهم أن يستخدمو مع القرآن الكريم النقد العالي مع النقد السفلي أو النصي ويتعاملوا بالنقد العالي مع نص الذي أستخدم مع الكتاب المقدس على أساس أن الكاتبين كانوا بشرا في عصر معين وأصحاب أغراض بشرية مختلفة، وليس كنص إلهي معصوم عن الخطأ. ويستخدم النقد النصي لتفسير النصوص الكتابية على أساس الأدلة داخل النص فقط. والنقد التاريخي أو النقد الأعلى

فرع من التحليل الأدبي الذي يحقق في أصول النص، وعند استعماله في الدراسات الكتابية فهو يحقق كتب الكتاب المقدس. وفي الدراسات الكلاسيكية يركز النقد العالي الحديث في القرن التاسع عشر على الجمع النقدي والترتيب الزمني لنصوص المصادر..ويعتقد أن أول من درس الكتاب المقدس في ضوء النقد العالي شخصية *ابن حز[1]م النقدية* ، وذلك من خلال نقده للتوراة ....فقد غطت العملية *النقدية* كل اتجاهات *النقد* الرئيسة وأهمها *النقد النصي* والمصدري.ولب *نقد ابن حزم* الذي كان فاتحة علم مقارنة الأديان والنظر ..... بأن *ابن حزم* استخدم في نقده هذا أفضل المناهج الفيلولوجية، وأدق مناهج المقارنات *النصية* وقد سبق علماء اوربا بأربع قرون إذ يعد من تكلم في النقد الأعلى الباحث الهولندي دسيدريوس إراسموس (1466؟ – 1536)وهذا العلم فيه الكثير من علم الحديث وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ونقد ومقارنه النصوص بغرض للوصول للنص الأصلي وقد حاول المستشرقون استخدام نفس المنهج مع القرآن ويقوم هذا المنهج على.

أولًا: الدراسة النقدية العليا (النقد الأعلى) :

(1) لا بد للباحث أن يستخدم قاعدة الشك المنهجي ، فلا يجزم بشيء يتعلق بالراوي إلا بعد التثبت من ذلك بأسباب قوية.

(2) فيما يتعلق بالراوي لا بد من الإجابة عن هذه الأسئلة.من الراوي، وما سيرته وأخلاقه، وما غايته؟متى كتب كتابه ، وفي أي وقت ، ولمن كتب؟مدى تحقق شروط العدالة الأخلاقية والضبط العلمي فيه، فإن وجد نقص في أيهما انتفت الصحة من الرواية.

(3) دراسة البيئات السياسية والاجتماعية والأحداث التاريخية والصراعات العقدية ، ومدى انعكاسها على الكاتب وبالتالي على النص.

---

[1] - (ولدفي 30 رمضان 384هـ / 7 نوفمبر994م.قرطبة – وتوفى 28 شعبان456هـ - / 15 اغسطس1064م)

(4) كيف جمع النص أولًا وما الأيدي التي تناولته ، وما النسخ التي اشتمل عليها؟[1]

ثانيًا: النقد الأدنى (ويشبه النقد الداخلي في مناهج الدراسة الأدبية):

(1) وجوب دراسة لغة ما يسمى الكتاب المقدس (العبرية) لفهم المعنى المقصود دون تدخل من المترجمين.

(2) لا يؤخذ النص ككل بل يحلل إلى أجزاء ويدرك كل جزء على حدة.

(3) تجمع العبارات في أقسام رئيسة وتفرز العبارات الواضحة من العبارات المبهمة والمعارضة لفظيًا، مع تطبيق قاعدة الحقيقة والمجاز اللفظي لا المعنوي في شأن هذه العبارات.

(4) التحليل الداخلي الدقيق للنص للعثور على الأخطاء والاختلافات والتناقضات مثل:

أ- الأخطاء الطبيعية والرياضية.

ب- أن يذكر الحديث في أكثر من موضع بشكل مختلف من حيث تحديد الزمان والمكان والعناصر زيادة كانت أو نقصًا.

ج- إثبات شيء في موضع ونفيه في موضع آخر.

د- ذكر قاعدة شرعية في موضع ونفيها في موضع آخر.

هـ- ورود لفظ لا يمكن أن يكون قد استعمل بهذه الدلالة إلا في عصور لاحقة.

و- تباين الأسلوب الأدبي بين أجزاء النص.[1]

القرآن وقواعد النقد الأعلى والأدنى:

وكانت أول محاولة لتطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى على القرآن الكريم هي ما قام به المستشرقون في شأن ترتيبه حسب النزول . وقد توسع المستشرق

---

[1] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص: 9)

[1] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص:10)

الألماني تيودور نولدكه في دراسة النص القرآني لترتيبه زمانيًّا حسب نزوله، فاتجه إلى تقسيم السور المكية من القرآن الكريم إلى ثلاث فترات يتميز أسلوب النص القرآني في كل منها عن الآخر، كما يزعم.وقد أدرك عدد من كبار المستشرقين عدم جدوى تطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى على النص القرآني .
يقول المستشرق الإنجليزي آربري في ذلك:
" أنا ألحّ على الرأي القائل بأن عملًا خالدًا كالقرآن لا يمكن أن يفهم بصورة أحسن لو أخضعناه لتجربة النقد الأدنى، إنه أمر خارج عن الموضوع أن تتوقع أن المواضع المطروحة في السور المستقلة سوف تنظم بعد عملية إحكام رياضي بعض الشيء لتشكل نموذجًا منطقيًّا.إن منطق الوحي ليس منطقًا مدرسيًّا ، فليس هناك " قبل" وبعد" في رسالة النبي، عند ما تكون هذه الرسالة صادقة فإن الحقيقة الدائمة لا يمكن أن تحصر داخل إطار زمني أو مكاني، ولكن كل لحظة تعرض نفسها بشكل كلي مطلق" .وإلى هذا الرأي نفسه يذهب المستشرق السويدي" تور أندريه " صاحب كتاب: " محمد : حياته وعقيدته " ، فقد عارض هذا المنهج العقيم الذي سلكه بعض المستشرقين في البحث، مبينًا أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية. ومهمة الباحث – في رأيه – أن يدرك في نظرة موضوعية كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصيلة تنبض بالحياة.[1]
لقد ألمح كل من آربري وتورأندريه ، فيما نقلناه عنهما بالفقرتين السابقتين ، إلى عيوب تطبيق منهج النقد الأعلى والأدنى على دراسة النص القرآني ، وحصرا تلك العيوب في طريقة تحليل النص إلى أجزاء صغيرة وفق أصول الكم الرياضي والكيف المنطقي والترتيب الزماني، وتنبّها إلى أن النص القرآني يعلو

[1] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص: 11) (ص: 12) (ص: 13)

على هذه المعايير كلها، وهذا كله حق بلا جدال.لكن الملاحظ أن أحدًا من هذين المستشرقين الكبيرين لم يشأ أن يعترف صراحة بالحقيقة الجوهرية والنقطة المبدئية في الأمر كله ، وهي أن تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم فاسد من كل الوجوه، لأنهم يدرسونه لا باعتباره وحيًا إلهيًّا وكتابًا منزلًا من عند الله بل باعتباره نصًّا تاريخيًّا من صنع بشر، ومن تأليف محمد ﷺ، فمنهج النقد الأعلى والأدنى إن صح تطبيقه في دراسة العهدين القديم والحديث مما يسمى الكتاب المقدس ، بل وفي سائر النصوص التاريخية التي هي نصوص بشرية، فلا يصح تطبيق معاييره على نص ينتمي إلى مجال آخر وميدان مختلف غير المجال البشري المحدود. ومن هنا يتبين لنا فساد المنهج الذي يطبقه المستشرقون في دراساتهم القرآنية من حيث المبدأ. [1] وقد أطلق علماء نقد ما يسمى الكتاب المقدس على هذا المنهج اسم: النقد الأعلى والأدنى. ويبدو أن هذا النجاح قد أغرى المستشرقين المشتغلين بالدراسات الإسلامية على تطبيق المنهج نفسه على القرآن الكريم ، لعلهم يحققون به مع القرآن نتائج مماثلة لما حققها نقاد ما يسمى بالكتاب المقدس. [1] ولكن منهج النقد الأعلى والأدنى إن صح تطبيقه في دراسة ما يسمّى الكتاب المقدس وفي سائر النصوص التاريخية – التي هي نصوص بشرية – فلا يصح تطبيقه على نص إلهي ينتمي إلى مجال موضوعي مختلف غير المجال البشري المحدود.ومن ثم كان تطبيق هذا المنهج فاسدًا إذا ألزمهم من حيث المبدأ النظر إلى كتاب الله العزيز على أنه من صنع بشر، ففسدت النتائج التي توصلوا إليها بفساد المقدمة.[2] لقد حاول كل من طه حسين وفرج فوده ونصر ابو زيد والسيد القمي وخليل عبد الكريم إستخدام نفس المنهج .

---

[1] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص:14)
[1] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص:71)
[2] - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم (ص:72)

بالنسبه **لطه حسين** فقد كان لدعوته للعامية صدى واضحاً لكتابات المستشرقين وفي سنة 1926م أصدر طه حسين كتابة (في الشعر الجاهلي) الذي أنكر فيه القصص القرآني وبعض الأنبياء وأنكر فيه وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[1] وتأكيده أنهما لا يعدوان أن يكونا مجرد شخصيتين أسطوريتين، على الرغم من أنَّ القرآن الكريم قد أشار إليهما وتحدث عنهما وقد جاء في ص26 منه: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا أيضاً ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي"[2] ويقول في نفس الصفحة " .. فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب والمستعربة فيها، ونحن مضطرون إلى أن ترى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى، والقرآن والتوراة من جهة أخرى[3]... وقد رد عليه فضيلة المرحوم الشيخ الخضر حسين في كتابه "نقد كتاب الشعر الجاهلي" وهو مؤلف قيم رد فيه على طه حسين في كتاب "الشعر الجاهلي"، وقد كان لهذا النقد وقع عظيم في الأوساط العلمية والدينية، وهو مطبوع., ورد عليه أيضا أديب عصره دون منازع صاحب وحي القلم وإعجاز القرآن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي والذى قال فيه الأدباء إنه جاحظ عصره رد عليه في كتابه تحت راية القرآن. قال الأستاذ محب الدين الخطيب– وهو يتحدث عن طه حسين وقيمة بحوثه العلمية– " ويقال: إن الدكتور طه، رجع عن هذا اللغو، أو تاب من هذا الكفر ". وليس ذلك ما نهتم له. و!إنما الذى يعنينا إماطة اللثام عن مصادر هذا الزيغ من البحوث التافهة التى يسطرها أمثال "مرجليوس" و "جولد تسيهر". وهذا كتابه فى الشعر الجاهلى بين أيدينا، ألم يقل لنا فيه (ص 26) أن حادثة إبراهيم وإسماعيل أسطورة، ولو تحدثت عنها التوراة، أو جاء

---

[1] - موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1 - 29 (68/ 82)
[2] - ((ذيل الملل والنحل)) محمد سيد الكيلاني (ص 48) عن ((في الشعر الجاهلي)) طه حسين.
[3] - ((ذيل الملل والنحل)) محمد سيد الكيلاني (ص 84) عن ((في الشعر الجاهلي)) طه حسين.

بذكرها القرآن؟ وعنده أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوها. وهو يرى فى اختراعهم لها نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب، وبين الإسلام واليهودية، وبين القرآن والتوراة. ثم عاد فى (ص 29) فقال: "إن هذه القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام ". وسواء أكان ارتكاب اليهود هذه الجريمة قبيل الإسلام، كما قرر هذا العلامة المحقق الجليل فى (ص 29) من كتابه، أو كان عملهم هذا بعد نزول القرآن احتيالا على إثبات الصلة بين الإسلام واليهودية كما ذكر قبل ذلك، فإن النتيجة واحدة، هى أن أسطورة " إبراهيم " عند أستاذنا طه حسين من سيئات اليهود، وقد جرؤت عليها طائفة منهم كانت قد استوطنت بلاد العرب، وهذه الأسطورة غير مأذون لها أن تدخل إلى دائرة التاريخ، وإن شفع لها التوراة والزبور والإنجيل والقرآن!! ونحن إذا رجعنا إلى التوراة نجدها تتحدث عن إبراهيم وإسماعيل، وبنى إسماعيل فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين، وفى الإصحاح الأول من أخبار الأيام الأول. وهذان الموضعان من التوراة– ولا سيما أولهما– من أقدم أسفارها، لأنه معاصر لموسى عليه السلام. فهل يتفضل الأستاذ طه حسين علينا وعلى العلم فيخبرنا كيف تسنى لهؤلاء الدساسين من اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب أن يدسوا هذه الأسطورة قبيل الإسلام، أو بعيد الإسلام فى أسفار منسوبة إلى عصر أقدم من الإسلام بأزمان كثيرة، وكثيرة جدا!؟ كيف دسوا هذه الدسيسة فى التوراة وهم فى يثرب أو فى خيبر أو فى غيرهما من بلاد العرب، ولم يشعر بهم سائر يهود الدنيا؟! أم تراهم فعلوا ذلك بتواطؤ اتفق جميع اليهود عليه احتيالا على إثبات الصلة بين اليهود والعرب، وبين الإسلام واليهودية، وبين التوراة والقرآن ..؟ ص _ 032[1] في الحقيقة استنساخ لآراء مرجليوث حول الشعر الجاهلي في مقاله "أصول الشعر العربي" و حاشية كتبها الدكتور طه حسين

[1] - دفاع عن العقيدة والشريعة (ص: 28) (ص: 29)

على نص هذه المقالة[1] مرجليوث: إنجليزي متعصب ضد الإسلام ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق ومن كتبه (محمد ومطلع الإسلام) وهو من أوائل من شكك في الشعر الجاهلي، وتأثر به طه حسين بعد ذلك. سلك الدكتور طه حسين طريقا مظلما استنتج على أساس الشك فكان عليه أن يسير على مهل و تؤدة أو أن يكون محتاطا في سيره حتى لا ينحرف؛ لكنه أقدم غير محتاط فكانت النتيجة غير محمودة و استنتج بدون أي أصول و أي أساس منطقي و كانت النتيجة على أصول الشك[2] وأول من تناول موضوع الانتحال شيخ المستشرقين الألماني تيودور نولدكه سنة 1861 أي قبل طه حسين بـ 65خمسة وستين عاماً.[3]ولقد كتب طه حسين مقالا في أحد المجلات سنه 1936 وكنت آنذاك أحفظ القرآن كتب في هذا المقال يطلب من أبناء مصر أن ينبذوا القرآن ويتركوه ولا يقبلوا عليه وقد دعا طلبته في كلية الآداب إلى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً، وأثار الشبهات حول كلمة كتاب وقرآن، وقال إنَّ الكتاب غير القرآن، وأنَّه كان موجوداً قبل نزول القرآن، وإنَّ القرآن صورة عربية منه، وأنَّه أخذ صوراً من الكتب التي قبله، ويقول: "إنَّ هناك قرآناً مكياً له أسلوب، وقرآنا مدنياً له أسلوب آخر، وإنَّ القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق، أمَّا القسم المدني فيمتاز بمناقشة الخصوم بالحجة الهادئة، وهذا القول هو ما يردده المستشرقون، وفي مقدمتهم المستشرق اليهودي البريطاني دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه "مقدمة الشعر الجاهلي" الذي ترجمه الدكتور طه حسين ونسبه إلى نفسه، مسمياً كتابه " الشعر الجاهلي"، والذي قال فيه بخلق القرآن، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما وجد اعتراضاً على ذلك.[1]وقام عليه هيئة كبار العلماء

---

[1] - الختارين (ص: 127)
[2] - الختارين (ص: 152)
[3] - الختارين (ص: 182)
[1] - موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1 - 29 (24/ 227)

في الأزهر وهيئة كبار العلماء كان لها رنينها حيث تكونت من ثلاثين عالما ولا يرشح لهيئة كبار العلماء إلا إذا قدم رسالة في بحث وناقشته الهيئة فإن نجح أنضم إليها.أليس إنكار ما جاء في القرآن من القصص أو الشك فيه ارتدادا عن الإسلام بالإضافة إلى أنه كان يحض أبناء مصر على نبذ القرآن وطبعا هذا المقال قرأه علي المرحوم والدي وكان محاميا والقرآن حق فماذا بعد الحق إلا الضلال , والقرآن نور فماذا بعد النور إلا الظلام ولقد كان أستاذي المرحوم الدكتور أحمد الشرباصي يدرس لنا الأدب الجاهلي وتعرض لكتاب طه حسين وجعل يذم فيه والدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله كان محدثا وخطيبا وكاتبا وناقدا وكان لسانه إذا تكلم تشعر بالأدب العربي من مصدره الذي يثير في الإنسان عوامل القوة والحمية على دينه ووطنه وعرضه وإنسانيته على أن طه حسين رسب في امتحان شهادة العالمية في الأزهر ولم ينلها فكيف به حين وضعه العلمانيون في مصاف الأساطير ؟ وغيره كالعقاد أكفأ منه. " إن طه حسين حينما أصدر كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) كان يطالب بتحويل حلم الخديوي إسماعيل – بجعل مصر قطعة من فرنسا . إلى حقيقة "
إذاً كان شعاره واضحًا في جعل مصر تعبر البحر المتوسط إلى أوروبا ، وأن يتخلى العرب عن الإسلام ويتوجهوا نحو العلمانية .[1]

أما فرج فودة : فيكفر شهادة عالمين فاضلين في المحكمة حين استدعيا للشهادة .

أولا :شهادة عميد كلية أصول الدين ورئيس قسم العقائد بالأزهر الدكتور محمود مزروعة وقد ورد في مجلة المجتمع الكويت في العدد – 1057 ص24 بتاريخ 23 محرم سنه 1414 الموافق 13 يوليه سنه 1993 قال : إن فرج فودة مرتد

---

[1] - الختارين (ص: 125)

عن الإسلام ولا عقوبة في الإسلام على قاتله وقرر أنه كتب في كتابه (الحقيقة الغائبة) يجرح رسول الله صلى عليه وسلم ويتهجم عليه ويتهمه هو والصحابة بأنهم لصوص) ماذا يقول صاحب مقال التنوير بعد هذا أليس ارتدادا يوجب القتل وفي كتابه (الفتنه الطائفية) يتهجم على إذاعة الأذان في الإذاعة والتلفزيون وينتقد الدولة لتخصيص محطة إذاعة القرآن الكريم ويزعم أن نسبة المستمعين إليها صفر وهذا كذب وافتراء فالناس بفطرتها استيقظ فيها الوعي الديني وما من محل ولا عربة إلا وجمهور كثير بل أكثر يستمع لإذاعة القرآن الكريم ثم يتهجم في كتابه على شيخ الأزهر ما ذنب العلماء وهم يقررون ما جاء في القرآن والسنة أيأتون بدين جديد مخالف لما جاء فيهما إنها نصوص قطعية لا تقبل الاجتهاد والتحوير ففي القواعد الأصولية لا اجتها د مع النص أما إذا كان غيرها فأبو حنيفة يقول : رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب وفى كتابه (نكون أو لا نكو ن) قال الدكتور محمود مزروعة ما من كلمة قالها فيه إلا وفيها حرب على الإسلام أهذا تنوير أم تضليل والإسلام وكلنا إلى أهل الاختصاص في كل فن حين قال (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [1].فهل نترك العلماء أهل الذكر ونأخذ الدين عن المستشرقين والمستغربين؟

والعالم الثاني الشيخ محمد الغزالي أقر بهذه .

وها هي افكارة : قال د. فرج فوده: "ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فورا أو حتى خطوة خطوة"[2].

---

[1] - سورة النحل43

[2] - العلمانية في ميزان العقل (ص: 81)

وكان فرج فودة قد أصدر كتاباً ضم إليه مجموعة أفكاره التي تتلخص في المناداة بتنحية الدين عن قيادة الحياة وتضمن مجموعة من الأفكار المسمومة أهمها:

1- إنكار كثير مما علم من الدين بالضرورة، الأمر الذي يخرجه من جماعة المجتهدين إلى جماعات أخرى.

2- رفضه المطلق لتطبيق الشريعة الإسلامية بما يدعو إليه جهاراً من محاصرة كافة مظاهر الدين في مختلف أجهزة الدولة.

3- تشويه أعلام الإسلام وتزييف تاريخه وتحريض الأمة بمختلف فعالياتها السياسية والفكرية على التنكر للإسلام (معتدلين ومتشددين).

4- ما قدم من أفكار نشرها في كتبه وبعض الصحف وعرضها من خلال وسائل الإعلام خرج بها على مقياس الاعتدال وخالف العرب وخالف القانون الذي حدد لمصر هويتها الإسلامية وضرورة المحافظة على القيم والأخلاق.

5- وأد الفكر المعارض له وتحريض الدولة على القضاء على أصحابه.

6- الدعوة إلى منع علماء الأمة من أداء واجبهم نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- تشويه تاريخ الخلفاء الراشدين كبار الصحابة رضي الله عنهم واتهامهم بتهم لا يصح أن يتهم بها عامة الناس والتطاول على (ابن عباس) رضي الله عنهما واتهامه بالاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل، واتهامه للعشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم ونقدهم نقداً لاذعاً.

فعل ذلك ليصل إلى إغلاق ملف الشريعة فيما يتصل بالدولة وسياسة الحكم.

8- وكان أخطر أعماله التركيز على موضوع الشريعة الإسلامية وتشويه صورة الإسلام ورموزه حتى إنه وصل إلى تأويل بعض آيات القرآن الكريم وإنكار الكثير من أحاديث ﷺ الصحيحة والتأكيد على قصر العمل بكثير من أحكام

الشريعة على عصر ﷺ بمقولة باطلة أن الأوامر التي كانت تصدر من خلال القرآن كانت أوامر شخصية لا يطالب بها إلا من نزلت في شأنهم أو قيلت في حقهم.

9- يعتمد في كتاباته على آراء وضعية روتها بعض كتب التاريخ وأثبت المتخصصون أنها من المدسوسات على تاريخنا الإسلامي وألفت فيها كتب تدلل على تلفيقها وكذبها إلى حد أنه كان يستخلص من هذه الآراء الضعيفة والمردودة ما يدفعه إلى الهجوم على كبار الصحابة كأبي بكر وعثمان وعلي وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة رضي الله عنهم جميعاً الذين اتهمهم في ذمتهم وشرفهم وأراد أن يمحو الحب والتقدير لأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وبخاصة العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم جميعاً الذين كان يتهكم عليهم تهكماً شديداً.وقد وصل فرج فودة في تشويه صورة الإسلام ورموزه إلى حد تأويل بعض آيات القرآن الكريم وإنكار الكثير من أحاديث ﷺ الصحيحة والتأكيد على قصر العمل بكثير من أحكام الشريعة على عصر النبي ﷺ.

10- كان يتهجم على الإسلام بصورة غاية في الابتذال والوقاحة ونحن نعلم أن أي مسلم يرد آية واحدة من القرآن فإن ذلك يخرجه من ملة الإسلام.

هذا إلى سفاهات تتعدى على مقدسات 50 مليون مصري ويصف عقيدتهم بالرجعية والظلامية والإرهاب ولا شك أن السخرية والتهكم والكلمات اللاذعة لا تكون أبداً في أسلوب كاتب يحترم نفسه.

ولم يكتف بمعارضة تطبيق الشريعة في مصر وإنما يعارض تطبيقها في أي بلد إسلامي.

11- يعلن فرج فودة تعاطفه مع المرتدين الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه ويخطئ أبا بكر رضي الله عنه في قتاله لمانعي الزكاة.

12– كان يجالد بآرائه في مقاومة تطبيق الشريعة وجعل هذا الاتجاه بضاعته بوضوح كامل مع الإخوة المسيحيين ومع الصهيونية والماسونية وأنه ذهب للجمعية المصرية القبطية في كندا وأمريكا وأعطى ندوات في الكنائس هناك. وكان يرى أن إسرائيل لابد أن تصبح جزءاً من نسيج المنطقة وعنصراً من عناصر تكاملها".[1] والدكتور فرج فوده يقول بوضوح خطير : " إن الإسلام دين وليس دولة ، وإن الدولة الإسلامية على مدى التاريخ الإسلامي كله كانت عبئاً على الإسلام وانتقاصاً منه وليست له " [2]

والفقه الإسلامي الذي تكلم عنه فرج فوده وكاتب المقال في الواقع غني غنى لا يحتاج معه إلى الأخذ من غيره .إنه أكثر كتباً وبحوثاً وأعمق نظريات ، وأصح قواعد وأكثر تفريعات من القانون الفرنسي .تسأل البعض مادام الحكم لا يخالف الدين ، فما الفرق بين أن نأخذه من الفقه الإسلامي أو من القانون الفرنسي.الفرق شاسع بين قانون مستمد من السماء وقانون ابتكره البشر وأيضاً إذا نظرنا إلى القانون الفرنسي صار مرجعنا دالوز وجاستون وشراح فرنسا ...هؤلاء صاروا هم أئمتنا !!!!إن هذه الأنظمة وهذه القوانين ، ما كان منها متعلقاً بأمر لم ينص عليه الشرع (كنظام المرور ونظام الموظفين) فهو مقبول ، وما كان منها مخالفاً للشرع ، يحل حراماً أو يسقط فرضاً، فمردود .وإن علينا أن نقتبس هذه القوانين من شرعنا ، من أدلة الشرع لا من مذهب معين ، لا نأخذها من قانون أجنبي فنضطر إلى الرجوع إلى كتب أهله.واعلموا أن القانون المدني الفرنسي(الذي هو أصل القوانين المدنية الحديثة) وضعته لجنة بأمر نابليون بعد عودته من مصر .وقد ثبت الآن من محاضر جلسات اللجنة وأوراقها – أنهم اعتمدوا فيه على كتب في فقه الإمام مالك .فإذا كانوا هم أخذوه منا ، أفنرجع

---

[1] - موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1 - 29 (51/ 416)
[2] - (تهافت العلمانية ص16) .

فنقتبسه منهم ؟أيكون عندنا كنز من الذهب ، ثم نمد أيدينا لنشحت قرشاً؟أن الإسلام ليس فيه رجال دين ، وأن كل مسلم هو رجل الدين ، وأن امرأة عجوزاً ردت على عمر .....وقد اسْتَهْدفَت الشريعة المُحَافَظَة على "الكُلِّياتِ الخَمْس"، وهي: الدِّين والنَّفْس والنَّسْل والعقل والمال. والمحافظة على هذه الأمور تَتِم بوسائل مُتَدَرِّجة في الأهمية والخُطورة: الضروريات – الحاجِيَّات– التَّحْسِينَّات. والمصلحة تشمل هذه الأقسام الثلاثة المذكورة.[1] الاختلافات الأساسية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

تختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية من عدة وجوه:

1 – الشريعة الإسلامية من عند الله – سبحانه وتعالي – والقوانين الوضعية من صنع البشر، ولا يصح ولا يجب ولا يعقل أن نعقد مقارنة بين الخالق – سبحانه وتعالي – وبين المخلوق، وحيث إن الأفعال والتصرفات تأخذ صفات المصدر فأن الشريعة الإسلامية تكون كاملة مكتملة خالدة صالحة لكل زمان ومكان على مر الدهور وكل العصور، فهي كاملة بكماله – سبحانه وتعالي – خالدة بخلوده، أما القوانين الوضعية فهي تحمل صفات البشر وطبائعهم فهي ناقصة منقوصة ومحددة بقصر نظره وعصره.

2 – القوانين الوضعية مؤقتة وضعت لمرحلة معينة وظروف معينة ومع تغير الظروف والعلاقات بين الجماعات البشرية، فالحياة متغيرة متطورة بينما القوانين الوضعية المفروض فيها الثبات، ولذلك فهي ثابتة تحكم متغير وبالتالي فهي لا تساير التطورات والتغيرات في المجتمعات وبالتالي فهي مشوبة بالنقصان وغير مكتملة الأركان، بينما الشريعة الإسلامية وضعها خالق الزمان والمكان، الذي بيده مجريات الأحداث والواقع والوقائع، فهي لذلك تساير التغييرات والتطورات التي تحدث في المجتمعات البشرية كما أنها تستوعب المستجدات المستقبلية التي يمكن أن تحدث في المجتمعات البشرية.

3 – نصوص الشريعة الإسلامية تتصف بالمرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة علي مر

---

[1] - تصنيف الناس بين الظن واليقين (ص: 35)

الدهور ولكل العصور، وتستوعب التغييرات والتطور، كما أن قواعد الشريعة الإسلامية ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث أنها لا يمكن أن تتأخر في أي مكان أو زمان أو تنخفض عن مستوي الجماعة البشرية.

4 – أن الشريعة وضعت لتنظيم وتوجيه البشر لذلك فهي دين وقانون، فالجماعة البشرية خاضعة للشريعة الإسلامية، بينما القوانين الوضعية وضعت لتنظيم الجماعة لذلك فالقانون الوضعي تابع للجماعة وخاضع لها ولتطوراتها.

5 – الجزاء في الشريعة الإسلامية في الدنيا والآخرة، بينما الجزاء في القوانين الوضعية دنيوي فقط، إن الشريعة الإسلامية تتصل قوانينها بقانون السلوك الإنساني العام، وأحكامها تتفق مع قانون الأخلاق والفضيلة، وعقابها دنيوي وأخروي فالأفعال الظاهرة يعاقب عليها بعقوبة دنيوية والأفعال غير الظاهرة يكون عقابها أخروي أمام الله سبحانه وتعالي، لذلك اتصلت الشريعة الإسلامية بالضمير الإنساني والوجدان، واتصال الحكم الدنيوي بالضمير الديني يشعر الإنسان أنه في رقابة مستمرة، من ربه سبحانه وتعالي، وذلك يعد أهم مانع نفسي وروحي من الجرائم، مما جعل مرتكب الجريمة سرا يذهب إلي الرسول صلي الله عليه وسلم ويطلب منه أن ينفذ عليه العقوبة ويقيم عليه الحد بوازع من ضميره وحسه الإيماني الذي خلقه ونماه فيه الخالق سبحانه وتعالي بخلاف القوانين الوضعية فإن المجرم إذا لم يكتشفه أحد أفلت من العقاب وأزداد ضراوة وإذا دخل السجن مدة طويلة أو قصيرة فأنه يزداد خبرة في الإجرام، فالعقوبات في القوانين الوضعية غير مانعة للجريمة.

أما العقوبات في الشريعة الإسلامية تعمل علي منع الجريمة بثلاث طرق هي:

1 - التهذيب النفسي وتربية الضمير، فقد هذب الإسلام النفس الإنسانية بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج لبيت الله الحرام، مما يجعل العبد المسلم أليف مؤتلف يري نفسه من ومع وإلي الجماعة التي يعيش في وسطها وكنفها وبالتالي فهو يعمل لصالحها وعلى حمايتها حتى من نفسه.

2 – تكوين رأي عام فاضل عماده وأساسه الأخلاق الفاضلة الكريمة لذلك دعت الشريعة الإسلامية إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسود بذلك خلق الحياء في المجتمع الإسلامي والحياء إحساس قوي بالقيود النفسية التي تجعل الجماعة وما يرضيها مكانا في النفس الإنسانية مما يجعل الشخص يحس بسلطان الرأي العام علي نفسه، ولذلك حث الإسلام علي الحياء ودعا إليه النبي صلي الله عليه وسلم وأكثر من الدعوة إليه.

---

3 – العقوبات الزاجرة والمانعة الرادعة فالعقوبة رادعة للمجرم زاجرة لغيرة، فالغاية من العقوبة في الشريعة الإسلامية أمران هما أ :– حماية الفضيلة وحماية المجتمع من أن تتحكم فيه الرزيلة .

ب : – المنفعة العامة ومصلحة الناس، فالفضيلة والمصلحة وإن كانا يبدو بينهما خلاف إلا أنه ظاهري بل هما متلازمان فلا فضيلة بدون مصلحة ولا مصلحة بدون فضيلة، بل أن كثير من علماء الأخلاق يعتبرون مقياس الفضيلة أو الخير هو المصلحة الحقيقية بدون هوى. العقوبة شفاء لغيظ المجني عليه وليست للانتقام فشفاء غيظ المجني عليه وعلاجه له أثره في تهدئة نفس المجني عليه فلا يفكر في الانتقام ولا يسرف في الاعتداء فإن فكر في الانتقام تنتشر الجريمة وتتفشي في المجتمع فالشريعة الإسلامية تتميز عن القوانين الوضعية بالكمال والسمو والمرونة والدوام والثبات والاستقرار، ويرجع ذلك إلي أنها منزلة من عن د الله – سبحانه وتعالي– الذي يتصف بالكمال والسمو والقدرة والدوام.

سوف نذكر مثالين من حوادث ونريد لصاحب المقال أن يبحث في القانون الوضعي ويقارن بينه وبين الشريعه الإسلامية التي يرفضها

(ضد مجهول)

1 -قام بلطجي بفرض أتاوه على الناس مبلغ 50جم على كل من يشتري باله ملابس مستعملة ورفض أثنين من المدرسيين الذين يزودون دخلهم فقام البلطجي بذبح الأثنين ذبح الشاه ، وعماره شاهقه يشاهدون المشهد وقام البلطجي بأخفاء أده الجريمه وعندما تم الإمساك به أنكر كل ذلك ولم يتطوع أحد بل رفض الشهود الشهاده خوفا من البلطجي وقيدت ضدد مجهول وضاع دم الأثنين هدر وهذا هو القانون الوضعي أما في الشريعه الإسلامية فلا تعرف مستطلح (ضدد مجهول)

القسامة: فرأى الجمهور أن يعتبر القسامة كطريق من طرق الإثبات فى جريمة القتل وسيلة طيبة لإظهار الفاعلين فى حوادث القتل؛ لأن أهل القرية إذا علموا أنهم سيلزمون دية القتيل الذى لا يظهر قاتله اجتهدوا فى منع المشبوهين من الإقامة بين ظهرانيهم وأخذوا على أيدى سفهائهم ومجرميهم، كما أن كل من كان لديه معلومات عن القتل سابقة أو لاحقة لن يتأخر فى الغالب عن تبليغها

للجهات المختصة، بل إنهم قد يحملون القاتل على أن يقدم نفسه ويعترف بجرمه.

1- تأتون بالبنية على من قتله.

2 - يحلف خمسون رجلاً منكم وتستحقون دم صاحبكم.

3- أغرمهم الدية[1].

الواقعة الأخرى:-

2- قام رجل عاشق لمرأة متزوجه بالزنا معها على فراش الزوجيه وفوجىء هو والزوجه بدخول الزوج عليهما فقام العاشق بقتل الزوج ماذا كان الحكم الوضعي للقضية كالتالي حسب مواد القانون أعتبر قتل الزوج مشروع لأنه دفاع عن النفس حسب المادة 245)[2] فذهب دم الزوج هدر.أما بالنسبه لجريمه الزنا فليس حق أن يرفعها إلا الزوج حسب المادة 273)[3]وبما أن الزوج قد مات فلا أحد يرفع دعوى وبالتالي سقط حق دعوى الزنا حسب المادة [7][1] وبذلك سقطت القضية برمتها ضاع دم الرجل وبراءة من الزنا وبرائة من هتك حرمه بيت !! فهل الشريعة العادلة تعرف هذا الهراء .في حكم الشريعة هنا ثلاثة جرائم

1- قتل نفس بريئة.

2- زنا في منزل الزوجية.

3- هتك حرمه بيت .

ولكم أن تقارنوا كم من جرائم ارتكبت وتم تبرئة المجرم في جميع أنواع الجرائم .

---

[1] - التشريع الجنائي في الإسلام (3/ 353-367 بترقيم الشاملة آليا)

[2] - مادة 245(لا عقوبة مطلقاً على من قتل غيره أو أصابه بجراح أو ضربه أثناء استعماله حق الدفاع الشرعي عن نفسه أو ماله أو عن نفس غيره أو ماله وقد بينت في المواد الآتية الظروف التي ينشأ عنها هذا الحق والقيود التي يرتبط بها

[3] - مادة 273(لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها إلا أنه إذا زني الزوج في المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في المادة 277 لا تسمع دعواه عليها.

[1] - مادة [7] ينقضي الحق في الشكوى بموت المجني عليه ، وإذا حدثت الوفاة بعد تقديم الشكوى ، فلا تؤثر على سير الدعوى.

أما حامد أبو زيد :-

فقد قدم كتبه وأبحاثه لينال درجة أستاذا فقدم كتابا عن الإمام الشافعي (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية). يحمل عليه ويتهمه بالعمالة لحساب الأمويين في حين أن الرجل ولد بعد زوال الدولة الأموية بثمانية عشر عاما, 1 -في كتاب له بعنوان (مفهوم النص) قراءةً تتعدى البحث عن الباطن الدلالي للكلام الذي هو أقرب من ظاهره و إن كان الأخير أقرب ضمن سياقات التعبير دراسة في علوم القرآن يبين فيه حامد أبو زيد من أن القرآن نص لغوي وأدبي لا أكثر مشيرا إلى أنه كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الخالد دون نظر إلى اعتبار ديني ص13 – وهذا الكتاب الأدبي يعمد إليه الواحد فيأخذ منه ما يشا ء , ويقتبس منه ما يريد, ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق.ثم يقول : وهو القرآن منتج ثقافي فالنص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاما وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها فإن الإيمان بوجود (ميتافيزيقي)[1] سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية , ويعكر من ثمة إمكانية الفهم العلمي للنص ص 27 ومن خلال هذه العبادات التي أوردها في كتابه ينكر القرآن وحي من الله لرسوله بل ينكر الوحي جملة وتفصيلا وهذا من الأسباب التي ترجع به عن الإسلام ويكون مرتدا عنه .وبين أن القرآن كان يتحدث عن واقع الأمة العربية في وقتها وهو مقدم على أمر غيبي أو بعيد عن الواقع وهذا خلاف ما أنزله الله حيث نزل لتغيير أحوال العرب من تمزق إلى وحدة, ومن عبودية بشر وأصنام وأوثان ونيران وكواكب ونجوم إلى عبادة الخالق جل جلاله .ومن جفوة في الطباع والخلق إلى رقة ولين ومن وأد البنات إلى إحياء لهن

[1] - **الميتافيزيقا** هي "العلم الذي يدرس الأسس الأولى أو المبادئ الأولى التي تقوم عليها المعرفة الإنسانية، وهذه الأسس هي أسس أنطولوجية (مفهوم الوجود) وكوزمولوجية (مفهوم الكون) ونفسية ولاهوتية."يرجع أصل الكلمة إلى الإغريقي (Meta) الذي يعني "ما وراء أو بعد" وكلمة "Physika" وتعني "الطبيعة."

ومن تسلط القوى على الضعيف إلى إنصاف لأصحاب الحقوق ومن حروب لأتفه الأسباب إلى حب وألفة أليس ذلك كله أثرا للقرآن أما كونه منتجا ثقافيا أي غير وحي أو منتج أدبي فمن جهة تراكيبه وألفاظه كان فوق مستوى ما عهده العرب من بيان وفصاحة وهم أهل هذا البيان لذلك قال مفروق بن عمرو لرسول الله ﷺ وهو يعرض القرآن عليه يا أخ ا قريش إن هذا كلام ليس بكلام بشر ولو كان من كلامهم لعرفناه (ألا ترى إلى قول الوليد بن المغيرة حيث استمع إلى القرآن وتحير فيه فقال قد عرضته على رجز الشعر وهزجه وقريضه فلم يشبهه وليس بسحر ولا كهانة وإن عليه لطلاوة وإن له لحلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر)[1] أليس هؤلاء هم أفصح العرب بيانا واعترفوا بأنه فوق طاقة البشر حين قال الوليد بن الغيرة (لقد استمعت من محمد كلاما ما هـ و بكلام البشر)[1] إن مشروع « نصر أبو زيد » ، هو وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحي والنبوة والغيب والعقيدة في المعنى القرآني فيصير القرآن ماركسيًا ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية والهرمنيوطيقا (نظرية تفسير مادية) فيغير بذلك المفاهيم الرئيسة للقرآن ، ويلغي المعاني الحقيقية للسور والآيات ، ويطمس الحقائق الدينية التي رسخها القرآن وبينتها السنة .وهو لا يفعل في معركته مع الإسلام وتاريخه وعلمائه المحدثين والقدامى إلا ما يفعله الماركسيون العرب إحياء للموقف اللينيني الذي وظف التراث في الصراع الأيديولوجي ، فلينين – كما يقول جورج طرابيشي – هو أول من دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبتر من خلال مناقشاته في مطلع القرن مع الشيوعيون الروس ... فلينين .. لم يكن يهمه من التراث حقيقته التاريخية ، بل قابليته للتوظيف في

---

[1] - نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، اسم المؤلف: محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي الوفاة: 360هـ ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - 1992م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة-ج 3 ص 259- 260

[1] - مفتاح العلوم ، اسم المؤلف: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي (المتوفى : 626هـ) الوفاة: 626 ، دار النشر : ج 1 ص 221

الصراع الأيديولوجي »[1] أليس ذلك كافيا للرد على فرية (حامد أبو زيد) الذي يقول في القرآن (إنه منتج ثقافي) أي من صنع محمد وكنت أود أن يقرأ كتابا للرد على هذه الفرية وهو كتاب (النبأ العظيم) للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز والذي نال درجة الدكتوراه من فرنسا في كتابه ورسالته (فلسفة الأخلاق في القرآن) وترجمها من الفرنسية إلى العربية الدكتور الأستاذ عبد الصبور شاهين والذي أوقف ترقية (حامد أبو زيد) حين قرأ أبحاثه الملحدة والمرتدة عن الإسلام هو والدكتور البلتاجى عميد كلية دار العلوم .وفى كتاب لحامد أبو زيد بعنوان (نقد الخطاب الديني) ففيه شك في الوحي ونزوله فيقول :(الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل لإهداره من الواقع تكون النص , ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه , ومن خلال حركته نفا عليه البشر تتجدد دلالته فالواقع أولا – والواقع ثانيا – والواقع أخيرا وإهدار الواقع لحساب نص جامد ثابت المعنى والدلالة يحول كليهما إلى أسطورة – يتحول النص إلى أسطورة عن طريق إهدار بعده الإنساني , والتركيز على بعده الغيبي الأمر الذي يفتح المجال لتساؤلات عقيمة عن طبيعة النص هناك , وعن شكله ونمط الخط المكتوب به وهل تنطق الملائكة بالعربية أو بغيرها , ص 99 من كتاب (نقد الخطاب الديني)في العبارات السابقة من كتابه (يبين فيه أن الواقع هو الأصلي في حياة الناس حتى ولو كانوا على ضلال وفساد العقيدة لأن القرآن إذا كان معانيه وألفاظه ثابتة لا تتغير يتحول إلى أسطورة لا قيم ة لها لأنه يركز على بعد غيبي لم يستطع البشر أن يعرفوا حقيقته وكنهه ثم يجره شيطانه إلى حقيقة الملائكة في تحدثهم هل ينطقون بالعربية أم بغيرها, فلابد يكون القرآن تابعا للمجتمع الذي نزل فيه لا أن يكون المجتمع تابعا للقرآن وهذا الإنسان لم يمر على أن من أصل العقيدة

[1] - موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة1 - 29 (51/ 93)

الإيمان بالغيب لأن عقولنا مهما بلغت من الفكر وانضج لا يمك ن أن تتصور ما وراء المحسوس لأنه شيء يعجز عنه العقل عن إدراكه والعقل له حدود في التفكير والإدراك وليس في استطاعته استيعاب الأشياء المعنوية علاوة على عدم استيعابه الأمور المحسوسة والأشياء المادية .أما حديث الملائكة فأمين الوحي جبريل كان ينزل على كل نبي بلغة قومه فمحمد عربي فنزل بالعربية (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[1] وفى الحديث الصحيح حين نزل جبريل على صورة إنسان لم يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد وجعل يسأل رسول الله عن الإسلام , والإيمان , والإحسان وكان يجيبه أهذه معضلة من المعضلات لا يحلها إلا حامد أبو زيد هناك أمور تعجز البشرية عن إدراكها والإحاطة بها وصدق الله العظيم :(وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[1].إن الكهرباء سالب وموجب ومن خصائصها الإضاءة والاشتعال لكن حقيقة الكهرباء لم يعرفها أحد – فهل وجد من غير الأنبياء من أوجد مجتمعا ماليا كما أوجده محمد بن عبد الله في المدينة المنورة بعد الهجرة وهل استطاع أحد من البشر أن يقوم بتعاليم تتفق وفطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها؟ لا يوجد والله تعالى يقرر هذه الحقيقة بقوله في سورة يوسف {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [2] إن هذا النص تشكيك في الوحي وكان الأجدر به أن يرجع إلى الكتب التي كتبت في ذلك وهى كثيرة ومنها (النبأ العظيم) وكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية) وكتاب (مباحث في علوم القرآن)للشيخ مناع القطان , وكتاب (إعجاز القرآن) للرافعى ونجده يهاجم الدين في موضع آخر من الكتاب حين يقرر أن الدين يقدم مرادفا للأسطورة والخرافة فيذكر مثلا أنه كانت الأسطورة أن تجلب البركة , وتدر الربح الوفير وهى

---

[1] - سورة الشعراء 193-195
[1] - سورة الإسراء85
[2] - سورة يوسف103

أسطورة وقع الجميع في حبائلها الشيطانية ص 9- والعبارة كما يقول الأستاذ فهمي هويدى غمر في معنى ومفردات الآية الكريمة : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[1] وهو لم يدرس القرآن على حقيقته وما ذكر فيه من قصص السابقين كقصة سبأ , وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم وقصة الرجل الذي يحاور صاحب الجنة في سورة الكهف وإرشاد نوح لقومه حين قال لهم {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}[2].وقد كان الرسول عليه السلام يصلي صلاة الاستسقاء بأصحابه فكان الله ينجيهم إلى ما طلبوا وفعل عمر والصحابة فأجابهم الله وهو يقول لقومه {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ }[1].ووجدنا المتقين لله حين يصدقون في أقوالهم وأفعالهم مع الله والناس يبارك الله لهم في حياتهم وفى سعيهم في طلب الرزق , وفى حرفتهم التي يتقنون صنعها وفى بيوتهم وأهليهم وفى ذرياتهم وأبنائهم والواقع يصدق ما نقول حين بعد الناس عن التقوى أختل ميزان حياتهم فأصبح الابن الآمر لأبويه يضربهما ويعتدي عليهما ويسطوا على أموالهم , وقل ذاد الناس وحدثت المجاعات والحروب المدمرة وعدم البركة في الحياة ألسنا نحن الآن الواقعين في ذلك وسلط الله علينا الزلازل والبراكين والسيول والفيضانات الغزيرة التي أدرت بالعباد والحرث والنسل نجده في نفس الكتاب يحمل على عبادة البشر لله والبشر لم تره لأنه غيبي عنهم لكن المؤمنين به عرفوه في آثار صنعه وخلقه وفى سننه التي أنزلها في هذا الكون الذي نعيش فيه فيواصل الغمز في القرآن أو كما يقول نقد الخطاب الديني فيقول (إن

---

[1] - سورة الأعراف96
[2] - سورة نوح 10-12
[1] - سورة هود52

اختزال دور الإسلام ومقصده الكلي في تحرير الإنسان من العبودية لغيره من البشر لكي يردوا إلى عبودية من نوع آخر (أي العبودية لله سبحانه) هو التزييف بعينه لأنه مقصد شكلي مادام يسلمه إلى عبودية كهنة النصوص)ص104 من نفس الكتاب . وهو يقصد من المقولة التي قالها جعفر بن أبى طالب للنجاشي حين سأل عن الإسلام وعن محمد ﷺ فرد جعفر ابن أبى طالب على النجاشي قائلا: إنه جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وهو في عبادته يحمل الناس على كيف تتحول من عبادة البشر والأصنام التي لا تنف ع ولا تضرر إلى عبادة الله رب الأرض والسماء أليس ذلك ارتدادا وكفرا ؟ وماذا يقول كاتب مقل التنوير في مواجهة دعاة الظلام إما أن يؤيده بكل ما قا ل فيكون مرتدا عن دينه وإما أن يراجع هذه الكتابات أو الكتب ويدرس الإسلام من جديد على طريقة أهل اليسر وعدم الحرج فيرجع عما كتب وعما قيل إن التطوير الذي يريده الكاتب في إجازة الإسلام في معاشنا وأسلوب حياتنا أما العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق فأتت بنصوص ثابتة حتى لا يكو ن فيها اختلاف وصراع وقد وضعت هذه النصوص لتتحد مع فطرتنا التي فطر الله الناس عليها وهناك اجتهاد في فروع الشريعة حسب ما جا ء في آراء الفقراء واختلافهم حسب الفهم للفظ واللغة أو اختلاف الأحاديث بحسب نزوح أصحابها في الأمصار أو ثبوت حديث عند إمام ولم يثبت عند آخر , أو اختلاف المكان أو الزمان هذا موجود لمن يعود إلى كتب أصول الفقه وآراء الفقهاء لكن الغبط عن جهل فاضح ومكابرة عن الإطلاع والقراءة وتغيير الثوابت والضوابط التي أجمعت عليها الأمة فهذا ليقبله منصف ولا عاقل أما كون الكاتب يستنكر محاربة , حامد أبو زيد في رزقه ومحاولة تطليق زوجته فحكم الإسلام في المرتد صريح وواضح وهو أنه يستحق القتل إن لم يتب وتترك له يراجع نفسه ويناقش في شبهته .ويترتب على

ارتداده أحكام نجعلها وهي بإجماع فقهاء الإسلام دعاة الظلام كما يقول صاحب المقال : -

أولا:- إذا ارتد الزوج أو الزوجة انقطعت علاقة كل منهما بالآخر لأن ردة أي واحد منهما موجبة للفرقة بينهما وهذه الفرقة تعتبر فسخا فإذا تاب المرتد منها وعاد إلى الإسلام كان لابد من عقد ومهر جديدي ن إذا أراد استئناف الحياة الزوجية ويرى فقهاء الأحناف أن ردة الزوج تعتبر طلاقا بائنا ينقص من عدد الطلاقات ولا يجوز له أن يعقد زواج على زوجة أخرى من أهل الدين الذي انتقل إليه لأنه مستحق للقتل .

الثاني :- أنه لا يرث أحدا من أقاربه إذا مات لأنه المرتد لا دين له وإذا كان لا دين له فلا يرث قريبه المسلم فإن قتل هو أو مات ولم يرجع إلى الإسلام انتقل ماله هو إلى ورثته المسلمين لأنه في حكم الميت من وقت الردة وقد فعل ذلك الإمام علي رضي الله عنه .

الثالث :- فقد أهلية للولاية على غيره وليس للمرتد ولايته على غيره فلا يجو ز له أن يتولى عقد تزويج بناته ولا أبنائه الصغار وتعتبر عقوده بالنسبة لهم باطلة لسلب ولايته لهم بالردة [1]أولى فهل يجوز أن نبدل أو نغير أمورا اتفق عليها أجماع الأمة أم يريدون أن نبتكر دين مخصوص لدعاه التزوير ؟

عنوان الحقيقة في قصة "المرتد" نصر حامد أبو زيد

حيثيات حكم محكمة النقض التاريخي في بيان "كفر وردة" نصر حامد أبو زيد ، بالتفصيل الكامل ، بعد قراءة كتبه وسماع دفاعه ، تقول المحكمة: وإذ خلص الحكم المطعون فيه على ما حصله مما ورد بأبحاث الطاعن الأول التي - لم ينكر صدروها عنه - أن ما عناه بمدلول النصوص على النحو الذي ذكره بها -

[1] - فقه السنه ص9 ط

نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأن آراءه التي ضمنها مؤلفاته وأحصى الحكم بعضاً منها بمدوناته هي من الكفر الصريح الذي يخرجه عن الملة بما يعد معه مرتداً عن الدين الإسلامي ويوجب التفريق بينه وبين زوجه ، وكان هذا الاستخلاص سائغاً وله معينه من الأوراق وسنده من الأحكام الشرعية ويؤدى إلى النتيجة التي انتهى إليها ويكفى لحمل قضائه ، وفيه الرد الضمني المسقط لكل دليل أو حجه مخالفة ، وحسبه أن يضمن مدوناته بعضاً مما صرح به الطاعن الأول ليستدل به على ثبوت ردته طالما أنه قد ألم بآرائه التي أنطوت عليها مؤلفاته عن بصر وبصيرة .. .إن من المقرر شرعاً أن الردة تثبت بالإقرار أو البينة الشرعية والإقرار هو إعتراف شخص بواقعة من شأنها أن تنتج ضده أثاراً قانونية بحيث تصبح فى غير حاجة إلى الإثبات بدليل أخر وينحسم به النزاع فيما أقر به ، وهو حجة على المقر لأن فيه معنى الالتزام إختياراً ، ويصدق الإنسان فيما يقر به على نفسه لأنه لا يتهم في الكذب على نفسه فصارت شهادة المرء على نفسه أقوى من شهادة غيره عليه ، وقد اعتبر القرآن الكريم الإقرار في إثبات الكفر في قوله تعالى{ شَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ }الأنعام 130 ، والإقرار كما يكون باللفظ الصريح يجوز أن يستفاد من دلالة التعبير ، ولما كان ذلك -وكان الطاعن الأول قد اقر بأنه هو الذي صنف المؤلفات المنسوبة إليه ولم يجحدها كلها أو بعضاً منها وإذ استقى الحكم المطعون فيه منها الدليل على رجوعه عن الإسلام على نحو ما سلف ، إذ ورد بها ما يدل على الكفر الصريح الذي يخرجه عن الملة ورتب على ذلك الإقرار الذي توافرت شروطه الشرعية قضاءه بالتفريق بين الطاعن الأول وزوجه باعتبار أن ذلك من الآثار التي توجبها أحكام الردة ،فإنه يكون قد التزم الأحكام الشرعية المقررة في هذا الشأن ، بما لا حاجة معه من بعد إلى تطلب إقامة البينة الشرعية على ردته. إنه ولئن كان الأصل أن الاعتقاد الديني من الأمور

التي تبنى الأحكام فيها على الإقرار بظاهر اللسان ،ولا يجوز البحث في جديتها ولا دواعيها أو بواعثها ، والنطق بالشهادتين كاف لاعتبار الشخص مسلماً ،إلا أن الإسلام كل لا يتجزأ ولا يصح الإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر ، فإذا صدر عمن نطق بالشهادتين قول أو فعل يخرجه عن الملة على نحو ما سلف ، فإنه يكون مرتداً لإظهاره الكفر بعد الإيمان وإن ادعى بأنه مسلم . فلا عبرة بالنطق بالشهادتين ما لم يراع الناطق بهما ما لهما من حق وما يترتب عليهما من أثر إيمانى عقدى ، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل

والدولة عقيدتها الإسلام ، وهذا ما ينص عليه الدستور فى المادة الثانية منه من أن الإسلام دين الدولة ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، وكل النظم الوضعية تقرر عقوبات وتدابير إزاء الأفعال التى تتعارض مع أسس قيامها ، وارتداد المسلم عن الإسلام ليس أمراً فردياً يمكن أن تتسامح فيه شريعة الإسلام ودولته كحق من حقوق الأفراد لاسيما إذا كان هذا بالدعوة علناً بالنشر أو التدريس إذ أن الخروج عن الإسلام ثورة عليه ولابد أن ينعكس ذلك على ولاء الفرد للشريعة والدولة وعلى روابطه مع المجتمع ، وهذا ما لا يتسامح فيه قانون أو دولة ، ولذلك تبيح الشريعة وسائر الدساتير والقوانين حرية الرأي بالضوابط التي تمنع من العدوان وإساءة استعمال الحق ، فليس من حق أي فرد أن يدعو إلى ما يخالف النظام العام أو الآداب أو يستخدم الرأي وسيلة للنيل من الأسس التي يقوم عليها المجتمع أو امتهان المقدسات أو السخرية من الإسلام أو أي دين سماوي ، ذلك بأن الدستور يكفل في المادة 47 منه حرية الرأي فى حدود القانون[1] ، فحرية الرأي تكون وفقاً للضوابط والحدود التي يسمح بها النظام الأساسي للدولة والقواعد التي يقوم عليها هذا النظام وفى صدارتها أحكام

---

[1] -(مادة (47) : حرية الرأى مكفولة ولكل انسان التعبير عن راية ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير فى حدود القانون والنقد الذاتى والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطنى) .

الشريعة الإسلامية ، ولو أنه احتفظ باعتقاده في سريرة نفسه دون الإعلان عنه تلقيناً لطلبته وطبعه ونشره ،فأن الشريعة لا تفتش في مكنون النفس ولا تشق قلوب الناس ولا تنقب في سرائرهم ، لأن ذلك متروك لله وحده ، إلا أن الجهر بالسوء من القول طعناً في عقيدة المجتمع والدعوة إلى ازدرائها يتصادم مع النظام العام وهو ما لا يقره أي تشريع أو نظام ... انتهى النقل .[1] هكذا جاءت كلمات قضاة مصر ، بل شيوخ قضاتها الأفذاذ ، في فضح كذابي الزفة والمضللين من الذين هللوا لنصر حامد أبو زيد ، وحاولوا تقديمه للناس بوصفه مفكرا إسلاميا ومجددا ، وبعضهم اعتبره من أولياء الله الصالحين!! وقال أنه كان قبل موته يحدث الله . جل وتنزه عن السفاهة والسفهاء . ، أتت كلمة محكمة النقض ، قمة قضاء مصر ودرة جبين العدالة فيها ، لتعلن "عنوان الحقيقة" في قضية نصر حامد أبو زيد ، مجرد مرتد عن الإسلام ، كافر بالله واليوم الآخر ، طاعن في كتاب الله ، وهازئ نبيه ، مكذب بنبوته ، وضال مضل ، فاسد مفسد . ،

وأما بالنسبة لنجيب محفوظ :فقد استمعت أليه وهو يقول حينما أثرت الضجة في وجهه إنني لم أحاول الرد على هذه الضجة ولم أرجع إلى ما كتبته لكنه يؤخذ عليه حين طبع سلمان رشدي كتابه (آيات شيطانية)[1] وطعن في القرآن والنبي محمد ﷺ وهذا ارتداد صريح وأهدر الإمام الخميني دمه قال نجيب محفوظ – كما نشرت صحيفة (الهرالدتريبيون) الأمريكية عدد 16 فبراير سنه 1989 على لسان نجيب محفوظ فقد أدان فتوى الخميني بإهدار دم سلمان رشدي ووضعها بأنها من قبيل الإرهاب الثقافي وليس ذلك مصدر الحزن والعتب عليه حيث إنه يجهل أحكام الإسلام في ذلك وإنما قوله في ختام

---

[1] - جريدة المصريون 17 شوال 1433هـ - 4 سبتمبر 2012م

[1] - **آيات شيطانية** رواية من تأليف الكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي .صدر في لندن في 26 سبتمبر 1988 .وقد رد عليه الشيخ احمد ديدات رحمه الله في كتاب له "شيطانية الآيات الشيطانية " وكيف خدع سلمان رشدي الغرب ؟

تصريحه ما قال هـ نجيب محفوظ (إذا كان سلمان رشدي قد كتب شيأ ضد الإسلام فهذا رأيه ومن حقه أن يبعد عنه) نقلا عن جريدة الأيام ص 7 فبراير سنه 1989 تحت عنوان ارتداد المؤلف عن دينه وهتك كل رموز العقيدة وسبابه وقذفه لا يدخلا ن في باب حرية الرأي والكاتب الأستاذ فهمي هويدى وكذلك كتب فهمي هويدى في جريدة الأيام ص 15 العدد 1752 بتاريخ 21 ديسمبر سنه 1993 تحت عنوان (أما لهذا العبث من أضر) حين ذكر كتب حامد أبو زيد وعلق عليها بأنها تثير الفتن وتمزق الأمة والإسلام مظلوم بين من يدعي الانتساب إليه وهو حرب عليه ولو كان في كل أمة إسلامية قانون جنائي لحماية الدين لكان قانون الردة هو الذي يكون ضمن القوانين الجنائية لحماية الدين من المعتدين عليه بحجة التنوير تارة , والتطور تارة أخرى لكن عدم عرض الإسلام في وسائل الإعلام هو الذي جعل أكثر الملحدين يدعون التجديد وعدم الجمود .إن الكاتب لم يقرأ كتاب تاريخ التعليم المصري للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى الذي قال فيه إن الأزهر ابتكر طرقا للبحث والتدريس واختيار الأستاذ حين كان التدريس في الجامع الأزهر وفى حلقات العلم التي كان يقوم بها العلماء أخذت بها الجامعات الأوربية مثل جامعة السربون وغيرها .مثل اختيار الطالب للأستاذ , ومذاكرة الدرس قبل البدء فيه , وأن الطالب الذي يريد أن يكون مدرسا لا يعطى شهادة تجيز ل هـ التدريس وإنما يقوم بالتدريس لزملائه فإن نجح أقر على التدريس واستمر وإن لم ينجح عاد طالبا كما كان . كما يقول في هذا الكتاب وكان الأزهر القديم يدرس فيه كل العلوم من طب وفلك وتشريح وكيمياء وطبيعة وفلسفة وفقه وأصول , وتفسير وحديث , وتاريخ تشريع وتاريخ الأمم وغير ذلك من العلوم حتى الموسيقى كانت تدرس به وكان الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر أستاذ في علم الموسيقى لأنها تتفق والتفاعل لبحور الشعر وزنا مما كان الأزهر في منظومة الشعراء ومنهم أمير الشعراء

أحمد شوقي الذي قال   قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا"... "وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا ..الخ القصيدة.أهؤلاء هم دعاة الظلام ؟إن كل شيء له حدود لا يتجاوزه ا المرء وإلا وقع فيما يرديه ويهلكه والنبي ﷺ يقول :(الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[1] فالأجدر بدعاة التزوير والتضليل أن يتقوا الله فيما يدعون ويكتبون فهم يشككون الناس في علماء الإسلا م الذين يحافظون على تعاليم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح , وتراث الفقهاء الأجلاء الذين كانوا يركبون الرواحل ويتجشمون[1] الصعاب ويقطعون الطرق والمفاوز[2] ويطوون الخلاء والصحراء رغبة في تأكد من حديث ولفظه أهؤلاء الذين كانوا يحفظون أثنى عشر حملا من الإبل كتبا أهم دعاة الظلام والذين لا يعرفو ن إلا قراءة الصحف فقط هم أهل التنوير؟ أهذا الذي ملأ بطون الأرض علما شرقا وغربا وكان يجلس عقب صلاة الفجر إلى الظهر في المسجد في مصر يدرس علوم القرآن والفقه والتفسير والحديث واللغة وكان إذا قرأ كتابا حفظه عن آخره من مرة واحدة ومن الشعراء الحكماء وهو الإمام الشافعي هو من أهل الظلام والذي يجهل حقيقة نفسه من أهل التنوير , وهل الإمام البخاري الذي تتلمذ على يديه ستون ألفا وكان يحفظ سبعمائة ألف حديث ويستخلص ما يقرب من سبعة آلاف حديث بسندها ليعرف قوة الحديث من ضعفه أكان من أهل الظلام والذي لا يستطي ع

---

[1] - (صحيح)أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم 3984، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 27638، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم 1914، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى(ج5:ص263)،.

[1] - (تجشم) الأمر جشمه والأرض قصد إليها وفلانا من بين القوم قصد قصده وتخيره(المعجم الوسيط (1/ 124)

[2] - مفاوز، أي كنت أدور فيها شبه المتحير(تهذيب اللغة (2/ 244، بترقيم الشاملة آليا)

أن يحفظ عشرة أحاديث خالية السند من أهل التنوير؟ إن النبي ﷺ يقول :(ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ! ويعرف لعالمنا حقه)[1]وما انتصر صلاح الدين على الصليبيين إلا بسبب العلماء الذين جندوا الأمة معنويا وروحيا .وما انتصر سيف الدين قطز على التتار إلا بسب ب العلماء وعلى رأسهم عز الدين عبد السلام .وما انتصر العرب في حرب رمضان إلا بسبب ب الإعداد والعلماء الذين جندوا أنفسهم لحرب روحية قبل أن تكون مادية لأننا هزمنا قبل ذلك بأن اتكلنا على المادة ولم نتكل على الأسباب الروحية فهل لهذا الهراء من آخر ونسأل الله أن يهدينا جميعا إلى الخير وما أحوجنا إلى الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام حتى لا يكو ن في الأمة جاهل ولا متطر ف وإنما علماء رحماء بهم سماحة النفس وكرم الخلق فهل نكون كذلك ؟ اللهم آمين والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

[1] -(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 22248، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم 1273، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم 147.

الفهرس